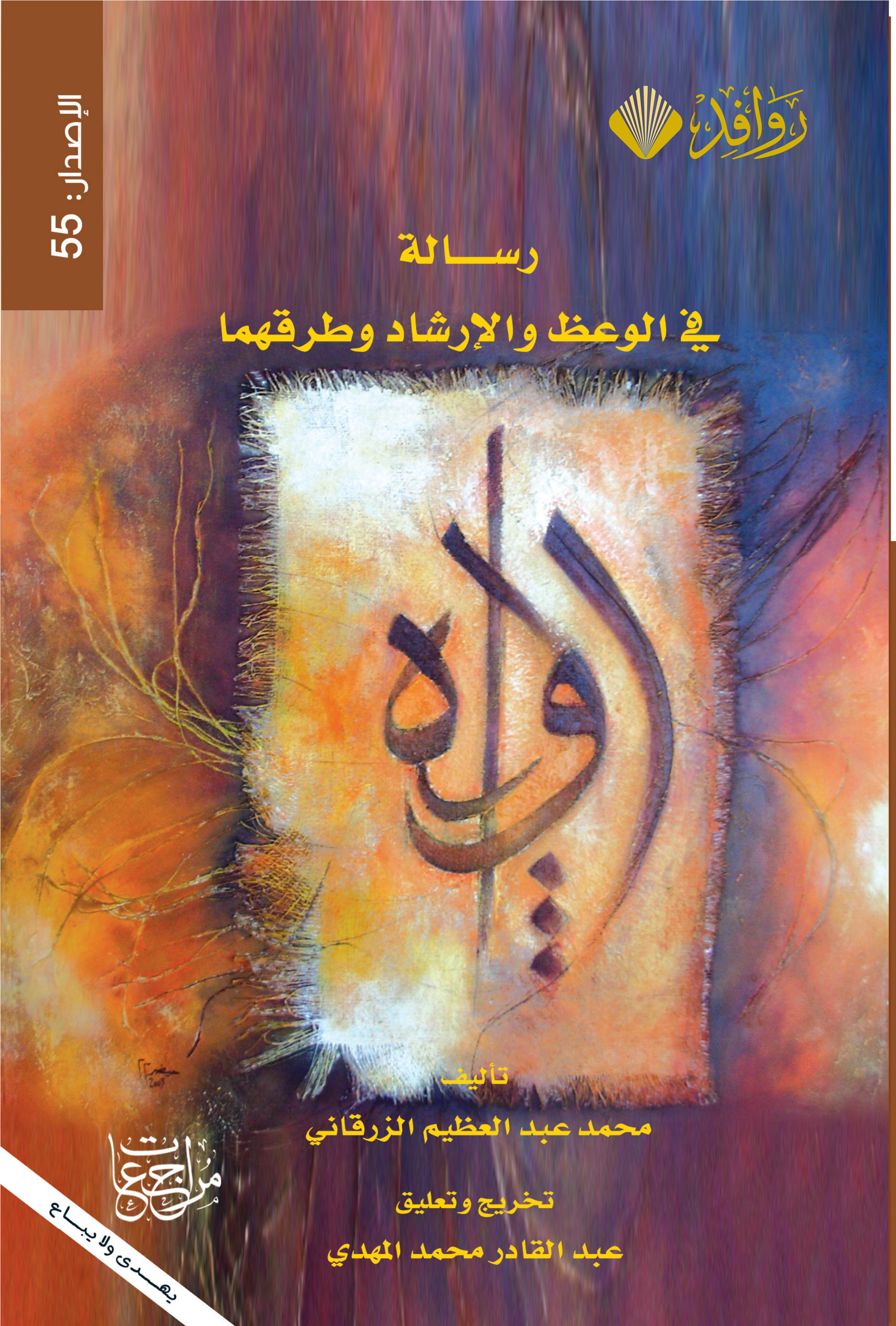

روافد
الإصدار: 55
رسالة
في الوعظ والإرشاد وطرقهما
تأليف
محمد عبد العظيم الزرقاني
تخريج وتعليق
عبد القادر محمد المهدي
مراجعات
يهدى ولا يباع



رسالة
في الوعظ والإرشاد وطرقهما

الشيخ الإمام محمد عبد العظيم الزُّرْقاني

صاحب «مناهل العرفان»

الإصدار: 55 (يوليو 2012م / شعبان 1433هـ)

الإخراج الفني : محمود محمد أبو الفضل

الشيخ الإمام محمد عبد العظيم الزرقاني:

من مواليد مصر(١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م)، تخرج من كلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث والدعوة والإرشاد، وكان ينشر مقالاته بمجلة «الهداية»، كما كان عضوا بلجنة الفتوى بها.

من مؤلفاته: «مناهل العرفان في علوم القرآن»، و«بحث في الدعوة والإرشاد»، و«المنهل الحديث في علوم الحديث»، و«البدع وموقف الإسلام منها».

الشيخ عبد القادر محمد المهدي أبو سنيج:

من مواليد مصر، إمام وخطيب، خريج جامعة الأزهر، قسم الشريعة الإسلامية، تخصص أصول الفقه، عمل باحثا شرعيا في كل من مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، فرع القاهرة، وشركة (حرف لتقنية المعلومات) بقسم الشريعة.



نهـر متعـدد ... متجـدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة - رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 22487310 (965+) - فاكس: 22445465 (965+)

نقال: 99255322 (965+)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed

الطبعة الأولى - دولة الكويت

يوليو 2012 م / شعبان 1433هـ

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw

رقم الإيداع بمركز المعلومات: 17 / 2012

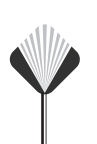
تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: 2012 / 105

ردمك: 978-99966-50-53-6

فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تصدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فلعله من البدهيات القول إن الوعظ يشكل وجها من وجوه التواصل بين العلماء والمرشدين والدعاة وعموم الناس، به يتم التذكير بالواجبات، والتحذير من المنهيات، وبواسطته يحقق المصلحون رسالتهم في المجتمع.

غير أن الوعظ لم يكن يوما متروكا لسجية الواعظ، يقوم به متى شاء وكيف شاء، بل إن قواعد التوجيه تقتضي أن يتعامل مع الوعظ باعتباره مهارات وخبرات، تراعي شروطا في الواعظ ولغته وحركته، كما تراعي شروطا في الموعوظ.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف بدولة الكويت أن تقدم إلى عموم الخطباء والدعاة والمرشدين هذه الرسالة المختصة بإبراز طرق الوعظ والإرشاد وفنياتهما، من تصنيف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، إسهاما منها في التحسيس بأهمية الموضوع، والحيطة من الإقدام على الوعظ بدون مؤهلات نفسية وتربوية وجمالية، داعين المولى عز وجل أن يجزي كاتبها ومحققها خير الجزاء، وأن يجعل جهودهما في ميزان حسناتهما....

إنه سميع مجيب.



مقدمة المحقق

الحمد للّه الذي له ما في السمواتِ والأرضِ، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيمُ الخبيرُ.

والحمد للّه الذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللّه.

وصلى اللّه وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ، رسول اللّه وخيرته من خلقه، خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإِحسانٍ إلى يوم الدين.

فمن نافلة القول أن نقرر أن الإسلام دين العلم والدعوة، والدعوة لا قيام لها إلا بالعلم، وأهل الدعوة هم خلف لخير سلف من الأنبياء والصديقين والشهداء، فمكانهم ومكانتهم لكونهم يملكون أحسن القول ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، وهم أتباع الدين الحق، قال تعالى﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

فهذا نسبهم وأفضل الخلق من المصطفين الأخيار هم قدوتهم ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٨٨ – ٩٠].

فهذه سبيلهم وهذا نسبهم وعملهم إيمان واتباع وعمل صالح .

وكلها لا تقوم إلا بالعلم، فهو ممهد للإيمان ومرشد للاتباع ومميز للعمل الصالح .

ولهذا كانت القراءة هي مفتتح وحي اللّه إلى رسول اللّه ﷺ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ – ٥]

اقْرَأْ تعلما وتعليما، اقْرَأْ إتباعاً لا ابتداعاً، اقْرَأْ باسم الله الذي خلق ولربك الأكرم، فبالله استعانة وهداية وتوفيقا، وله وحده لا شريك له إخلاصاً وصدقاً في التوجه إليه وجعل العمل له لإعلاء كلمته .

وحينما تكون القراءة باسمه ولوجهه الكريم، فإن الفساد مستبعد والإصلاح هو السبيل قياماً بأمره لتعمير أرضه بشرعه ورفع الظلم عن خلقه .

لا دماراً وتخريباً ولا سفكاً وتقتيلاً، وإنما طاعةً وخيراً وتعميراً وبراً .

العلم والإيمان والاتباع- الذي هو عصمة من الخطر والخطل والضلال والزلل- والعمل الصالح، كلها مهمات المسلم ليقوم بحق ربه إحساناً إلى خلقه، وتعميراً لأرضه ليفوز بوعده .

إن أرض الله تنتظر الداعين إلى الله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

يقول الزرقاني -رحمه الله وطيب الله ثراه - في مناهله « الحق لا يعرف بالرجال إنما يعرف الحق بسلامة الاستدلال» [1] .

ويقول العلامة المصلح المجاهد الإمام محمد البشير الإبراهيمي-رحمه الله- « من أبهج ساعات العمر ساعة يقف فيها أخ يحادث إخوانه على بساط الشعور المشترك والإحساس الصادق والإخلاص في القول وحسن الإصغاء يتلو عليهم ما فيه العبرة من ماضيهم وحاضرهم. يذكرهم ما ليسوا عنه بغافلين من أخذ الأهبة للمستقبل المحجوب، يدعوهم إلى الجد في العمل المشترك، يدعوهم إلى التعاون في الصالحات، يدعوهم إلى نفض غبار

---

١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٤١٩).

الكسل والتواكل، يدعوهم إلى مجاراة السابقين في الحياة، يدعوهم إلى العمل لما فيه سعادة الدارين. يدعوهم إلى نبذ موجبات التفرق والتخاذل، يدعوهم إلى تقوية أسباب الألفة والأخوة، يدعوهم إلى أخذ شؤون الحياة من أسبابها المعقولة، يدعوهم فيسمعون فيعرفون قيمة ما دعا إليه، فيفوز الداعي بفضيلة الدعوة والإرشاد إلى الحق والتنبيه إلى الواجب، ويفوز المدعو بفضيلة الاسترشاد والعمل بالنصيحة، ويلتقي الكل عند أشرف غاية في هذه الحياة وهي أداء الواجب الاجتماعي» .

ويقول «نعتقد أن من حق الله علينا الدعوة إليه، وسيعمّ الإصلاح الديني هذه الأمة لا بقوتنا بل بقوة الله، وسيتفق الناس عليه حتى كأن لم يكن بينهم فيه خلاف، وسيهتدي الضال ويرشد الغوي، وثقوا أنه ما اختلف اثنان في الحق إلا وأرغمهما الحق على الاتفاق فيه».

ويضيف «وإن لنا في الدعوة الإصلاحية سلفًا صالحًا يبتدئ بأصحاب رسول الله ﷺ ولا ينتهي إلا بقيام الساعة»[1] .

وإسهاما في التذكير بهذه المعاني الجليلة، فإني أقدم للقراء الكرام وأهل الدعوة، هذه الرسالة الفريدة في بابها لشيخ من شيوخ الإسلام وعلم من أهل علوم القرآن في العصر الحديث، أملا في أن تحقق الغاية المنشودة من تأليفها وتحقيقها، وإسهاما في ترشيد أساليب الوعظ والإرشاد في عصرنا هذا.. والله الموفق للفلاح

كتبه/ عبد القادر محمد المهدي أبو سنيج

---

١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (١/ ٥٠/ ١١٢/ ٢٠٩/ ٣٠٣).

ترجمة المؤلف :

قال الله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٣]

وصف العلامة محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله- القرآن بقوله: «القرآن كتاب الكون، لا تفسّره حق التفسير إلا حوادث الكون.

والقرآن كتاب الدعوة، لا تكشف عن حقائقه العليا إلا تصاريف الدهر.

والقرآن كتاب الهداية الإلهية العامة، فلا يفهمه إلا المستعدّون لها».

ثم بين رحمه الله الأسباب التي توصل لفهمه كي نهتدي به فقال:«جاء القرآن لهداية البشر وإسعادهم، والاهتداء به متوقف على فهمه فهمًا صحيحًا، وفهمه الصحيح متوقف على أمور: منها فقه أسرار اللسان العربي فقهًا ينتهي إلى ما يسمّى ملكةً وذوقًا، ومنها الاطّلاع الواسع على السنة القولية والعملية التي هي شرح وبيان للقرآن، ومنها استعراض القرآن كله عند التوجّه إلى فهم آية منه أو إلى درسها، لأن القرآن كل لا تختلف أجزاؤه، ولا يزيغ نظمه، ولا تتعاند حججه، ولا تتناقض بيّناته، ومن ثم قيل: إن القرآن يفسّر بعضه بعضًا، بمعنى أن مبيّنه يشرح مجمله، ومقيده يبيّن المراد من مطلقه، إلى آخر الأنحاء التي جاء عليها القرآن في نظمه البديع، وترتيبه المعجز، ومنها الرجوع في مناحيه الخصوصية إلى مقاصده العامة، لأن خصوصيات القرآن وعمومياته متساوقة يشهد بعضها لبعضها، وكل هذه الأمور لا تتهيأ إلا لصاحب الفطرة السليمة، والتدبّر العميق، والقريحة اليقظة، والذهن الصافي، والذكاء الوهّاج».

إلى أن يقول رحمه الله :» وما زلنا نرى من آيات حفظ الله لدينه أن يقوم في كل عصر داعٍ أو دعاة إلى القرآن، وإمام أو أئمة يوجّهون الأمة الإسلامية إليه، ومفسّر أو مفسّرون يشرحون للأمة مراد الله منه،

ويتناولون تفسيره بالأدوات التي ذكرناها في أول هذه الكلمة، ويجعلونه حجة على المذاهب والاصطلاحات ومنازع الرأي والعقل، وحكمًا بينها، وأصلًا ترجع إليه ولا يرجع إليها»[1].

وممن اتصفوا بهذه الصفات وتعاملوا مع القرآن بهذا الأدوات الشيخ العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني (- ١٣٦٨ هـ) (- ١٩٤٨ م) .

محمد العظيم الزُّرْقاني (بضم الزاي) :من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر. ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية. وأغلب الظن أنه ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث في تخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين سابقاً.

من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن - ط) و(بحث - في الدعوة والإرشاد ط)[2]، وله رسالة صغيرة في (البدع وموقف الإسلام منها ط)، وله (المنهل الحديث في علوم الحديث.

وقد كان للشيخ رحمه الله نشاط واسع ومساجلات كثيرة ومواقف مشرفة، خاصة على صفحات مجلة الهداية، وهو من كتابها المبرزين وأحد أعضاء لجنة الفتوى بها .

كما أنه كان يشغل منصب الأمين العام لجبهة علماء الأزهر، في حدود عام ١٩٤٧م تقريباً، لكن لا نعرف تفاصيل كثيرة عن ذلك[3] . كما كان رحمه

---

١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/ ٢٢٦/ ٢٢٩) دار الغرب الإسلامي. / الطبعة: الأولى ١٩٩٧.

٢) الأعلام الزركلي (٦/ ٢١٠) قلت وقد بحثت عنه فلم أجد المطبوع .

٣) الشيخ كان أحد العلماء الموقعين على مذكرة – بصفته الأمين العام لها- مقدمة ضد صاحب رسالة (الفن القصصي في القرآن) التي قدمها الأستاذ محمد أحمد خلف الله للحصول على الدكتوراه من كلية الآداب – وقد كان لها صدى كبير وخاصة في البيئات الدينية الإسلامية، لاحتوائها على ما يعد نفياً للصدق التاريخي في القرآن الكريم. يقول أحمد حسن الزيات :» وقد تلقينا كثيراً من الرسائل في هذا الموضوع، منها رسالة من(جبهة علماء الأزهر) مصحوبة بمذكرة مرفوعة إلى

اللّه أحد أبرز مدرسي قسم الوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين.

والناظر في كتب الشيخ يجده – بحق- مجاهداً بقلمه ولسانه، ففي كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» رد مستفيض على الشبهات الواردة في عصره من المستشرقين وأتباعهم من المتغربين، كما أنك تجد في رسالته الصغيرة «البدع وموقف الإسلام منها» تقويماً وتصحيحاً لما هو خروج على تعاليم الدين، وابتعاد عن الاقتداء بسيد المرسلين ﷺ .

وأما كتابه المنهل الحديث في علوم الحديث فهو رد للشبهات حول السنة ورواتها وناقليها من الصحابة الكرام رضي اللّه عنهم مما فشا في القرن المنصرم .

توفي بالقاهرة (٠٠٠ - ١٣٦٧ هـ =..١٩٤٨ م) رحمه اللّه وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه ورحم اللّه علماءنا ومشايخنا رحمة واسعة وبارك في عمر الحي منهم ونفع بهم آمين .... آمين.

(حضرة صاحب الجلالة الملك ورجال دولته الأكرمين) وقد وقع عليها رئيس الجبهة الشيخ محمد الشربيني والأمين العام لها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، وقد جاء في هذه المذكرة (ولقد مضى على نشر هذا النبأ وقت يسمح بتكذيبه لو كان كاذباً، لكن أحداً لم يكذبه، لا المؤلف ولا المشرف عليه، ولا عمادة كلية الآداب التي جاء في الخبر أنها تنتظر بالرسالة حتى ينعقد مجلس الكلية؛ وذلك يدلنا على أن الأمر خطير يجب الإسراع بعلاجه لأنه وباء جديد أشد فتكاً وأفظع أثراً من وباء الكوليرا في هذه الأيام فإنه يجني على الأرواح لا على الأشباح ويصيب الأمة في دينها وهو أعز عليها من حياتها) مجلة الرسالة العدد ٧٤٧ - بتاريخ: ٢٧ - ١٠ - ١٩٤٧

محمد عبد العظيم الزرقاني شاعرا.

شاعر تتنوع قصائده بين الاحتفال بعيد الجلوس الملكي، وتهنئة العلم ومعاهده بجلوس الملك فؤاد على عرش مصر، وبين المشاركة في تأبين عالم أو علم، وإحياء ذكراه، والمشاركة في افتتاح ناد من نوادي العلم والدين، وفي شعره حكمة وموعظة وتأمل في أحوال الدنيا والآخرة، ودعوة إلى العلم والدين، وإعلاء للقيم الإسلامية، وحض عليها، مع المحافظة على وحدة الوزن والقافية.

له قصائد نشرتها جريدة سفينة الأخبار (طنطا)، منها: قصيدة «ذكرى الفقيد العظيم» - ع٣٦ - مارس ١٩٢٢، وقصيدة «تحية النفوس لعيد الجلوس» - أكتوبر ١٩٢٨، وقصيدة «تحية الدين لنادي جمعية الشبان المسلمين» - أكتوبر ١٩٢٨.

يقول في قصيدته ذكرى الفقيد العظيم : في رثاء محمد عبد الرحيم

ألا قـمْ فـذكِّـرْنـا وسـلـسِـلْ حَـيَـا الذكر
وقـصَّ حـديـث المـوت فـيـنـا مـع الـقـبـرِ

فـفـي الـذكـر إبـلاغ وفي المـوت عـبرةٌ
وفي رقـدة الـقـبـر الـتـيـقّـظُ لـلـدهـر

عـجـبـتُ لـهـا دنـيـا تجـود لتشتفي
... وتـخـضـرّ أحـيـانًـا لـتَـيْـبـس بالفور

فـإنْ قـرّبـتْ أفضـت إلـى الـهـمّ والبلا
... ولـو أضحكت يومًا تبكيّ مدى العمر

ومـا المـرء فـيـهـا غـيـر عـودٍ بكفِّها
... يقلِّب طـوعَ الـكـفّ في الـقـرّ والحَـرّ

وجـــــودُكَ فـيـهـا مـسـتـعـارٌ وهـالـكٌ

... وشخصك فيها كالخيال إذا يَسْري

ومـا أنــت إلا كـالمـسـافـر إن يُـقِـمْ

... فوقتٌ، وإن يرحل فسرعان ما يجري

فـويـحـك دارِكَ بـل ودارِ بـهـا الـردى

... لتحظى بـدار الخلـد في آخـر الـدور

وطـــلّـــق هـــواهـــا بـــالـــثـــلاث فـإنـه

... هـوانٌ به الإنـسـان يهوي إلـى الشرّ

أسِـــفْـــتُ لـهـا دنـيـا غـــرورٍ وخـدعـةٍ

... وسـمٍّ زعــافٍ طـيّ مطعمها المـر

حـظـرْتُ عـلـى نفسي احـتـسـاء شرابها

... فنشْـوَتُـهـا تـزري وتـردي بـلا سُكْر

وتـــبْـــتُ إلـــى ربـــي وخـــالـــق قـوّتـي

... وبـــارئ نـفـسـي لـلـعـبـادة والـــبِرّ

وأيـقـنـت أن الـحَـــبْـر مـن عـاش عمره

... مع اللّه صدقًا في الخفاء وفي الجهر

يـعـيـش سـعـيـد الـعـلـم بـاللّه والـرّضـا

... ويحيا بـه إن مـات في خـالـد الأجـر

إذا كـنـت في شـك فـذلـك شيخنا

... وآيـتـنـا الـكـبـرى عـلـى رفـعـة الـقَـدْر

هـــو الـحـــي مـيـتًـا والـحـــيـــاة بـذكـره

... تفيض جــلالاً مـن مـكـارمـه الـغُـرّ

وما مات من كانت بقاياه بيننا
... صنائع تزري بالدراريِّ والدرِّ
لعمرك ما مات الإمام وإنما
... تنقّل من دار الشقاوة والهتر
وأقبل في دار السّعادة والمنى
... لتحيا به الداران حقًا بلا أمر
فما هو إلا شمسُ نورٍ وحكمةٍ
... ومن عادة الشمس التنقّل في السير
هو البحر إلا أنَّ جوهره هدى
... سوى أنه الفياض في البر والبحر
تعهّد قلب الناس بالعلم والتُّقى
... وأحيا رفات الدين بالبعث والنشر

ويقول في قصيدته تحية الدين – وقد ألقاها في حفل افتتاح جمعية الشباب المسلمين شهر أكتوبر–

يا ناديَ الشُّبّان نادِ ... بين الحواضرِ والبوادي
هذا بنائي في البلادِ ... حَرَمُ الهدى للقاصدينْ
أُسِّستُ من تقوى وعلمٍ ... وبُنيتُ من حزمٍ وعزمِ
ورغبتُ في تحصين قومي ... من شر كيد الملحدين
ورفعتُ بالإسلام ركني ... وجلوت بالآداب حسني
وحميت بالأخلاق حصني ... فالدين خلق والخلق دين
وسعيتُ في التجديد جهدي ... من غير تبديدٍ وزهدِ

أقوال العلماء في الثناء على كتابه «مناهل العرفان» .

قال محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله «مناهل العرفان» للشيخ الزرقاني، جمع فيه المؤلف بين الأسلوب البليغ والتحقيق العلمي»[1].

ويقول العلامة المرحوم عبد العظيم المطعني :«مناهل العرفان في علوم القرآن» كتاب غنى بالمعلومات الوفيرة، والاجتهادات الصائبة التي تختص بعلوم القرآن المختلفة[2].

ويقول الأستاذ فهد الرومي :«مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، وهو بحق من أفضل المؤلفات في هذا العلم، فهو إضافة إلى اشتماله على كثير من علوم القرآن، فقد اعتنى صاحبه بالرد على الشبهات الواردة في كل علم قديمًا أو حديثًا، وهو حين يوردها يسوق حججها وبراهينها ثم يكر عليها فلا يبقي لها أثرًا، وإضافة إلى هذا فإنه يقدم هذه العلوم بأسلوب أدبي يشدك إليه شدًّا حتى لتحسب نفسك -وأنت تخوض عويص القضايا- تقرأ قطعة أدبية[3].

ولقيمة الكتاب العلمية اقترح البعض أن يكون هو مرجع الإعلاميين في خطابهم للعامة مثلما فعل الدكتور محمد بستان فهو يقول :«والذي يعنينا في هذا المقام هو تحديث الأسلوب في دراسة علوم القرآن فنجد أمامنا كتاب: (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ الأستاذ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، فقد جَلَّى هذا العلم وأظهره وجدد أسلوبه وهو جيد في الاعتماد عليه مرجعاً لإعداد البحوث الخاصة بالبرامج الإعلامية وإن كان في بعض الأحيان عالي الأسلوب، إلا أن هذه مهمة العلماء المتخصصين في علوم القرآن أن يبسطوا أسلوبه ويجعلوه في متناول

---

١) الأصلان في علوم القرآن (ص: ٥)

٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ١٦٥)

٣) دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي (ص: ٤٤)

السامعين والمشاهدين والمتابعين على الإنترنت[1].

ومع ذلك نجد في الكتاب حرية علمية لم تتقيد بقيد التقليد للسابقين من المؤلفين يقول الدكتور خالد السبت: (كتاب مناهل العرفان من أهم وأشمل ما كتب في هذا الموضوع - أي علوم القرآن - حيث إن مؤلفه تعرض فيه لأهم مباحث هذا العلم وأكثرها فائدة، كما قام بدمج الموضوعات، والأنواع المتشابهة في مبحث واحد، ولم يفرقها كما فعل غيره، مع صياغته لعبارة هذا الكتاب بأسلوب رفيع، ودملجة - أي تسوية - محكمة، في الوقت الذي جمع فيه مادته العلمية من مؤلفات كثيرة ومتنوعة، تزيد على المائة» [2].

ويقول الدكتور توفيق علوان :«كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني – رحمه الله تعالى - من أشهر كتب علوم القرآن، وأكثرها تداولا بين طلبة العلم والباحثين، ومع عكوفي على القراءة المتأنية الدقيقة للكتاب وقفت على ما فيه من الفوائد الجمة والخير العظيم والجهد المبارك مما هو جدير بالاحتفاء والثناء والتقدير ... ومع اعتماده على من سبقه لكن للشيخ إضافات كثيرة نافعة وقيمة».

ويقول في موضع آخر: «وقيمة كتاب الشيخ كبيرة وجهده فيه مبارك–كتب الله أجره- فلقد أجاد فيه سواء من جهة غزارة العلم أو سلاسة التعبير، أو الغيرة والحماسة البادية عند مناظراته للمستشرقين ومن شابههم، في وقت كان اللجوء إلى المناظرات العقلية والمنطقية هو السلاح الأمثل للمنافحة عن الإسلام».

ويقول في موضع آخر «مع الجهد المبارك في جمعه بين مختصرات المطولات التي لا طاقة لطالب العلم بها، ودون اللجوء إلى الاختصار المخل

---

١) تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام د. محمد حسن محمد سبتان الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (ص: ٤٥)

٢)مناهل العرفان للزرقاني – دراسة وتقويم الدكتور خالد بن عثمان السبت (٢/ ٩٢٧) ط دار ابن عفان سنة ١٤١٨هـ.

الذي يعدم النفع بالعلم في مادة علوم القرآن».

ثم وصفه الدكتور توفيق علوان بأوصاف منها «القيمة الكبيرة لسفره النافع...... القيمة العالية لكتابه القيم في مجال علوم القرآن .... العمل الجليل، وهو مصنف عظيم النفع» [1].

وقال الشيخ محمد عجاج الخطيب عن مناهل العرفان : ....«ناقش بعض الشبهات وفندها بالحجج القوية الدامغة، ثم تكلم في أسلوب القرآن الكريم وخصائصه وإعجازه وما يلحق به ورد بعض الشبهات حول ذلك؛ فجاء الكتاب جامعًا في حاجة طلاب الدراسات العالية في كليات الشريعة[2].

القيمة العلمية لرسالة الوعظ والإرشاد:

هذه رسالة صغير حجمها كثير نفعها، جعلها المؤلف - رحمه الله تعالى- مادة للتدريس بكلية أصول الدين بقسم الوعظ والإرشاد –وهو قسم جديد بالأزهر خاصة – وفي العالم الإسلامي عامة.

وهي من أوائل الكتب التي درست في قسم إجازة الوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف.

وهذه الرسالة واحدة من مجموعة مؤلفات كان الغرض منها الارتقاء بحال الدعاة والدعوة في مصر الأزهر، ضمن مشروع الإصلاح الذي قام به شيخ الأزهر الشيخ المراغي رحمه الله وطيب الله ثراه. يقول محمد محمد المدني وهو يتحدث عن مشروعاته الإصلاحية :«ولقد رج الأزهر يومئذ رجة عنيفة هي الرجة التي تصاحب دائماً عهود الثورة، وتغري المصلحين بالمضي

---

١) في كتابه «نقض عقائد الأشاعرة في كتاب مناهل العرفان» ص(٧) وما بعدها/ و ص١٦٢ وما بعدها / ط دار بلنسية المملكة العربية السعودية ط ١ ١٤٢٢هـ

٢) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (ص: ١٥٩) محمد عجاج الخطيب ط مؤسسة الرسالة الطبعة: التاسعة عشر ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

في طريقها غير ناكصين، ومن يتتبع خطواته في الإصلاح يجدها خطوات واسعة وموفقة» ..؛ ومن هذه الخطوات «إنشاء قسم الوعظ والإرشاد ففتح بذلك للأزهر وللأمة وللدين ألواناً من الخير والصلاح ليس ينكرها أحد»........! [١] وكان أول من تولى رئاسته :«الشيخ علي محفوظ وله في الخطابة والوعظ والإرشاد كتب كانت –مع غيرها مما سنذكره– نواة هذا العلم فيما بعد بتخصص الدعوة بالأزهر، وهي كتاب «فن الخطابة وإعداد الخطيب» و«كتاب هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة» و«سبيل الحكمة في الوعظ والخطابة».

ومن هذه الكتب كتاب (مفتاح الخطابة والوعظ) وهو كتاب في العقائد والعبادات والأخلاق والفضائل وآداب المعاملات الشرعية للحكام وسائر الناس، صنفه الأستاذ الشيخ محمد أحمد العدوي أحد علماء الأزهر المشتغلين بالسنة، ومدرسي القسم العالي فيه، ووعاظ المساجد الرسميين؛ ليستعين به في وعظه وخطبه، ويكون خير مادة لغيره من خطباء المساجد وغيرهم من الواعظين، ومباحثه تدخل في بضعة عشر كتابًا. وفي كل كتاب من هذه الكتب فصول فيما تشتد حاجة جميع المسلمين إلى العلم به؛ ومادتها كلها من الكتاب والسنة التي يحتج بها .... عرض المؤلف كتابه هذا على وزارة الأوقاف لتقرر إرشاد خطباء المساجد التابعة لها ووعاظها على الاستعانة به على عملهم ؛ فندبت لجنة من كبار علماء الأزهر لفحصه ، ثم قررت (تحت رقم ١٢٨٢ سنة ١٣٤١) : (إن هذا الكتاب صالح لأن يكون مادة يستعين بها الوعاظ والمدرسون في إلقاء مواعظهم ، ودروسهم) [٢].

ويقول الشيخ محمد عبد العزيز الخولي :«ولقد وزعت وزارة الأوقاف على مدرسيها وخطبائها كتاب (مفتاح الخطابة والوعظ) والذي هو آيات بينات

---

١) مجلة الرسالة (٤١٥/ ١٧) العدد ٤١٥ بتاريخ: ١٩٤١/٠٦/١٦ ،من مقال بعنوان «عهد. . . وعهد مقارنة وتعليل».

٢) مجلة المنار– محمد رشيد رضا (٢٨/ ٣٩٧) ذو الحجة – ١٣٤٥هـ / يونيه – ١٩٢٧م.

وأحاديث صحيحة فلأن يدرسوا للناس هذا الكتاب أولى من درسهم كتب الفقه والكلام ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ»[1].

وكتاب إصلاح الوعظ الديني تأليف الشيخ : محمد عبد العزيز الخولي طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ -١٩٢٩م.

وكتاب « الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب» للإمام محمد أبو زهرة رحمه الله .

وكتاب « فن الخطابة» للدكتور/ أحمد الحوفي - رحمه الله- وهو كتاب كثيرة فوائده وفرائده وغيرها .

ولم يقتصر الأمر-في مصر- على الأزهر بل عم الاهتمام بالخطابة ليشمل كليات الحقوق لحاجة المحاكم الشرعية وأهل المحاماة لذلك العلم.

وليس علم الخطابة ولا التأليف في الوعظ والإرشاد بجديد، ولكن الجديد إدخاله في إطار تنظيمي وتعليمي ومنهجي يخضع للدولة، وهذا من أسباب رقي الدعوة .

- الدعو والإصلاح في العالم الإسلامي :

يقول محمد البهي : ونعني بـ«الإصلاح الديني» في مجال الإسلام: محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين.

ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين، إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف

---

١) مجلة المنار (٢٧/ ٢٥١).

مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره؛ عندما يصبح في غده[١].

لقد استشعر الجميع- في العالم الإسلامي- الحاجة للإصلاح وهي لا تكون إلا عن طريق المساجد، ولا يكون ذلك إلا بنهضة الدعوة .

لذا كتب كثير من العلماء في هذا الفن مصحوبا بالدعوة للإصلاح كما فعل العلامة شيخ الأزهر محمد الخضر حسين رحمه الله – وطيب الله ثراه– وقد تحدث فيه عن الدعوة وأدبها ومن يقوم بها، وما الذي يدعى إلى إصلاحه، وأورد سؤالا مهماً وأجاب عليه .. وهو من هو الواعظ بحق...؟ وقد جعل هذه الموضوعات وغيرها سبيلاً لإصلاح الأمة بالدعوة، ولإصلاح الدعاة بالعلم والعمل[٢].

ومنها ما كتبه الطاهر ابن عاشور في بعض كتبه مثل كتاب «أُصُول الْإِنْشَاء والخطابة» وللشيخ رحمه الله رؤية إصلاحية جعلها واقعاً عملياً ضمنها كتابه: «أَلَيْسَ الصُّبْح بقريب» يقول الْمَهْدي بن حميدة :«بَدَأَ الشَّيْخ مُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور بمساعدة ثلة من الْأَنْصَار الأوفياء في تخطيط مراحل الْإِصْلَاح وتطبيق النّظم الَّتِي يَرَاهَا كفيلة بتحقيق الهدف الَّذِي يصبو إِلَيْهِ لِلْخُرُوجِ بِهَذَا المعهد الْعَظِيم من كبوته بعد أَن تكلم عَن أساليب التَّعْلِيم «الزيتوني» ومناهجه بِلِسَان النَّقْد فِي كِتَابه« أَلَيْسَ الصُّبْح بقريب» الَّذِي أَلفه سنة ١٩٠٧م – ١٣٢١هـ وَالَّذِي ضمنه رُؤْيَته للإصلاح وحدد فِيهِ أَسبَاب تخلف الْعُلُوم مصنفا كل علم على حِدة وَاعْتبر أَن إِصْلَاح حَال الْأمة لَا يكون إِلَّا بإصلاح مناهج التَّعْلِيم وَالْقِيَام على هَذَا الْجَانِب»[٣]. وهو أوَّل مَن أدخل

---

١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور/ محمد البهى (ص: ٣٢٩/٣٣١ وما بعدها) الطبعة الثامنة سنة ١٣٩٥ هـ الناشر مكتبة وهبة.

٢) انظر الدعوة إلى الإصلاح ورسائل الإصلاح بالمجلد الخامس من الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين جمع المحامي علي الرضا الحسيني، من إصدارات مجلة الوعي الإسلامي بدولة الكويت ط ١ ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٣) من مقدمة كتاب التحرير والتنوير/ تَرْجَمَة ابْن عاشور، بقلم الْمَهْدي بن حميدة/ وانظر جَامع الزيتونة الْمَعْلم وَرِجَاله – مُحَمَّد الْعَزِيز ابْن عاشور ص ١٢١.

إصلاحات تعليميّة وتنظيميّة في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية فكرية، صاغها في كتابه الذي يدل على عقلية تربوية فذة، والذي كان شاهداً على الإصلاح التربوي والتعليمي الشرعي المنشود.

وقد أضاف إلى الدراسة موادّ جديدة كالكيمياء والفيزياء والجبر وغيرها، وأكثر من دروس الصرف، ومن دروس أدب اللغة، وشَرَع بنفسه في تدريس ديوان الحماسة، ولعلّه أول من درّس ذلك في الزيتونة[1].

ومن هؤلاء العلامة الْأُسْتَاذِ الْإِمَام « عَبْدُ الْحَمِيدَ بْنُ بَادِيسَ» رَائِدُ النَّهْضَةِ الْحَدِيثَةِ بِالْمَغْرِبِ الْعَرَبِي وَقَائِدُ الْحَرَكَةِ الإِصْلاَحِيَّةِ وَمُؤَسِّسُهَا بِالْجَزَائِرِ... عاش يؤلف النفوس، ويشيد العقول، ويبني الرجال كالجبال، كما قال عنه العلامة الإبراهيمي، ويهيئ للنهضة أرشد وأقوم دعائمها في وقت كان ظلامه المطبق، وإرهاقه المحدق على الجزائر ليس له مثيل حتى ولا في الأساطير[2].

ومنهم كذلك العلامة محمد البشير الإبراهيمي، وقد كان رحمه الله في طليعة المجاهدين في سبيل الإصلاح الديني، ومحاربة الدجل، والبدع، والخرافات، والشركيات[3].

ومازال الركب يسير والدعوات تتوالى والرجال صابرون صامدون، ففي بلاد الحجاز كانت معالم النهضة بقدر موطن الوحي مكاناً ومكانة، ونذكر في ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما قام به كثر كاتبوه كما كثر عارفوه.

ومن هؤلاء الشيخ عبد الرحمن السعدي وله رحمه الله مؤلفات كثيرة في موضوعات شتى، وهذه المؤلفات مليئة بالنظرات الثاقبة، واللفتات البارعة،

---

١) تراجم لتسعة من العلماء لمحمد الحمد (ص: ٩٥).

٢) العقائد الإسلامية لابن باديس (ص: ٩).

٣) تراجم لتسعة من العلماء (ص: ١٢٠).

والاستنباطات الدقيقة التي تدل على ذكاء، وعبقرية، وسعة في الأفق، وتدبر للعواقب، ونظر في المقاصد العليا، والمصالح العامة.

كما أنها مليئة بالفوائد التربوية، والوصايا النافعة، والتجارب الناضجة، التي ربما لا تجد أكثرها في غير مؤلفاته[1].

وفي بلاد الشام كان العلامة جمال الدين القاسمي: «فقد بلغ الجمود من بعض أدعياء الدين أن امتنعوا عن الاحتجاج بالكتاب والسنة، في أي أمر من أمور الدنيا والدين، وقنعوا بكتب الفقهاء وحدها، على ما فيها من اختلاف. وأصبح قول الفقيه عندهم هو وحده الحجة والسند، فلما أدرك القاسمي هذه الحقيقة المرة، رأى أن الإصلاح لا يمكن أن يتم بالاستشهاد بالكتاب وحده، وإن كان دستور المسلمين الخالد، ولا بالسنّة معه، وإن كانت متممة له، لذلك عمد إلى الإكثار من نقل أقوال أئمة المسلمين الغابرين في كتبه، يختار ما كان منسجما مع دعوته السامية، ذلك لأن خصومه من رجال الدين، إذا كان لهم أن يعترضوا على أقواله، فليس لهم أن يعترضوا على أقوال الفقهاء الأقدمين، بل عليهم أن يسلموا بما جاء فيها.

ولم يكن يقتصر في نقوله عن الأئمة المعروفين من المذاهب الأربعة وغيرهم من فلاسفة المسلمين. وإنما كان يجد القول الصحيح لدى زيدي أو معتزلي أو خارجي أو غيرهم، فلا يمنعه ذلك من الاستشهاد بقوله. لا بل قد يرى قولا لأحد العلماء الفرنجة، فيسارع إلى التقاطه وضمه إلى كتابه»[2].

ولا يسعنا في هذه العجالة إلا أن نطلب العذر- حيث لم نوف العلماء وجهودهم حقهم وحقها - وندعو بالرحمة لأعلام الإصلاح في العالم الإسلامي في شتى ربوعه، وحيثما شرقت الشمس وامتد ضوء النهار.

---

١) تراجم لتسعة من العلماء (ص: ١٥٦).

٢) مقدمة المحقق لمحاسن التأويل للقاسمي (١/ ٣).

فكم من علم إصلاح وطالب رشد للأمة يرى حالها ويتمنى إخراجها من محنتها بإصلاحها.

ومن هؤلاء الإمام حسن البنا، فما كتب عنه لهو علامة بارزة في تاريخ الإسلام في العصر الحديث، بل في تراث الإنسانية إن لم نبالغ .

والشيخ محمد رشيد رضا والأمين الشنقيطي وآل شاكر، وغيرهم كثير في الهند والحجاز وفي مصر والشام وفي العراق والمغرب وفي كل مكان .

وهذا الذي ذكرناه إنما هو عن الأفراد الذين تجمعت فيهم خصال الخير والغيرة على الأمة، والخوف عليها فكانوا –ولا يزال غيرهم- يرفعون شعار ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

يقول الدكتور عبد المجيد عمر النجار :«ومن المعلوم أن في الدين الإسلامي وتعاليمه قوة ذاتية تحفظه باقياً عبر الزمان وهو أحد معاني الحفظ الذي وعد به الله تعالى في قوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] فحينما تضعف الأمة فهذه القوة هي التي تدفع للمقاومة ضد الاعتداء الخارجي أو الانحراف الداخلي أو التراجع الحضاري، نجد القوة الذاتية تدفع في تعاليم الدين برجل من المسلمين أو بفئة منهم للعمل على إفراج الشدة وإصلاح الفساد : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِيمَا أَعْلَمُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا».[1] ولو تعرضت أي أمة لما تعرضت له أمة الإسلام لما بقي لها وجود ولكن حفظ الله هذه الأمة بما شرع لها من مبادئ قوية عليها قامت وعنها –وجب – أن تدافع، فلما آل أمر الأمة الإسلامية إلى التخلف الحضاري

---

١) سنن أبي داود (٤/ ١٠٩) في الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، وإسناده صحيح، ورواه أيضاً الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

منذ قرون فإن ضميرها المتمثل في قوة مبادئها ظل يعالجها بصيحات متوالية للإيقاظ من تخلفها، وتصحيح مسارها في طريق التحضر، ولم يخل زمن من أزمان التخلف من صائح موقظ، سواء أكان عالم مجدد، أو مجتهد مصلح، أو قائد مجاهد ومنذ ما يقارب الثلاثة قرون تطورت صيحات الإيقاظ من أن تكون صيحات فردية متفرقة في عمومها إلى أن أصبحت حركات إصلاحية جماعية منظمة»[١].

على أن الجميع كان مقتنعاً بأن الإصلاح يبدأ من المسجد وكما يقول مالك بن نبي :«إن المسلم يعثر على استقلاله الأخلاقي في جو المسجد، إذ يكون اجتماع أشخاص، يخلق تأثير الوعظ لديهم الظروف الأولية التي ظهرت فيها الفكرة الإسلامية على عهد المسلمين الأولين. وقد كانت الطاقة الحيوية لدى صحابة النبي ﷺ في تلك الظروف لا منظمةً فحسب، وإنما موجهةً لأداء نشاط مشترك، نعرف تاريخه.

فإذا ما شعر المسلم في عصرنا هذا، في جو المسجد، بسيطرة الفكرة الإسلامية على غرائزه، وإذا ما وجد نفسه يضل عن هذا الشعور بمجرد خروجه إلى الشارع، فمعنى ذلك أنه لا يجد في الحياة الإطار الضروري الذي ينقذ استقلاله الأخلاقي، حين يوجه طاقته وجهة أغراض حسية ليست مناقضة لمثله الأعلى فحسب، من الناحية النظرية، ولكنها تذكره دائماً بأنه مدفوع مع غيره من المسلمين في نشاط مشترك يجب أن يحقق عملياً هذا المثل الأعلى المشترك»[٢].

وهذه القوة الذاتية المتمثلة في الأفراد أو الجماعات الإصلاحية لم تسلم جميعها من المآخذ أفرادا كانوا أو جماعات أو أحزاب وحركات على اختلاف المسميات، وهذه النتيجة صارت مسلمة، ولكن لو نظرنا إليها

١) الشهود الحضاري للأمة الإسلامية (ج٣ ص٦) مشاريع الإشهاد الحضاري للدكتور عبد المجيد عمر النجار ط دار الغرب الإسلامي ط ٢.

٢) ميلاد مجتمع (ص: ١١١).

في إطار التوحيد والكمال المطلق لله، وهو الغني، مع الاختلاف والنقص في البشر وهم أهل الحاجة، لكان الأمر هين والخطب يسر.

ونقول إن الحركات التجديدية والإصلاحية، سواء أقام بها أفراد أو جماعات إنما هي متكاملة بالنظر إلى اهتماماتها وطرق عملها مجتمعة، فهذه تقوم على التربية والتعليم والعمل، وهذه تهتم بالحديث النبوي وتلفت النظر إليه، وهذه تنظر إلى المقاصد والوسائل وأخرى تنبذ التقليد وتحارب البدع، وأخرى تهتم بالجانب العقدي وكلها تستند إلى الكتاب والسنة بحسب الصلة بهما يكون قربها وبعدها، وبحسب ذلك أيضاً يسلم المنهج ويتضاعف الإنتاج والإنجاز.

وهذه الجهود - ومنها «رسالة الوعظ والإرشاد»- ظهرت في فترة من أشد الفترات على الأمة، ففيها سقطت الخلافة ووزعت تركتها على دول الاحتلال، فوقعت دول الإسلام وعواصم الخلافة ومواطن الثقافة تحت يد المحتل، فالشام ومصر وبلاد المغرب العربي والحجاز والعراق كلها تحت الظلم والجهل، فكان من الطبيعي أن ينهض العلماء للإصلاح، وهو يبدأ من المسجد بالتعليم، « فلن يَصْلُحُ آخِرُ هذه الأمةِ إلا بما صَلَحَ به أوَّلُها» والسبيل إلى ذلك بإصلاح المرشدين .

وهذا ما نجده في رسالة الشيخ وهو يتحدث عن انحطاط الدعوة، وأن سبب ذلك هو الانفصام بين العلماء والأمراء وبين العلماء وعامة الناس وكتاب الشيخ موجه أصالة للمرشدين .

والعلامة الزرقاني - في نظرنا - مجدد بحق، ونظرة في كتابه المناهل تبرهن على ذلك، وعمله وسعيه في جمعية الهداية الإسلامية وعمله مع العلامة محمد الخضر حسين، وعضويته في كبار هيئة العلماء وتصديه للغارات في عصره تثبت ذلك .

رحم الله الجميع وألف بين قلوب المسلمين وجمع كلمتهم على كلمة رب العالمين. آمين آمين آمين .

- **نسبة الرسالة إلى مؤلفها:**

قال الزركلي في ترجمة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني :«من كتبه بحث (في الدعوة والإرشاد)» وأشار إلى أنه طبع[1].

ولم أجده مطبوعاً بالرغم من كثرة البحث والسؤال، لكن المتيقن أن هذه الرسالة لم تحقق، ومن كانت عنده نسخة مطبوعة إن أمدنا بها فله من الله الجزاء ومنا الدعاء.

وممن أشار إلى بحث الدعوة والإرشاد الدكتور خالد السبت ولكن مرجعه كتاب الأعلام للزركلي[2]. وجاء في ترجمته في «موسوعة البابطين للشعر العربي»: «له كتابان مطبوعان: مناهل العرفان في علوم القرآن، وفي الدعوة والإرشاد»[3].

ومن الأمور القاطعة في نسبة الكتاب فهارس المكتبة الأزهرية(١: ١٩٤) و(٧: ٤٧٧).

وهناك أمر آخر جدير بالاهتمام ولفت النظر إليه وهو أن الراجح أن الرسالة بخط المؤلف والدليل على ذلك أمور :

أولا: لا يوجد عليها اسم ناسخ أو كاتب كما هو معروف .

ثانياً : قول المؤلف في مقدمة الرسالة :«فاخترت أن أكتب رسالتي في الوعظ والإرشاد وطرقهما فشرعت مستعينا بالله عز وجل». وهذا نص في كونه كتبها .

---

١) الأعلام الزركلي (٦/ ٢١٠).

٢) (كتاب مناهل العرفان للزرقاني – دراسة وتقويم) الدكتور خالد بن عثمان السبت (١/ ٤٧).

٣) انظر الرابط لترجمة المؤلف بموسوعة البابطين:

huup://www.almoajam.org/poeuu__deuuails.php?id=6581

وقوله أيضاً في المقدمة :«وجعلت عمدتي في رسالتي هذه كتاب الله تعالي وسنة رسوله ﷺ، وآثار سلفه الصالح، مستأنساً بما صح من التفاسير وكتب الحديث وما يوثق به من غير ذلك».

ثالثاً : قال المؤلف في المخطوط (ص ٢٣ ورقة رقم ١٣) «تكتب في عصر القوة» وهي على يمين المكتوب، والجملة التي نبه عليها المؤلف تتناسب مع المكان الذي نبه على النقل إليه، كما أن جملة التنبيه هي نفس الخط تقريباً.

فلو فرض أن المؤلف لم يكتب الرسالة وكتبها غيره ونبه على نقل الجملة لكان المعهود أن يختلف خط التنبيه على خط الرسالة «الصلب أو المتن» ولكن هما سواء تقريباً

وقد يكون - وهذا ما أرجحه - أن يكون المؤلف كتبها وراجعها ليعدها للطباعة فنبه على هذا النقل . والله أعلم بالصواب[١] .

وأيضاً في الورقة رقم ١٦ ص ٢٩: وضع المؤلف عنوان «تاريخ إنشاء قسم الوعظ الحديث» وهو أيضا لا يختلف عن خط الكتابة في الرسالة عموماً. ولذلك أمثلة في بقية الرسالة هي :

وفي الورقة رقم ١٧ الصفحة ٣١ (يكتب أولاً) .

وفي ورقة رقم ١٩ ص٣٥ (وقوله تعالى) ،

وفي ورقة رقم ٢٨ ص٥٣ (ضروري للواعظ لا كمالي) .

---

١) والجملة المنقولة هي :«ومنهم موسى بن سيار الذي قال عنه الجاحظ»، «وكان موسى بن سيار من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية بوزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو أبين، واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة الضيم علي صاحبتها إلا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار، ولم يكن في هذه الأمة بعد أبي موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسي بن سيار ثم عثمان بن سعيد ابن أسعد ثم يونس النحوي ثم المعلي».

وفي ورقة رقم ٥٢ ص١٠١ «تاريخ في المقدمة».

وفي ورقة رقم ٨٦ ص١٧٠ قال المؤلف «نظر في ١٩ نوفمبر ١٩٢٨م» بخط مغاير لخط الرسالة وهو مشابه لها، لكن الظاهر أنها كانت من باب المراجعة لأن سمة هذا الخط السرعة .

رابعاً: قول المؤلف في نهاية الرسالة. «بعون الله تعالى تم تبييضها في يوم الثلاثاء لثلاثة عشر يوماً بقيت من شهر ذي القعدة من سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية».

وعليه فالرسالة صحيحة النسبة إلى مؤلفها كما أنها بخط يده رحمه الله.

- **سبب تأليف الرسالة ومنهج المؤلف رحمه الله:**

من أفضل التعريفات في بيان الأسباب الحاملة على التأليف والمنهج فيما يؤلف، هو ما يكتبه المؤلف نفسه وعن الحامل له والمنهج الذي يتبعه فيما يكتب، والشيخ رحمه الله يفصح عن ذلك فيقول :«لما أنشئ التخصص بالأزهر الشريف، وجعل منه نوع في التاريخ والأخلاق وطرق الوعظ والخطابة، لم تتوجه نفسي إلا لاختيار هذا النوع لما شرح الله تعالى له صدري من حب الوعظ والتعلق بأهدابه الشريفة .

فاخترت أن أكتب رسالتي في الوعظ والإرشاد وطرقهما فشرعت مستعينا بالله عز وجل .

ولما كان من أكبر عدة الواعظ التحلي بالأمانة توخيت أخذ كل شيء من مصدره الحقيقي، ناسباً كل ما تصح نسبته لقائله، وجعلت عمدتي في رسالتي هذه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وآثار سلفه الصالح، مستأنساً بما صح من التفاسير وكتب الحديث وما يوثق به من غير ذلك»[1] .

---

١) أنظر ذلك في ص١٥

وقد بدأها المؤلف بتمهيد بين فيه الباعث على تأليف رسالته، ثم تحدث في المقصد الأول في الحاجة إليها وتاريخها ومراتبها .

ثم تحدث في المقصد الثاني -عن الجانب التاريخي للدعوة-: عن الدعاة وعلماء الوعظ والإرشاد في الصدر الأول، وأردف ذلك بالحديث عن القص والقصاص وأنواع القصص .

وألقى الضوء على انحطاط الدعوة إلى الله تعالى وانتعاشها، وتاريخ إنشاء قسم الوعظ الحديث .

وفي المقصد الثاني : تحدث عن مبادئ الوعظ والإرشاد معرفا للوعظ والإرشاد ولموضوعه، وغايته، وثمرته، وفضله، وحكمه، واستمداده، وأنواعه.

وفي المقصد الثالث: تحدث عن آداب الواعظ والمرشد وقسمه لأنواع تحدث في النوع الأول: عن الآداب التي ترجع إلى تكوينه العلمي وقسمها إلى: ضرورية وكمالية، والضرورية تبتني على خمسة أسس هي :

(١) التمكن من العلوم الدينية .
(٢) البعد عن العقائد الزائفة .
(٣) عدم الخروج عن الكتاب والسنة والآثار وما يوافقها .
(٤) العلم بالبدع الشائعة .
(٥) عدم صرف ألفاظ الشرع عن ظاهرها .

وفي المبحث الثاني -وهو نوعان- تحدث عن آداب الواعظ والمرشد الكمالية وهي :

(١) الإحاطة بالعلوم الكونية .
(٢) حفظ القرآن الكريم وشيء من السنة والآثار .
(٣) سعة الاطلاع والقدرة على التصرف في دائرة الشرع.

وفي النوع الثاني تحدث عن : ما يرجع إلى أوصافه النفسية ضرورية وكمالية.

والضرورية لها آداب هي (١) العمل بعلمه . (٢) الحلم وسعة الصدر. (٣) الشجاعة. (٤) العفة واليأس مما في أيدي الناس . (٥) القناعة والرضاء باليسير. (٦) العلم بأحوال الناس . (٧) قوة الثقة مع الرجاء في الفائدة مهما طال به العلاج . (٨) التواضع والبعد عن الخيلاء . (٩) عدم البخل بالتعليم . (١٠) الحياء والإمساك عن الفضول . (١١) كبر الهمة وعلو النفس. (١٢) التقوى والأمانة والتحرز بطاعة الله تعالى . (١٣) اللين في غير ضعف مع استشعار المحبة لمن يريد إرشاده والحرص على مصلحته، وطيب الكلام ولينه وطلاقة الوجه .. (١٤) ألا يكون همه ثناء الناس عليه.

وأما الآداب الكمالية فهي : (١)الورع . (٢) استشعار محبة من يريد إرشاده والحرص على مصلحته. (٣)محبة الإصلاح والتفاني في خدمة الدين . (٤) الإخلاص في العمل لله تعالى . (٥) سداد الرأي . (٦) توطيد العلاقات بينه وبين الناس والتودد إليهم. (٧) ما يرفع إلى آدابه حالة التأدية .

وأما النوع الثالث: ما يرجع إلى آدابه حال التأدية وهي ضرورية كمالية.

الآداب الضرورية حال التأدية: وهي (١) قوة البيان . (٢) الاقتصار بالناس على قدر عقولهم . (٣) سرعة البديهة والقدرة على الانتقال من موضوع لآخر. (٤) الابتعاد عن الجدال وعدم الخوض مع أهله في مجلس الوعظ . (٥) تنوع الأساليب.

وأما الكمالية فهي : (١) البداءة بصوت معتدل مألوف . (٢) السكوت المناسب بعد اعتلاء مكان الخطابة الوعظية . (٣) أن يسلك التعريض والإشارة ما أمكن . (٤) عدم الاسترسال في الاستطراد. (٥) كمال هيئته

الدينية . (٦) أن يرى علي ملامح وجهه الغضب والفرح عند داعيهما. (٧) عدم الاعتماد على الكتابة . (٨)سكون الجوارح وعدم الالتفات إلا لحاجة وعدم الانتقال من مكان لآخر. (٩) ترتيب نقط الموعظة ترتيباً حسناً. (١٠) النطق باللغة الصحيحة بحالة تتناسب مع استعداد السامعين. (١١) التحلي بالرزانة وعدم الخوف والخفة .

وفي المقصد الرابع تحدث عن : طرق الوعظ والإرشاد . وهي الترغيب والترهيب. والترغيب ضربان : (١) الضرب الأول الترغيب في جنس الطاعات بما جاء في الكتاب والسنة. (٢) الضرب الثاني الترغيب في أنواع الطاعات .

الترهيب، فهو خمسة أضرب :«الضرب الأول: أن يذكر الواعظ ما في القرآن الكريم من الآيات المخوفة للمذنبين .

الضرب الثاني حكايات الأنبياء والصالحين و ما جرى عليهم من المصائب والبلايا بسبب هفواتهم.

الضرب الثالث أن يقرر عند السامعين أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب.

الضرب الرابع: يكون بذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب.

الضرب الخامس: أن يحذر الناس من المعاصي بالخوف من الله تعالى .

وبعد ذلك تحدث عن فضل الخوف، وما يورث الخوف، وأحوال الأنبياء والملائكة في الخوف، وأحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح في شدة الخوف، وتكلم عن الحث على المسارعة إلى صالح العمل والتحذير من التأخير.

وألقى الضوء على سنة الله تعالى في الهداية والإضلال .

وجعل الخاتمة في النثر والسجع والشعر .

- عملي في هذه الرسالة :

وأما عملي في فهذه الرسالة - التي بين يديك – فهو يتجلى في أمور وهي:-

(١) قمت بنسخ الرسالة مع ما فيها من طمس في بعض المواضع- وهي قليلة- مع التصحيح لبعض الأخطاء في المخطوط، وأحياناً الإضافة- وهي قليلة جداً- ليستقيم المعنى، وقد جعلت ذلك بين حاصرتين هكذا [ ].

(٢) أضفت بعض العناوين المضيئة للمعنى، والتي يقف عندها القارئ ليتهيأ لفهم ما سيقرؤه ، وليختار من الموضوعات ما يناسبه، ثم قسمت الرسالة إلى مقاصد كما هو مبين في الفهرس الإجمالي، وجعلت تحت كل مقصد ما يتعلق به من الموضوعات التي تترابط فيما بينها بوحدة موضوعية متآلفة حسب ترتيب المؤلف .

(٣) اعتنيت بعلامات الترقيم وضبطت بالتشكيل الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم- قدر المستطاع .

(٤) عزوت جميع نقول المؤلف إلى مصادرها - إلا النزر اليسير منها- وأضفت بعض الفوائد إكمالاً للمعنى وتوضيحاً له .

(٥) خرجت جميع الأحاديث النبوية، وبينت درجتها قدر المستطاع نقلا عن العلماء .

(٦) وبعد أن انتهيت من هذه الأعمال جمعاً وترتيبا وتصحيحاً وترقيماً وتعليقاً، قمت بكتابة مقدمة ترجمت فيها للمؤلف – رحمه الله تعالى – وبينت أسباب تأليف الرسالة ومنهجه فيها وقيمتها وظروف ظهورها.

هذا وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذه الرسالة، وإتمام ما شاده الشيخ الأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني –رحمه الله تعالى- وعرفت به وبرسالته القراء، وقربت هذا الكتاب ليكون مرجعا سهلاً للخطباء والواعظين، ودرساً نافعاً للطلبة والمستفيدين.

وصلى اللهم وسلم وبارك على عبده ونبيه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه/ عبد القادر محمد المهدي أبو سنيج

***



نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الله بإذنه، وعلى آله وصحبه وحزبه ومن اقتفى أثره واهتدى بهديه .

«وبعد»

- فإن فن الوعظ والإرشاد من أشرف الفنون منزلة وأعلاها درجة لما :
- أنه مهمة الأنبياء والمرسلين، ومن على سننهم من العلماء والعاملين، ومن الهداة المرشدين والقادة المصلحين .
- وأن الكتب السماوية أهم مقاصدها الوعظ والإرشاد، بالدعوة إلى الخير وإيقاف النفوس عند حدود الأدب فتوفر لها السعادة في الدارين .
- أيضا شرفه من حيث غايته - التي هي أشرف الغايات- وهي إصلاح النفوس البشر لتصلح معاشاً ومعاداً وشرف العلم بشرف غايته .
- ومن حيث موضوعه الذي هو أشرف الأمور وأعظمها، وهو المواعظ النافعة لإصلاح النفوس، والنفوس أشرف من الأجسام، والمتعلِق يشرف بشرف المتعلِّق [به]
- ومن حيث فائدته التي هي التخلي عن الرذيلة والتحلي بالفضيلة.

لذلك.

لما أنشئ التخصص بالأزهر الشريف، وجعل منه نوع في التاريخ والأخلاق وطرق الوعظ والخطابة، لم تتوجه نفسي إلا لاختيار هذا النوع لما شرح الله تعالى له صدري من حب الوعظ والتعلق بأهدابه الشريفة .

فاخترت أن أكتب رسالتي في الوعظ والإرشاد وطرقهما فشرعت مستعينا بالله عز وجل .

ولما كان من أكبر عدة الواعظ التحلي بالأمانة توخيت أخذ كل شيء من مصدره الحقيقي، ناسباً كل ما تصح نسبته لقائله، وجعلت عمدتي في رسالتي هذه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وآثار سلفه الصالح، مستأنساً بما صح من التفاسير وكتب الحديث وما يوثق به من غير ذلك.

وبالله تعالى التوفيق والهداية لأقوم طريق .

المقصد الأول: في الحاجة إلى الدعوة وتاريخها

(الحاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى - مراتبها - الدعاة إلى الله تعالى- القص والقصاص - انحطاط الدعوة إلى الله تعالى - انتعاشها).

التمهيد

لما كان الكلام على الدعوة إلى الله تعالى التى هي (الوعظ والإرشاد) يستتبع بيان الحاجة إليها ومراتبها، والقائمين بها وأطوارها، بينا ذلك على وفق ترتيبه الطبيعي والله المستعان .

(١) الحاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى :

الله تعالى خلق الإنسان على ضعفه ووداعته وميله بفطرته إلى الخير محفوفاً بما لو أطلق لنفسه العنان فيه لهلك ذلك أنه :

١- لما ركب فيه من شهوة قد تسبح به في لجج الهوى، والعقل وحده غير كاف لكبح جماحها ويعوزه النصير .

٢- إنه وإن كان مدنياً بطبعه اتحادياً تعاونياً فقد يستهويه حب الأثرة بالنافع، فيستحيل معولاً لهدم ذلك لبناء، لا عامل بناء كما خلق .

٣- قد خلق نفاعاً يحب الخير للغير، ويجود عليه بفضل ماله، غير أن نفسه قد تمسكه بخلاً وتمنعه حرصاً، إذ أنه هو الذي تعب في الحصول عليه دون غيره وحبب إليه حتى صار شقيق روحه: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[الفجر: ٢٠]).

٤- إن إدراكه الشر شراً والخير خيراً حاصل بالحواس عن طريق التجربة، فلا يدرك الشر إلا بعد أن يشقى بويلاته، ولا الخير إلا بعد أن يتذوق نفعه، فلو ترك وتجاربه فهو هالك لا محالة، وربما يحسب

الخير شرا فيكرهه، أو الشر خيراً فيحبه: (﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]) .

٥- لقصر نظره عن ثواب الآخرة وعقابها، وهو وإن أدركه لا يدركه إلا مجرد تصور، لا يلبث أن يزول بحب الدنيا وما يخيل إليه فيها من نعيم: (﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١]) قد يحرم نعيمها ويصلى جحيمها، وهي الباقية لا غيرها .

٦- لجهله فائدة التكاليف الشرعية في الدنيا له، والآخرة غيب قد يجبن عنها لمشقتها البدنية والمالية، فما أحوجه إلى مرشد بصير بأحوال هذه الدار، منزه عن الأغراض، وناصح حكيم يرده إلى رشاده .

لهذا وغيره، افتقد الإنسان- لا محالة - إلى مرشد أمين يؤلف له بين أغراضه المتضادة، ويسير به على قانون عادل يدفع به الناس بعضهم عن بعض، لئلا يتطرق الفساد وتسود الفوضى (﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١]) لا يميز هذا القانون بين شريف ووضيع وملوك وسوقة إلا بالتقوى (﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]) (﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]) ذلك القانون هذا الشرع الشريف والملة العادلة .

٧- ولتشعب مشاغل الإنسان وعدم قدرته على القيام بكل مرافق الحياة، ناط الحكيم العليم كلاً بعمل يؤديه، ومهنة يزوالها للتعاون على مشاق الحياة.

ولما كانت مهمة تبليغ تلك الشريعة ونشر أحكامها من أدقها مسلكاً وأعظمها خطراً ومسؤولية على من قام بأعبائها، اختار الله تعالى لها من صفت أرواحهم وعلت هممهم وتكملت نفوسهم، وهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن على سننهم من العلماء والعاملين

والقادة المرشدين .

(٢) مراتبهـا

للدعوة إلى الله تعالى مراتب أربع :

١- دعوة الأنبياء والمرسلين مؤيدين بالمعجزات كالقرآن لسيدنا محمد ﷺ، وإحياء الموتى لسيدنا عيسى عليه السلام، والعصا لسيدنا موسي عليه السلام مثلاً ثم بالحجة والبرهان ثم بالسيف.

ولجمعهم عليهم الصلاة والسلام بين هذه الأشياء دون سواهم وبداءتهم بالدعوة، وقوة تأثيرهم في القلوب لصفاء نفوسهم وطهارة أرواحهم كانت دعوتهم راجحة على غيرهم.

٢- دعوة العلماء العاملين بالحجة والبرهان فقط.

٣- دعوة المجاهدين بالسيف لإعلاء كلمة الله تعالى ، وتأييد الحق وكبح جماح المعتدين .

٤- دعوة المؤذنين بالآذان فهم أيضاً دعاة إلى الله به [1] .

---

١) قال ابن منظور: «الدُّعَاةُ: قومٌ يَدْعُونَ إِلَى بَيْعَةِ هُدىً أَو ضَلَالَةً، واحدُهم دَاعٍ. وَرَجُلٌ داعيَةٌ إِذَا كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى بِدْعة أَو دين، أُدْخِلَت الهاءُ فيه للْمُبَالَغَة. وَالنَّبيُّ، ﷺ، دَاعي اللَّه تَعَالَى، وَكَذَلِكَ الْمُؤَذِّنُ. وَفِي التَّهْذِيب: الْمُؤَذِّنُ دَاعِي اللَّه وَالنَّبِيُّ، ﷺ، دَاعِي الأُمَّة إِلَى توحيد اللَّه وطاعته وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ. يراجع لسان العرب (٢٥٩/١٤) وانظر التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٥٣٦) وفي المسند وغيره أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْحُكْمُ فِي الْأَنْصَارِ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ فِي الْمُسْلِمِينَ» فالدَّعْوَة الأذانَ قال الزمخشري: «والدعوة في الْحَبَشَة. يَعْنِي الأَذان جعله في الْحَبَشَة تَفْضِيلًا لبِلَال ورفعاً مِنْهُ» راجع الفائق في غريب الحديث (٤٢٦/١) غريب الحديث لابن الجوزي (٣٣٩/١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٢٢) قال ابن عبد البر: «وَالْأَذَانُ إِنَّمَا هُوَ النِّدَاءُ قَالَ اللَّه تَعَالَى ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ (الْجُمُعَة: ٩) وَقَالَ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (الْمَائِدَة:٨٥) قَالَتْ عَائِشَةُ نَزَلَتْ هَذه الْآيَةُ فِي الْمُؤَذِّنِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فُصِّلَتْ:٣٣)». الاستذكار (٣٧٦/١) وفي مُصنف ابن أبي شيبة (٢٢٦/١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ :مَا عَمَلُك ؟ قَالَ: الأَذَانُ قَالَ : نِعْمَ الْعَمَلُ عملك ، يَشْهَدُ لَكَ كُلُّ شَيْءٍ سَمِعَك.

(٣) الدعاة إلى الله تعالى:

قال تعالى (﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٦]) .

والدعاة إلى الله تعالى هم الأنبياء والمرسلون، والعلماء والمجاهدون، والأئمة العادلون، وكل مؤمن أجاب الله تعالى فيما دعا إليه، ودعا غيره إلى ما أجاب إليه .

فأثبت الله تعالى الأحسنية في القول لمن أرشد إلى طاعة الله تعالى ، بعد أن أسلم وعلم وعمل بما أرشد إليه، واعتقده بقلبه، واتسم بفاضل الخلق وتنزه عن رذيلة .

ذلك أن من لازم الواعظ الكمال، ويحصل بالإسلام والعلم مع الاعتقاد والعمل، والاتصاف بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن الأخلاق السيئة، وكل ذلك قد تضمنه النظم الكريم.

إذ الإسلام والعلم مع الاعتقاد شرط في صحة العمل المصرح به في الآية.

كما تضمن أيضاً وصفه بجميل الخلق لما أن (﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ [فصلت: ٣٤]) حضٌ على فعل الحسنة بدل السيئة، ويدخل [في الحسنة] كل خلق حسن، وفي السيئة كل خلق سيئ، وختم الله تعالى النظم الكريم بتوصية الواعظ بالتحصن بالله تعالى إذا اختلج قلبه نزغ من الشيطان، وحمل على ما لا ينبغي، رمزاً إلى أن الواعظ من لازمه أن يكون في أعلى مراتب الكمال، حاصلاً على درجات السعادة

المطلوبة (كاملة) بتهذيب نفسه، وحملها على التزام حد الوسط دون تفريط أو إفراط، وجعلها محلاة بفاضل الصفات،(وأكمل) باشتغاله بتكميل الناقصين ودعوة الخلق إلى الحق.

وأول من قام بأعباء هذه المهمة الخطيرة الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخلفهم على ذلك:

(١) في عالم الأجساد الملوك العادلون، لحفظ نصاب الأمن ورد صولة الاعتداء.

(٢) في عالم الأرواح العلماء العاملون لما ورد عنه ﷺ(الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وفيه زيادة في رواية أحمد عن أبي الدراداء مرفوعا (إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ)[1].

ولا ريب أن المقصود بالذات إنما هو الأرواح، وما الأجسام إلا أوعية لها فحسب.

ومن هذا يعلم أن أكمل درجة بعد درجة الأنبياء صلوات الله وسلامه

---

١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٤٦) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان (١/ ٢٩٠) ترتيب: الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ط١ : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م :«حديث حسن، وأخرجه أبو داود «٣٦٤١» في أول كتاب العلم، وابن ماجة «٢٢٣» في المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، والدارمي ١/٩٨، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ص ٣٩و٤٠، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/٤٢٩، والبغوي «١٢٩»، من طرق عن عبد الله بن داود، بهذا الإسناد.، وأخرجه أحمد ٥/١٩٦، وابن عبد البر، ٣٧ و٣٨ و٤١ من طرق عن عاصم بن رجاء، به.،وأخرجه أبو داود «٣٦٤٢» ، عن أبي الدرداء ... وهذا سند حسن في الشواهد، فيتقوى الحديث به..... وعبارة: «وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورَّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» أوردها البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم، ضمن عنوان باب العلم قبل القول والعمل. قال الحافظ في«الفتح» ١/١٤٧ «طبعة بولاق»: «طرف من حديث أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه غيرهم لاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها»... وأخرجه أحمد ٥/١٩٦، والترمذي «٢٦٨٢» .

عليهم العلماء، لخطورة مهمتهم وعظم مسئوليتهم، وتعلقها بمناط التكليف ومهبط الأسرار الإلهية ألا وهو الروح .

ولا ريب أن الشيء يشرف بشرف متعلقه، فهم خليفة الله عز وجل في عالم الأرواح، والعارفون بما يجب له من كمال وما يستحيل عليه من نقص، فنيطت بهم الدعوة إليه تعالى ، وعنهم وحدهم تؤخذ الفضيلة، وإليهم دون غيرهم تخضع النفوس وتنقاد نحو السعادة، بما يرشدون إليه من صحيح العقائد والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

نعم هم كذلك، إذ لا شك في أن الأمة إذا أفرطت أو فرطت في شيء يستعان عليها بوعاظها، ليذودوها عن الطريق العوجاء إلى سواء السبيل علم الناس فيهم ذلك، وأعدوهم له عاجلا وآجلا فساروا بهم في سبيل الخير دنيا وأخرى.

أجل فقد وصفهم الله بالفلاح (﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤]) .

وروي عَنْ جَابِرٍ – رضي الله عنه – قال ﷺ: « يُبْعَثُ الْعَالِمُ وَالْعَابِدُ، فَيُقَالُ لِلْعَابِدِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، وَيُقَالُ لِلْعَالِمِ: اثْبُتْ حَتَّى تَشْفَعَ لِلنَّاسِ بِمَا أَحْسَنْتَ أَدَبَهُمْ»[١] .

والعلماء وإن تفاوتت درجاتهم من علماء بالله وهم الحكماء، وعلماء بصفات الله تعالى وهم أصحاب الأصول، وعلماء بأحكام الله تعالى وهم الفقهاء، فهم داعون إلى الله جميعاً .

---

١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٣٤)ح(١٥٨٨) وقال مشيرا إلى ضعفه: «تَفَرَّدَ بِهِ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ» وأخرجه ابن عدى (٤١٢/٢ ، ترجمة ٥٣١ حبيب بن أبى حبيب)،. وأخرجه أيضًا : الديلمى (٤٦٥/٥ ح ٨٧٧٣)

علماء الوعظ والإرشاد في الصدر الأول

وفي الصدر الأول كان يتصدر للوعظ والإرشاد في المساجد والمجتمعات الكثير من العلماء العاملين ويؤم مجلسهم العظماء ويتبعهم كثير من العامة ومن هؤلاء:

(١) الحسن البصري رضي الله عنه[١] :

هو أبو سعيد بن يسار البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع بين العلم والزهد والورع والعبادة، وأبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وَأمه خَيرة مولاة أم سَلمَة زوج النَّبِي ﷺ . وَكَانَت خيرة رُبمَا غَابَتْ فيبكي الْحسن فتعطيه أم سَلمَة ثديها تعلله به إِلَى أَن تَجِيء أمه، فدر عليه ثديها فَشرب مِنْهُ فيرون أَن تِلْكَ الْحِكْمَة والفصاحة من بركَة ذَلِك[٢].

قَالَ أَبُو عَمْرٍو بنُ العَلاَءِ: مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنَ الحَسَنِ البصري[٣].

قيل لما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان، أيام يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ١٠٣هـ ، فقال لهم: إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده،

---

١) ترجمة الحسن البصري في طبقات ابن سعد ٧: ١٦ ،وتهذيب التهذيب ٢: ٢٦٣ وميزان الاعتدال ٥٢٧:١ وتذكرة الحفاظ: ٧١ وحلية الأولياء ٢: ١٣١ وطبقات الشيرازي،الورقة:٢٤ وأقواله وأخباره منثورة في البيان والتبيين وأمالي المرتضى وقد جمع ابن الجوزي في سيرته كتاباً؛ ودرسه إحسان عباس دراسة نقدية في كتاب بعنوان «الحسن البصري» وأشار إلى مصادر أخرى عنه (دار الفكر العربي- القاهرة ١٩٥٢)، وانظر تحقيقه لوفيات الأعيان لابن خلكان(٦٩/٢) نشر:دار صادر- بيروت.

٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٥٧) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار (٢٠٧/١) والتعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح (٢/ ٤٨٧) لأبي الوليد الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ) تحقيق: د. أبولبابة حسين نشر: دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض ط١: ١٤٠٦- ١٩٨٦.

٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٥٧٨) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢/ ١١٧) وفيات الأعيان (٢/ ٧٠).

وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر، فما ترون....؟

فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقية، فقال ابن هبيرة: ما تقول يا حسن فقال: يا ابن هبيرة :«خف الله في يزيد ولا تخف يزيداً في الله، إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصر إلى ضيق قبر، ثم لا ينجيك إلا عملك؛ يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ فأجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن، فقال الشعبي لابن سيرين: سفسفنا له فسفسف لنا.[1] نقل من وفيات الأعيان لابن خلكان[2].

ولد بالمدينة زمن عمر، وسمع عثمان وروي عن عمران بن حصين وأبي موسي وابن عباس رضي الله عنهم وجندب رضي الله عنه. وأكثر كلامه حكم وبلاغة وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

---

١) وفي شذرات الذهب لابن العماد(١٣١/١) فأضعف جائزة الحسن عليهما فقالا له قشقشنا فقشقش لنا والقشقشة الردىء من العطية، وفي تهذيب اللغة (٢٠٤/٨) وَالْعرب تَقول للرَّاتع الَّذِي يلقطُ الشَّيْء الحقير من الطَّرِيق فيأكله: قَشَّاشٌ ورمامٌ، وَقد قَشَّ يَقُشُّ قَشاً، ورمَّ يَرُمُّ رَماً.، وفي تكملة المعاجم العربية(٨٦/٦) سفسف: أهذر في منطقه «وفي الصحاح في اللغة(٣١٩/١) السَفْسافُ: الرديءُ من كلّ شيء، والأمرُ الحقيرُ وفي الحديث:«إنَّ الله يحب مَعالي الأمور ويكره سَفْسَافَها» والسَفْسافُ: ما دَقَّ من التراب، والمُسَفْسِفَةُ:الريحُ التي تثيره وتجري فُوَيْقَ الأرض.والسَفْسَفَةُ: انتخالُ الدقيق ونحوه. وفي المحكم والمحيط الأعظم(٤٢١/٨) والمُسَفْسِفُ اللَّئِيمُ العَطِيَّة.

٢) قال إحسان عباس في تعليقه على وفيات الأعيان (٢/ ٧٢) وردت في (أ) بعد هذا الموضع الزيادة الآتية: وقال لمطرف بن عبد الله بن الشخير: يا مطرف غلط أصحابك، فقال مطرف: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: رحمك الله وأينا يفعل ما يقول لود الشيطان أنه ظفر بهذا منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر.

(٢) سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رضي الله عنه[1]:

هو أبو عبد الله : سفيان بن سعد الثوري الكوفي، كان إماماً في الحديث وغيره، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين كان يعظ الناس ويشوقهم إلى الله تعالى ، ويرغبهم في ثوابه ويحذرهم عقابه، وكان الناس يختلفون إليه، توفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ، وثوري نسبة إلى ثَوْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ من أجداده [2].

(٣) ابن سمعون[3]:

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل الواعظ البغدادي، المعروف بابن سمعون، كان وحيد دهره في الكلام على الآخرة، قديراً على حسن الوعظ وحلاوة الإشارة ولطف العبارة، وكان لأهل العراق فيه اعتقاد عظيم وتعلق شديد، توفي ببغداد سنة ٣٨٧ هـ [4].

---

١) ترجمة سفيان الثوري في الفهرست: ٢٢٥ وطبقات الشيرازي، الورقة: ٢٣ وطبقات ابن سعد ٦: ٣٧١ والمعارف: ٤٩٧ والجواهر المضية ١: ٢٥٠ وحلية الأولياء ٦: ٣٥٦ وتهذيب التهذيب ٤: ١١١ وتاريخ بغداد ٩: ١٥١ وتذكرة الحفاظ: ٢٠٣ ورجال ابن حبان: ١٦٩. ووفيات الأعيان (٢/ ٣٨٦)

٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٦/ ٣٧١)

٣) ترجمته في تاريخ بغداد ١: ٢٧٤ وتبيين كذب المفتري: ٢٠٠ والمنتظم ٧: ١٩٨ وصفة الصفوة ٢: ٢٦٦ والشريشي ١: ٣٢٢ وطبقات الحنابلة ٢: ١٥٥ والوافي ٢: ٥١ وعبر الذهبي ٢: ٣٦ والشذرات ٣: ١٢٤. وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٤)

٤) وفي الوافي بالوفيات (٢/ ٣٨) للصفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث – بيروت سنة :١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م قال :«الْوَاعِظ الْخَطِيب كَانَ أوحد دهره وفرد عصره فِي الْكَلَام على علم الخواطر والإشارات ولسان الْوَعْظ، دون النَّاس حكمه وجمعوا كَلَامه من كَلَامه «رَأَيْت الْمعاصِي نذالة فتركتها مُرُوءَة فاستحالت ديانَة» انتهى. وفي وفيات الأعيان (٤/٣٠٤):«كان لأهل العراق فيه اعتقاد كثير، ولهم به غرام شديد، وإياه عني الحريري صاحب المقامات في المقامة الحادية والعشرين وهي الرازية بقوله في أوائلها: رأيت بها ذات بكرة، زمرة أثر زمرة، وهم منتشرون انتشار الجراد، ومستنون استنان الجياد، ومتواصفون واعظا يقصدونه، ويحلون ابن سمعون دونه ولم يأت بعده في الوعاظ مثله».

(٤) شيذلة الواعظ [١]:

هو أبو المعالي : عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي، المعروف بشيذلة الفقيه الشافعي الواعظ، كان فقيهاً فاضلاً واعظاً ماهراً فصيح اللسان حلو العبارة كثير المحفوظات، صنف في الفقه وأصول الدين والوعظ، توفي سنة ٤٩٤ هـ ببغداد، وشيذلة بفتح فسكون ففتح لقب له[٢].

(٥) الإمام ابن الجوزي عالم الآفاق وواعظ العراق[٣]:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي الواعظ، الملقب بجمال الدين الحافظ، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عدة، وله في الوعظ المؤلفات المفيدة منها تلبيس إبليس ورُؤُوس القوَارِير والمنتخب في النوب[٤]

---

١) قال إحسان عباس في تعليقه على وفيات الأعيان(٣/ ٢٥٩):» ترجمته في المنتظم ٩: ١٢٦ وطبقات السبكي ٣: ٢٨٧ وعبر الذهبي (٣: ٣٣٩) والشذرات(٣: ٤٠١)؛ وذكر السبكي أن لقبه شيلد، وقال: بفتح الشين المعجمة وسكون(الياء) آخر الحروف وفتح اللام والدال، فتأمل الفرق بين الضبطين، وذكر في التاج لفظ «شيذله» وقال إن السبكي ضبطه بالدال المهملة مما قد يرجح أن المطبوعة من الطبقات وقع فيه خطأ. قلت: وهذه الترجمة مطابقة لما في المسودة». انتهى

٢) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان(٣/٢٦٠) وشيذلة: بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة واللام وبعدها هاء ساكنة، وهو لقب عليه، ولا أعرف معناه من كثرة كشفي عنه.

٣) انظر ترجمته في : صيد الخاطر، ولفتة الكبد، والمنتظم للمؤلف، وابن نقطة في التقييد، الورقة «١٤١»، وابن الأثير في الكامل «١٢/ ٧١»، وابن الدبيثي في الذيل على تاريخ بغداد، الورقة «١٢٢»، وابن أبي الدم في التاريخ المظفري، الورقة «٢٢٩»، وسبط ابن الجوزي في المرآة «٨/ ٤٨١»، والمنذري في التكملة، الترجمة «٦٠٨»، والنعال في المشيخة «١٤٠»، أبو شامة في ذيل الروضتين «٢١»، وابن الساعي في الجامع «٩/ ٦٥»، وابن خلكان في الوفيات «٣/ ١٤٠»، والذهبي في تاريخ الإسلام، الورقة «٩٨»، وسير أعلام النبلاء «٢١/ ٣٦٥»، وابن كثير في البداية «٣/ ٢٨»، والدمياطي في المستفاد، الورقة «٦»، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة «١/ ٣٩٩»، والغساني في العسجد، الورقة «١٠٦»، وابن الجزري في غاية النهاية «١/ ٣٧٥»، والعيني في عقد الجمان «١٧»، الورقة «٢٦١» وكثير غيرهم.

٤) يقع في مجلد أوَّله: (الحمد لله على ما أولاه، حمدا يوافق رضاه . الخ). وهو كتاب جامع في الموعظة. ذكر فيه كتباً من مؤلفاته. انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٨٥٠)

وصيد الخاطر[1].

ومن محاسنه ما روي عن أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي من أدباء القرن السادس في رحلته ما محصله : «قال شاهدنا صبيحة يوم السبت مجلس الشيخ الفقيه، الإمام الأوحد، جمال الدين أبي الفضائل بن على الجوزي، بإزاء داره على الشط (شط دجلة) بالجانب الشرقي على اتصال من قصور الخليفة، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفراء كل الصيد، آية الزمان، وقدوة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، ومالك

---

١) قَالَ سبْطه أَبُو المُظَفَّر: سَمعْتُ جَدِّي عَلَى المنْبَر يَقُوْلُ: بأُصْبُعَيَّ هَاتَيْن كَتَبتُ أَلْفَي مُجَلَّدَة، وَتَاب عَلَى يَدَيَّ مائَةُ أَلْف، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ عشْرُوْنَ أَلْفاً. وَكَانَ يَخْتم في الأُسْبُوْع، وَلاَ يَخْرُج منْ بَيْته إِلاَّ إِلَى الجُمُعَة أَو المَجْلس. قُلْتُ: فَمَا فَعَلَتْ صَلاَةُ الجَمَاعَة؟! ثُمَّ سرد سبْطه تَصَانيْفه، فَذَكَر منْهَا كتَاب «المُخْتَار في الأَشعَار» عشر مُجَلَّدَات، «درَة الإكليل» في التَّاريْخ، أَرْبَع مُجَلَّدَات، «الأَمثَال» مُجَلَّد، «المُنْفعَة في المَذَاهب الأَرْبَعَة» مُجَلَّدَان، «التبصرَة في الوَعْظ»، ثَلاَث مُجَلَّدَات، «رُؤُوس القوَارير» مُجَلَّدَان، ثُمَّ قَالَ: وَمَجْمُوْع تَصَانيْفه مائَتَان وَنَيِّفٌ وَخَمْسُوْنَ كتَاباً.... قُلْتُ: وَكَذَا وُجدَ بخَطِّه قَبْل مَوْته أَنَّ تَوَاليفه بلغت مائتين وخمسين تأليفًا.... ومن غرر ألفاظه: عقَارب المنَايَا تَلْسَع، وَخُدرَانُ جسْم الأَمَال يَمنَعُ، وَمَاء الحَيَاة في إنَاء العُمر يَرشح.... يَا أَميْرُ: اذْكُر عنْد القدرَة عَدْلَ الله فيك، وَعنْدَ العقوبَة قدرَة الله عليك، وَلاَ تَشف غَيظَك بسَقَم دينك..... وَقَالَ لصديق: أَنْتَ في أوسع الْعذر منَ التَأَخُّر عَنِّي لثقتي بك، وَفي أضيقه منْ شَوْقي إليك..... وَقَالَ لَهُ رَجُل: مَا نمتُ البَارحَة منْ شَوْقي إلَى المَجْلس قَالَ: لأَنَّك تُريْد الفرجَة، وَإِنَّمَا يَنْبَغي اللَّيْلَة أَنْ لاَ تَنَام. وَقَام إليه رَجُل بغيض، فَقَالَ: يَا سيِّدي: نُريْد كلمَة ننقلهَا عَنْكَ، أَيُّهمَا أَفْضَل أَبُو بَكْر أَوْ على؟ فَقَالَ: اجْلسْ، فَجَلَسَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَعَاد مقَالَته، فَأقعده، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: اقعدْ، فَأَنْتَ أَفْضَل منْ كُلِّ أَحَد.... وَسَأَله آخرُ: أَيُّهمَا أَفْضَلُ: أُسبح أَوْ أَسْتَغْفر؟ قَالَ: الثَّوْب الْوَسخ أَحْوَج إلَى الصَّابُوْن منَ الْبخُور... يراجع سير أعلام النبلاء(٥١/ ٨٥٤) وفي وفيات الأعيان(٣/ ١٤١) ومن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلى، رضي الله عنهما، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاما شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فقالت السنة: هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي لأن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة. وله محاسن كثيرة يطول شرحها.

أزمة الكلام في النظم والنثر.

ومن أبهر آياته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القرّاء بالقرآن، وعددهم يربو على العشرين قارئاً، فينتزع منهم الثلاث آيات من القرآن يتلونها على نسق بأدب وخشوع، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آيات ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات، إلى أن يتكاملوا قراءة، فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام - الغريب الشأن- في إيراد خطبته، عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقراً، وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدما ولا مؤخراً.

ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا!.. ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الطور: ١٥]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦] فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبر كالخبر !.

ثم أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بيّنات من الذكر، طارت لها القلوب، وذابت بها النفوس، إلى أن علا الضجيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده، فيجرها ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكر أهوال يوم القيامة.. وفي أثناء مجلسه هذا تطير إليه الرقاع بالمسائل، فيجاوب أسرع من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.(١). قال «وبمثل ذلك شاهدنا له مجالس أخر كما شاهدنا لغيره كالشيخ الإمام رضي الدين القزويني» انتهى كلامه.

فبمثل هؤلاء الأجلاء المباركين، والأولياء المتقين ترحم العصاة، وتقلع

١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال (ص ٤٧١: ٦٧١) وما بعدها

الجناة وتستدام العصمة والسلامة، وتسعد الأمم في الدنيا والآخرة، وكثيرا ما كانوا يستعينون على التذكير بضرب الأمثال وذكر قصص الأولين، سيراً مع أسلوب القرآن الكريم، واسترعاءً لأسماع الحاضرين .

٤- القص والقصاص[١]:

القص والقصص تتبع الأثر، وَقَدِ (اقْتَصَّ) الحَدِيثَ رَوَاهُ عَلَى وَجْهِهِ هكذا في اللغة .

والقُصَّاصُ هم الذين يقصون على الناس[٢].

ويكون من علمهم التفسير والأثر والخبر عن الأمم البائدة وغيرها، وينقلون ذلك موعظة واعتباراً، وقد كانوا في القرون الأولى يقدمونهم في بعض حروب بني أمية، يقصون على المقاتلين أخبار الشهداء وفضائلهم،

١)للوقوف على أخبار القصاص وتحذير العلماء منهم فإن للإمام السيوطي كتابا بعنوان :«تحذير الخواص من أكاذيب القصاص» تحقيق: محمد الصباغ ط:المكتب الإسلامي : ١٣٩٤ هـ /١٩٧٤م وللوقوف على النواحي الأدبية مشوبة بالتحذير فانظر البيان والتبيين (١/ ٢٩٣)وما بعدها، وتاريخ آداب العرب للرافعي (١/٢٤٥) وما بعدها، ومصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد نشر: دار المعارف بمصر ط٧ : ١٩٨٨ (ص:٢٤٥)، وانظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه(٢/ ٨٧٥)وما بعدها(لعبد السلام بن محسن آل عيسى الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،ط١: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) وانظر كذلك التراتيب الإدارية للكتاني (٢/ ٢٢٨) حيث يقول رحمه الله :«وانظر كتاب القصّاص والمذكّرين للحافظ ابن الجوزي، وكتاب المذكر والتذكير والذكر، لأبي أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم، وكتاب الحافظ العراقي المسمى بالباعث على الخلاص من حوادث القصاص، قال الزبيدي في الإتحاف: الذي تلخص مما ذكرنا أنه لا ينبغي أن يقصّ على الناس إلا العالم المتقن، الحافظ لحديث رسول الله ﷺ، العارف بصحيحه من سقيمه، وبسنده ومقطوعه، ومنفصله، العالم بالتواريخ وسير السلف، الحافظ لأخبار الزهاد، الفقيه في دين الله، العالم بالعربية واللغة، ومدار كل ذلك على تقوى الله، وأن يخرج الطمع في أموال الناس من قلبه. كذا حققه ابن الجوزي فانظره. انتهى ،وقال الرافعي في تاريخ آداب العرب (١/ ٢٤٨) «ولما نضجت العلوم في القرن الثالث، ذهب القصاص وخلفهم الوعاظ من المتصوفة والزهاد، إذا كان اسم القاص قد أصبح لقبًا عاميا مبتذلًا، وأكثر المتصدرين في الوعظ إنما يكونون من أهل الحديث المتسعين في العلوم، ولا حاجة إلى الكلام عنهم، ولم يزد المتصوفة في الأخبار إلا ما يزعمون أنهم احتووه بعلم خاص، والله أعلم بغيبه».

٢) مختار الصحاح (ص:٢٥٤) وفي تاج العروس(١٠٧/١٨)كَأَنَّه تَتَبَّعَ أَثَرَه فأَوْرَدَهُ على قَصِّهِ.

وما وعدوا به في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ليحموهم بذلك، قبل لقاء العدو حتى لا تستولي عليهم رهبة ولا يملكهم فزع، ولا ترد وجوههم آمال الحياة.

وهو ضرب من السياسة وحسن النظر في التدبير، وكان ذلك دأب الحجاج الثقفي أمير العراق لبني أمية في حروبه، لأن أكثر من قاتلهم كانوا من المستميتين ديانة وحمية كالخوارج والناقمين عليه وعلى بني أمية[1].

أما قبل هذه الدولة فكانت الموعظة في الحروب بالتذكير بوعد الله تعالى للمجاهدين في إعلاء كلمته من شأن القواد، يخطبون بذلك الناس ولا يتجاوزون الكتاب والسنة وكلمات لهم بين ذلك .

ولم يكن القص في زمن النبي ﷺ، ولا [في زمن] أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لاجتماع كلمة المسلمين وقرب عهدهم بالنبوة، وقد حدث بعد ذلك وفي زمن معاوية رضي الله عنه حين كانت الفتن بين الصحابة، وكان قاصراً على الموعظة الحسنة والتذكير ونحوه.

وأول من قص من الصحابة[2] الأسود بن سريع[3].

---

١) يقول ناصر الدين الأسد: «وربما كان أوسع موضوع وجد فيه الرواة الوضاعون مجالًا فسيحًا للوضع والنحل هو القصص وأحاديث السمر........ مصادر الشعر الجاهلي (ص: ٢٤٥)

٢) وقيل أن أول من قص هو تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رضي الله عنه وفي سير السلف الصالحين لإسماعيل الأصبهاني (ص: ٢٩٨) قِيلَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَصَّ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: عَابِدُ فَلَسْطِينَ. وفي الأوائل للعسكري (ص:٣٦٩) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٤٤٨) أثر (١٢٨٨) عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ يُقَصُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ، وَلَا عُمَرَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَصَّ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، اسْتَأْذَنَ عُمَرَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَصَّ قَائِمًا» رواه أحمد في المسند ٣/٤٤٩، ابن شبة تاريخ المدينة ١/١٠، ابن الجوزي / القصاص والمذكرين ص ١٧٧، وسنده عند أحمد متصل ورجاله ثقات سوى بقية بن الوليد فهو صدوق مدلس، ورواه ابن الجوزي من طريق أحمد. فالأثر صحيح لغيره بطريقيه. وانظر تاريخ دمشق (١١/٨٠) أسد الغابة (١/ ٤٢٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٣٨) الكاشف (١/ ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (٤/ ٧٧) .

٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى (٧/٣٠) قال ابن سعد :«الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعِ بْنِ حِمْيَرِيِّ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ نَزَّالِ بْنِ مُرَّةَ أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان قاصًّا». وفي ترجمته أيضاً

وكان إذا ذكر الموت وخاطب الموتى يقول :

إِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلا فَإِنِّي لَا أَخَالُكَ نَاجِيَا [1]

وأول من قص من التابعين بمكة عبيد بن عمير الليثي[2]، وقد حضر مجلسه عبد الله بن عمر رضي الله عنه وسمع منه، فكان ذلك داعياً

عن:«الْحَسَن يُحَدِّثُ عَنِ الأَسْوَد بْن سَرِيع وَكَانَ رَجُلا شَاعِرًا وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَصَّ فِي هَذَا الْمَسْجِد قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ غَزَوَاتٍ.» «وعَنه أيضاً قَالَ: كَانَ الأَسْوَدُ بْنُ سَرِيع يَذْكُرُ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِد.» وفي معجم الصحابة للبغوي (١/١٧٥)والاشتقاق لابن دريد (ص:٢٤٩) وفي الثقات لابن حبان (٨/٣):«الْأَسود بْن سريع من بني مرّة بْن عبيد السَّعْديّ التَّميمي كنيته أَبُو عبد الله وسريع هُوَ بن حمير بْن عبَادَة بْن النزال بْن مرّة عداده فِي الْبَصريين، وَكَانَ شَاعِرًا وَهُوَ أول من قصّ فِي مَسْجِد الْجَامِع بِالْبَصْرَة والأحنف بْن قيس بْن عَمه وَمَات الْأَسود بْن سريع بعد يَوْم الْجمل سنة ستّ وَثَلَاثِينَ وَقد قيل إِنَّه بَقِي إِلَى بعد الْأَرْبَعين وَالَّذِي حكم بِهِ على بْن الْمَدِينِيّ أَنه قتل يَوْم الْجمل وَكَانَ ينفي أَن يكون الْحسن سمع مِنْهُ «وقد قيل انه بقى إلى ولاية معاوية بن أبى سفيان» وانظر الكنى والأسماء للإمام مسلم (١/ ٤٦٦) و الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٢٩١)»

١) نسب هذا البيت لعسعس بن سلامة قال الزمخشري :«انج وَلَا اخالك ناجيا كَانَ عبد شمس بن سعد بن زيد مَنَاة يزور الهيجمانة بنت العنبر بن عَمْرو بن تَمِيم فَنَهَاهُ قَومهَا فَأبى حَتَّى وَقعت الْحَرْب بَين قومه وقومها فَأَغَارَ عليهم عبد شمس فعرفت الهيجمانة فَأخْبرت أباها فَقَالَ مَازِن بن مَالك بن عَمْرو بن تَمِيم حنت ولات هنت وأنى لَك مقروع وَهُوَ لقب عبد شمس فَقَالَ لَهَا أَبوهَا أَي بنية اصدقيني أكذاك هُوَ فَإِنَّهُ لَا رَأْي لمكذوب فَقَالَ ثكلتك إِن لم أكن صدقتك فَانْجُ وَلَا إخالك ناجيا يضْرب فى التخويف من الْعَدو قَالَه عسعس بن سَلامَة (الطَّوِيل) (فَإِن تنج مِنْهَا تنج من ذِي عَظِيمَة ... وَإِلَّا فإني لَا إخالك ناجيا) راجع المستقصى في أمثال العرب (١/ ٣٨٥)وفي الطبقات الكبرى ط دار صادر (٧/ ١٥٣) :» عَنْ ثَابت الْبُنَانِيِّ أَنَّ عَسْعَسَ بْنَ سَلَامَةَ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «إِنِّي قَائِلٌ بَيْتَ شِعْرٍ» فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا صُفْرَةَ، أَتَقُولُ الشِّعْرَ عِنْدَ الْقَبْرِ؟ وَقَالَ: إِنِّي لَقَائِلُهُ:

إِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا أَخَالُكَ نَاجِيَا «

وقد أورده بعضهم من شعر الفرزدق مثل صاحب كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب (٧٥/٣) وفي البيان والتبيين(٢٩٣/١) ذكر القصاص قصّ الأسود بن سريع، وهو الذي قال: فإن تنج منها تنج ....إلخ،» وانظر مصادر الشعر الجاهلي (ص:٢٤٦)

٢) قال ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٦/٦) عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْر بْن قَتَادَةَ اللَّيْثِيُّ ويكنى أبا عاصم. وكان ثقة كثير الحديث. وذكر بسنده عَنْ ثَابِت قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَصَّ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. وبسنده أيضاً عن عَطَاء مثله . وفي أخبار المكيين من تاريخ ابن أبي خيثمة (ص:٢٥٠) (١٦٠) عن ثَابت قَالَ: كَانَ عبيد بن عُمَيْر اللَّيْثِيّ يقص فِي الْمَسْجِد الْحَرَام، وَيقْعد فِيمَا بَين زَمْزَم وَالْحجر.وانظر تاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثالث (١/ ١٩٣)

لإقبال الناس عليه، ورغبتهم في استماع الوعظ والقصص لمكان ابن عمر من الدين والورع[1]، وقد أقرته كذلك عائشة رضي الله عنها ولم تنكر عليه ، حدث عَطَاء قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : مَنْ هَذَا...؟ فَقَالَ: أَنَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَتْ: قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فقالَتْ رضي الله تعالى عنها «خَفِّفْ فَإِنَّ الذِّكْرَ ثَقِيلٌ»[2].

وقد اتخذ معاوية رضي الله عنه قاصاً كان يجلس إليه إذا فرغ من صلاة الفجر، ولعل هذا من دهائه في السياسةرضي الله عنه.

وأول من لزم القص في مسجد المدينة مُسْلِمُ بْنُ جُنْدَبٍ [3] إمام أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَارِئُهُمْ، وفيه يقول عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه:«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ غضاً فَلْيَسْمَعْ قِرَاءَةَ مُسْلِمِ بْنِ جُنْدَب».[4].

---

١) جاء في تاريخ ابن أبي خيثمة- السفر الثالث (١/ ١٩٣) وعَن الأَزْرَق بْن قَيْس: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَعَدَ إِلَى عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهُوَ يَقُصُّ، فَجَاءَ النَّاسُ يَسْتَفْتُونَ ابْنَ عُمَرَ، فَكَانَ يَقُولُ: خلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ قاصِّنا. انتهى، قلت وليس ابن عمر فحسب، بل ورد كذلك في نفس الصفحة (١/ ١٩٣) (٤٨٦) عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، قَالَ: جَاءَ ابْنُ عَبَّاس إِلَى عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهُوَ يُذَكِّر النَّاسَ حَوْلَهُ.

٢) الطبقات الكبرى (٥/ ٤٦٣) وفي أخبار المكيين من تاريخ ابن أبي خيثمة (ص: ٢٤٨) (١٥٧) أن عَائِشَة أم الْمُؤمنِينَ قَالَت له : يَا ابْن قَتَادَة، قَالَ: لبيْك يَا أمه، قَالَت: خفف عَن النَّاس الْقَصَص وَلَا تملهم فيملوا.

٣) قال ابن حجر: «مسلم بن جندب الهذلي القاصّ، ثقة فصيح قارئ. أخرج له البخاري في خلق أفعال العباد، والترمذي». (انظر: تقريب التهذيب ٣٣٥). وانظر ترجمته في تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٧/ ٤٩٥) وطبقات ابن سعد: ٩/ الورقة ١٦٢، وتاريخ خليفة: ٣٣٧، ٣٣٨، وطبقاته: ٢٥٧، وعلل أحمد: ١٥٦/١، وتاريخ البخاري الكبير: ٧/ الترجمة ١٠٨٨، وتاريخه الصغير: ٥١/١، وثقات العجلي، الورقة ٥١، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي: ٥٦٨، ٦٢٠، والجرح والتعديل: ٨/ الترجمة ٧٩٣ وثقات ابن حبان: ٣٩٣/٥، والكامل في التاريخ: ٩٠/٦، وطبقات القراء: ٢٩٧/٢، وإنباه الرواة للقفطي: ٢٦١/٣، والكاشف: ٣/الترجمة ٥٥٠٢، وتذهيب التهذيب: ٤/ الورقة ٣٦، وتاريخ الإسلام: ٤/ ٢٠٢، ونهاية السول، الورقة ٣٧١، وتهذيب التهذيب: ١٠/ ١٢٤، والتقريب: ٢ / ٢٤٤، وخلاصة الخزرجي: ٣ / الترجمة ٦٩٥٩.

٤) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٩٧) تاريخ الإسلام (١٦٥/٣)وفيه :«رَزَقَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ دينَارَيْنِ فِي الشَّهْرِ، وَكَانَ قبل ذلك يقضي بِلا رِزْقٍ». قَالَ ابْنُ حِبَّانَ : تُوُفِّيَ مُسْلِمُ بْنُ جُنْدَبٍ سَنَةَ ستٍ وَمِائَةٍ. وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: تُوُفِّيَ فِي خِلافَةِ هِشَامٍ.

وأول من قص في مسجد البصرة جعفر بن الحسن رضي الله عنه وأول من قرأ القرآن فيه[1].

ولم يكن القصص في القرن الأول مرذولًا، لأن فنونه إنما ترجع إلى القرآن والحديث، ولم يكن يشوبه شيء إلا ما كانوا يسمونه «بالعلم الأول» وهو ما يتعلق بأخبار الأمم الماضية، وأكثره يأخذونه عمن أسلم من أهل الكتاب، وبعض هؤلاء كان غزير العلم واسع الحيلة في قصص الأولين، كعبد الله بن سلام الذي أسلم عند هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وكعب الأحبار الذي أسلم في خلافة عمررضي الله عنه، وتوفي سنة ٣٢هـ؛ وعن هذين الرجلين -ووهب بن منبه المتوفى سنة ١١٤هـ- أخذوا سواد قصصهم مما يتعلق بأخبار الأمم وأحوال الأنبياء والنذر الأولى وما يجري مع ذلك؛ وكان وهب من «الأبناء الفرس» لأن جده جاء إلى اليمن فيمن بعثهم كسرى حين استنجدوه على الحبشة، وقد أخذ آباؤه عن إليمن أخبار إليهود، وأخذوا عن الحبشة أخبار النصارى، ثم كان وهب يعرف اليونانية أيضًا، فاتسع بذلك علمه، حتى قالوا عنه: إنه قرأ من كتب الله اثنين وسبعين كتابًا[2].

وهو أول من صنف قصص الأنبياء في الإسلام.

---

١) البيان والتبيين (١/٢٩٣) وتاريخ آداب العرب (١/ ٢٤٦)

٢) الطبقات الكبرى (٦/٧١) وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه .. من الأبناء. يكنى أبا عبد الله. وبسنده عن دَاوُدَ بْن قَيْسٍ الصَّنْعَانيّ قَالَ: سَمعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّه يَقُولُ: لَقَدْ قَرَأْتُ اثْنَيْن وَتسْعينَ كتَابًا كُلُّهَا أُنْزلَتْ منَ السَّمَاء. اثْنَان وَسَبْعُونَ منْهَا في الْكَنَائس وَفي أَيْدي النَّاس. وَعشْرُونَ لا يَعْلَمُهَا إلا قَليلٌ. وَجَدْتُ في كُلِّهَا: إنَّ مَنْ أَضَافَ إلَى نَفْسه شَيْئًا منَ المشية فقد كفر. ... وفيه : لَبثَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه أَرْبَعينَ سَنَةً لَمْ يَسُبَّ شَيْئًا فيه الرُّوحَ. وَلَبثَ عشْرينَ سَنَةً لَمْ يَجْعَلْ بين العشاء والصبح وضوءا. قال: وَقَالَ وَهْبٌ: لَقَدْ قَرَأْتُ ثَلاثينَ كتَابًا نَزَلَ على ثلاثين نبيا. وقال: مَاتَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه بصَنْعَاءَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمائَة في أَوَّل خلافَة هشَام بْن عَبْد الْمَلك. وانظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٩/٤٨٧ وتهذيب التهذيب ٦ /١٠٧، وميزان الاعتدال ٤/٣٥٢ والطبقات ٥/٥٤٣ والجرح والتعديل ٩/٢٤ وحلية الأولياء ٤/٢٣ وسير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤ ومعجم الأدباء ١٩/٢٥٩ وتذكرة الحفاظ ١/٩٥ ووفيات الأعيان ٦/٣٥ وتاريخ الإسلام (١٠١ - ١١٠ ص٤٩٧) والعبر ١/١٤٣ وشذرات الذهب ١/١٥٠،، تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٦٦).

ومِمن أخذوا عنهم أيضًا، طاووس بن كيسان التابعي، وهو من الأبناء، وتوفي سنة ١٠٦هـ، ثم ورث الرواية عنه ابنه عبد الله بن طاووس.

ومنهم موسى بن سيار الذي قال عنه الجاحظ: «وكان موسى بن سيار من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية بوزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو أبين، واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة الضيم على صاحبتها إلا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار.

ولم يكن في هذه الأمة بعد أبي موسي الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن سيار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ثم يونس النحوي ثم المعلى»[1].

ثم قص في مسجده بالبصرة: أبو علي الأسواري وهو عمرو بن فائد، ستًّا وثلاثين سنة [2] وابتدأ في تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات؛ إذ كان حافظًا السير، ووجوه التأويلات، فكان ربما فسر آية واحدة في عدة أسابيع، كأن تكون الآية قد ذُكِرَ فيها يوم بدر، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث الكثيرة، وكان يقص في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيبًا من ذلك.

وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب، ويحتجّ به.

وخصاله المحمودة كثيرة.

ثم قص من بعده القاسم بن يحيى، وهو أبو العباس الضرير، ولم يدرك

---

١) البيان والتبيين ط الخانجي (١/ ٢٩٣) والفقرة (منقولة من ص٢٣ فيما كتبه المؤلف وقد نبه إلى نقلها في عصر القوة)

٢) فقد كان أبو على الأسواري مثلًا يقص في البصرة في مسجد موسى بن سيار الأسواري ستًّا وثلاثين سنة. مصادر الشعر الجاهلي (ص: ٢٤٦)

في القصاص مثله، وكان يقص معهما وبعدهما، مالك بن عبد الحميد المكفوف.

وكذا صالح المري، الذي يكنى أبا بشر، وكان صحيح العبارة رقيق الكلام.

قال الجاحظ: ذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار (وهو من أصحاب الحديث في القرن الثاني) قال له مرحوم: هل لك أن تأتي قاصاً عندنا (صالحاً المري) فتتفرج بالخروج والنظر إلى الناس والاستماع منه، فأتاه على تكره لأنه ظنه كبعض من يبلغه شأنه.

فلما أتاه وسمع منطقه وسمع تلاوته للقرآن، وسمعه يقول: حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا قتادة عن الحسن: رأى بياناً لم يحتسبه ومذهباً لم يكن يدانيه، فأقبل سفيان على مرحوم فقال: هذا ليس قاصاً هذا نذير.[1]

بعد ذلك نشأت الطبقة التي أخذت عنها العامة، وتسموا باسم القصاص حتى أصبح اسم القاص لقباً عامياً مبتذلاً، وتعرض لهذه الصناعة الجهال، فبعد عن الحضور عندهم المميزون، ولم يحضر مجالسهم سوى العوام والنساء.

من هذا يعلم أن القص قسمان : مذموم وممدوح :

الأول نوعان :

أحدهما : الاشتغال بالقصص والحكايات عن الأمم السابقة التي يتطرق إليها الاختلاف والزيادة والنقصان، وتخرج عن قصص القرآن وتزيد عليه، وذلك النوع تندر صحته، وخاصة ما ينقل عن بني إسرائيل، وهذا مذموم لما فيه من الكذب، وعلى فرض صدقه فالأسلم تركه، لما فيه من

---

١) البيان والتبيين (١/ ٢٩٤).

خلط الضار بالنافع[١].

قال الإمام: أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما أحوج الناس إلى قاص صادق، فإن كانت القصة من قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صادقاً صحيح الرواية فلست أرى به بأساً»[٢].

---

١) قال الدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله :«وقد ازداد اتصال المسلمين بمصادر الثقافات الأجنبية في عصر الراشدين، فالأمصار الجديدة فيها نسخ وصحف من التراث الديني القديم، وقد استمر حذر الدولة شديدا فنهت عن شيوع تلك الصحف التي تتناول العقائد الدينية، وكان هدف الدولة صبغ المجتمعات المفتوحة بالثقافة الإسلامية والعقيدة الدينية الجديدة من غير أن تختلط بمفاهيم أخرى..... قال خالد بن عرفطة: كنت جالساً عند عمر رضي الله عنه إذ أتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم. فضربه بعصا معه. فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس. فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾، فقرأها عليه ثلاثا، وضربه ثلاثا فقال له الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرني بأمرك أتبعه. قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه أنت ولا تقرئه أحدا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأهلكنك عقوبة. ثم حكى له عمر رضي الله عنه قصة مجيئه بالتوراة إلى النبي ﷺوغضبه وكلامه في ذلك (أورده الهيثمي: مجمع الزوائد ١: ١٨٢، إتحاف الخيرة ٢: ١٣٥، المطالب العالية ٤: ٢٨.، المصنف ٦/ ١١٤،أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر) ص ٢٧٣، ابن الضريس: فضائل القرآن ق ٧٦ / أ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٢٣/٢، ابن الجوزي: مناقب ص ١٢٤،الدر المنثور ٤٩٧/٤. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢/ ٥٣٢)). إن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من بعده نهوا المسلمين في أول الإسلام عن الأخذ مما في كتب التراث الديني الأخرى، لأن الإسلام جاءهم بالشريعة الواضحة الخالصة من الشرك والشبهات، المصونة عن التبديل والتحريف، ففيها غنى وكفاية عما سواها من العقائد والأديان، وكان هذا الحذر في تداول الكتب الدينية القديمة ضرورياً لصون الفكرة الإسلامية واستقرار التصور الإسلامي. فلما استقر الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، واتضحت مقاييسه الفكرية والخلقية في أذهان الناس، تفتحوا على ثقافات الأمم وأديانها وعقائدها بعقلية ناقدة ونظرة مقارنة فاحصة، فكانت دراسات الأديان المقارنة التي تمثلها كتب الفرق الكثيرة، ومنها ما تركه البغدادي وابن حزم والشهرستاني وغيرهم». انتهى نقلا عن عصر الخلافة الراشدة (ص: ٣٢٣).

٢) تلبيس إبليس ص ١١١. إحياء علوم الدين (١/ ٣٥).

ثانيهما: الاشتغال مع العامة بحكايات تومئ إلى هفوات وقعت من بعض السلف مردوفة بما يكفرها، وذم ذلك لأنه يجرئ الناس على المعاصي، متعللين بأنه حكي كيت وكيت عن المشايخ السابقين فإن عصيت فقد عصي من هو أكبر مني مقاماً .

لذلك لما دخل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول (لا يقص في مسجدنا) إلا الحسن البصري[1] فلم يخرجه إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت وغير ذلك مما يرغب في الآخرة وينفر عن الدنيا .

أخرج ابن أبي شيبة والمرزوي عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: بَلَغَ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا يَقُصُّ بِالْبَصْرَةِ فَكَتَبَ إليهِ: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: فَعَرَفَ الرَّجُلُ فَتَرَكَهُ »[2].

الثاني (الممدوح)

مثل ما سبق عن الحسن البصري رضي الله عنه وما خلا عن المحظورين السابقين ، وورد الإذن فيه شرعاً، ورجع إلى ما صح من الكتب والتفاسير الموثوق بها .

جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه: أخرج السيوطي في الجامع الكبير والحاكم في التاريخ : أن رسول الله ﷺ قال :« يَا أَبَا ذَرٍّ لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّىَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ».[3]

---

١) إكمال تهذيب الكمال (٤/ ٧٨) قوت القلوب (١/ ٢٥٦)

٢) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩١) (٢٦١٩٩) تحذير الخواص للسيوطي (ص: ١٩٩)

٣) أخرجه ابن ماجه (١/٧٩ح ٢١٩) قال البوصيري في المصباح (١/ ٣٠) هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف لضعف علي بن زيد وَعبد الله بن زِيَاد وَله شَاهد فِي جَامع التِّرْمِذِيّ من حَدِيث ابْن عَبَّاس وَقَالَ غَرِيب وَآخر عِنْده من حَدِيث أبي أُمَامَة وَقَالَ حسن غَرِيب.

وَأخرج عبد بن حميد عَن قيس بن سعد قَالَ: جَاءَ ابْن عَبَّاس حَتَّى قَامَ على عبيد بن عُمَيْر وَهُوَ يقص ويَقُولَ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ (مَرْيَم آيَة ٤٢) إلى آخر قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ قَالَ ابْن عَبَّاس: (ذكرنا بأيام الله) وأثْنِ على من أثنى الله عليه»[1].

وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القصاص.

***

(٥) انحطاط الدعوة إلى الله تعالى

علم مما تقدم مبلغ ما وصل إليه هؤلاء السادة الأعلام من رواية أخبار من سلفوا على الوجه الحق، حتى (خرجوا) بالناس من كبوتهم، وانتشلوهم من مهواة (الرذيلة) إلى مستوى السعادة، بما أوتوا من غزارة العلم وسعة الاطلاع وبعد الحيلة في قصص (السابقين) وأنهم تسموا باسم القصاص، وليعلم أن غيرهم ممن أوتوا ذلاقة في اللسان وحلاوة العبارة انتهزوا فرصة هذه التسمية (واستخفوا) تحت هذا الستار متصدين للوعظ والإرشاد، مع قلة علمهم وجهلهم بالحقائق الدينية، (واعتمادهم) على ما ينقلون من الكذب والأخبار المموهة.

أنه : لما كان القرن الثاني وانتهى عصر كبار القصاص من التابعين ورأسهم الحسن البصري رضي الله عنه، نشأت بعدهم الطبقة التي أخذت عنها العامة، وقد اضطربت الفتن وكثر الكلام وفشت الأكاذيب، وصار هم القاص أن يخبر بالغرائب والرقائق، غير ناظر إلى محاذاة (الكتاب) والسنة، وغير مكترث بما يكفل مصلحة الدين (ويحفظ) سمعة أهله، وقد انصرف أهل العلم إلى حلقات الرواية، ولم يبق في حلقات القصاص

---

١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٥٢٥)

إلا العامة، ففشي الكذب والخطأ وساءت المقالة فيهم وصار القاص عند أولي العلم أحمق مرذولاً (إلا قليلاً ممن استوعبوا وتبينوا، وساروا في مذهب الرواة وهو نقل الكذب الذي لا بأس به وإسناده إلى أهله). وامتازوا مع ذلك بالفصاحة والبيان.

ويبتدئ تاريخ هؤلاء بعد الحسن البصري رحمه الله بمن أخذوا عن مثل موسى بن سيار الأسواري[1].

وهذه هي الطبقة التي أخذت عنها العامة الذين نصبوا أنفسهم لوعظ العامة مع قلة بضاعتهم العلمية، وترفع العلماء عن وعظ العامة حتى عرفت قاعدة (لا يعظ العامي إلا العامي ولا يعظ الحكيم إلا الحكيم) واتخذوا التمويه ديدناً وزخرف القول بضاعة، وتعدوا ذلك إلى أن اتخذوا الوعظ وسيلة للارتزاق، وجمع الحطام الفاني، وتناسوا الغرض المقصود (الفوز برضا الله وإعلاء كلمته) من ذلك، انصرف العلماء عن الوعظ عاكفين على تحقيق المسائل الدقيقة، قانعين بمن يأخذ عنهم من خواص الطلبة فأفلت العامة من أيدي العلماء، وشدد كل النكير على الآخر: ناسباً له التقصير. فالعامة يقولون: أين العلماء يقومون المعوج ويهدون الضال...؟

والعلماء يقولون: ما بال الناس انصرفوا عن الرشد....؟

وانقطعت الصلة بين العلماء والعامة، وزاد الهوة اتساعاً ميل الأمراء إلى إقصاء العلماء العاملين، فراراً من قيودهم الضيقة وشدتهم في الدين، ولئلا يزاحموهم في منزلة استأثروا بها، وتقريب المتساهلين في الدين المسهلين لهم رغباتهم.

هذا وقد حفظ الناس منزلة العلماء في كل عصر، لما يعرفون لهم من عمل وعلم وأنهم حراس الدين بما يعلّمون من علم، وبما يبينون من عويص

---

١) وقد نقلناها فيما سبق حسب ما كتب المؤلف.

المسائل ومتشابه الآيات، ودقيق الأحكام مما أنساهم زخرف هذه الحياة وباطلها، حتى قال قائلهم :«نحن في لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف»[1] غير أن ذلك لا يبرئ السادة العلماء في تخليهم عن وعظ العامة بل التبعة ملقاة على عاتقهم لما يأتي:

(١) هم ورثة الأنبياء، وما كان من واجبهم أن يلزموا أماكن خاصة ويلزموا الناس بالسعي إليهم، بل كان [من الواجب] أن يسعوا وراءهم ويجتذبونهم إلى الهدى[2] . (٢) أكثر النصوص كتاباً وسنة: يكاد يكون الأمر فيها موجهاً إلى العلماء دون سواهم.

- **الكتاب:**

١- ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. الآية صريحة في أن المقصود من التفقه الإنذار والسعي وراء المصلحة الدينية، لا الخلود إلى السكوت وترك الناس فوضى دون أمر أو نهي.

٢- ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فالأمر فيها موجه إلى العلماء.

٣- ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩]. الخطاب فيهما للنبي ﷺ ومن يرثه وما هم إلا العلماء .

٤- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤].

---

١) من قول إبراهيم بن أدهم كما في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٩/ ١٠٠).

٢) ما بين قوسين من إضافتنا لاستقامة المعنى وفي المخطوط «بل كانوا يسعون وراءهم».

فالحكمة المقصودة من الإرسال التبيين لهم والشرح .

والعلماء ورثة المرسلين في ذلك.

- السنة:

١- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عليكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ». رواه الترمذي وقال : حديث حسن[1] .

٢- روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ، فإِنْ لمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[2] فأنت ترى الخطاب في كلامه ﷺ موجهاً إلى العلماء إذ يعرفون المعروف والمنكر .

٣- ومن الآثار في ذلك : ما قاله أمير المؤمنين سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه : (مَا آتَى الله عَالِماً عِلْماً إِلاَّ أَخَذَ عليهِ المِيثَاقَ أَنْ لاَ يَكْتُمَهُ)[3].

---

١) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٤٦٨) ح(٢١٦٩) قال محقق مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ٣٣٢) الحديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي تفرد بالرواية عنه عَمرو بن أبي عمرو -وهو مولى المطلب- ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال ابن معين: لا أعرفه. وباقي رجاله ثقات.، وأخرجه البيهقي في «السنن» ١٠/ ٩٣ من طريق أبي الربيع، والترمذي أثر (٢١٦٩)، والبغوي (٤١٥٤)من طريق على بن حجر، كلاهما عن إسماعيل بن جعفر، بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي (٢١٦٩) وحسَّنه ، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٥٨) ، والمزي في «تهذيب الكمال» ١٥/ ٢٣٤) وقال محقق جامع الأصول (١/ ٣٣٢) وفي سنده عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الأشهلي الراوي عن حذيفة لم يوثقه غير ابن حبان، وللحديث شاهد عند الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وآخر عند الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، بلفظ « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم». انظر مجمع الزوائد ٧/ ٢٦٦.

٢) مسلم رقم (٤٩) في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، والترمذي رقم (٢١٧٣) في الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد، وأبو داود رقم (١١٤٠) في صلاة العيدين: باب الخطبة يوم العيد ورقم (٤٣٤٠) في الملاحم: باب الأمر والنهي، والنسائي ٨/ ١١١ في الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان، وأخرجه ابن ماجة رقم (٤٠١٣) في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣) أورده ابن الجوزي العلل المتناهية (١/ ١٠٤ ، رقم ١٤١) . عن أبى هريرة وأورده الحافظ فى

وقوله: (مَا أخذ اللّه تَعَالَى على الْجُهَّال أَن يتعلموا، حَتَّى أخذ على الْعلمَاء أَن يعلمُوا)[1].

٤- العلماء أطباء الأرواح، فلا يثني عزمهم عن الإرشاد مجرد انفضاض الناس من حولهم، وثقل أمر الدين عليهم وكراهيتهم له، وإلا كانوا كالطبيب يترك علاج المريض لاستبشاعه طعم الدواء وليس ذلك من الحزم .

٥- إن أكمل درجة بعد درجة الأنبياء العلماء لكمالهم في أنفسهم واستعدادهم لتكميل غيرهم، والعامة في حاجة إلى التكميل، ونفوسهم تطمح دائماً إليه، فإذا تخلى العلماء عن وعظهم، فقد أخمدوا جذوة هذه النفوس المتأججة، وأماتوا عاطفة تلك الأرواح المتطلعة إلى الكمال، وتلك جناية يعسر غفرانها.

لهذا كانت النتيجة ما نرى مما يحتاج إلى تضحية وقت كبير وجهود عظيمة بعد إعداد العدة، والإخلاص في العمل لإزالة هذا الستار، وسد تلك الثغرة الواسعة التي حالت بين الأمة وعلمائها .

***

(٦) انتعاشها :

قال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]

القول المسدد من طريق ابن نظيف (١/٥) وقال : موسى بن محمد هو البلقاوي متهم لكن له شاهد بإسناد صالح من حديث ابن مسعود . وانظر فيض القدير (٥/ ٤٠٦) وقال في التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣٧) ابْن نظيف فِي جزئه، وَابْن الْجَوْزِيّ فِي كتاب الْعِلَل المتناهية (عَن أبي هُرَيْرَة) باسناد فِيهِ وَضَّاع.

١) القائل هو الإمام الزّهريّ كما في محاضرات الأدباء للراغب (١/ ٦٦) والإمتاع والمؤانسة (ص: ٣٤٥).

أجل فقد مُني الإسلام بأعداء أشداء الشكيمة غلاظ القلوب فحاطوه بأشواك البدع، وسياج الأهواء كيما يضعفوا من سلطانه القوي ويهدموا من صروحه الشامخة.

وغني عن البيان ما أحدث أعداء الدين من سيئ الأخلاق، ورذيل الصفات التي طغت على العقول فأفسدتها، وعلى الأخلاق فأودت بها، غير أن الأقدار الإلهية قلبتهم رأساً على عقب، وبددت غيومهم وأزاحت غياهبهم (﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ [سبأ: ٥٤]) وقيض الله للإسلام من يذود عن حياضه ويحمي بيضته، وأتيح للفرص أن تعيد للإسلام شبابه .

فجلس على الأريكة المصرية صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول : ملك مصر المعظم في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هـ - ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م [١].

فأعاد العصور الزاهرة : عصور الصحابة والتابعين وجدد ما تهدم من بنائه، فأعطى القوس باريها ومن كانوا أحق بها وأهلها، وأسند مهمة الإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد إلى الأكفاء من السادة العلماء ذوي الحنكة العلمية، والأرواح الطاهرة النزاعة إلى الخير السباقة إلى الفضيلة، فرتب في كل مسجد عالماً يقوم بإلقاء المواعظ النافعة، والدروس العلمية المفيدة، علاوة على الوعاظ الذين يجوبون البلاد من أولي الدراية باجتثاث شجرة

---

١) فؤاد الأول ابن الخديوي إسماعيل (٢٦ مارس ١٨٦٨ - ٢٨ أبريل ١٩٣٦) سلطان مصر من ١٩١٧ إلى ١٩٢٢ ، وقد بدأ حكم الملك فؤاد الأول في مصر كسلطان ثم أصبح ملكا على مصر من هذا التاريخ حتى عام ١٩٣٦ وهو الوحيد الذي أخذ لقب سلطان مصر وملك مصر في تاريخ الأسرة العلوية.وقد غير اللقب وأصبح ينادى بملك مصر وسيد النوبة وكردفان ودارفور، وذلك منذ إعلان استقلال مصر في ١٢ مارس ١٩٢٢ بعد تصريح ٢٢ فبراير ١٩٢٢ برفع الحماية عن مصر.وبعد عودته إلى مصر عام ١٨٩٠ عني بشئون الثقافة ورأس اللجنة التي تولت مهمة تأسيس وتنظيم الجامعة المصرية الأهلية عام ١٩٠٦، وله اهتمام كبير بالأزهر، وقد أنشأ قسم الوعظ والإرشاد في عهده، ثم صعد ليعتلي العرش عقب وفاة أخيه السلطان حسين كامل عام ١٩١٧، توفي في قصر القبة في ٢٨ أبريل ١٩٣٦ ودفن في مسجد الرفاعي ، وقد خلفه على العرش ابنه الملك فاروق .

الرذيلة وغرس بذور الفضيلة، فأخذ الناس يغترفون من بحار علومهم النافعة وأخلاقهم الفاضلة، مما يجعلهم يسيرون على نهج الشريعة الغراء متخلين عن الرذائل متحلين بالفضائل .

فجزى الله عز وجل جلالته خيراً وأدامه وولي عهده حامل لواء العدل ناصر الدين ناشر لواء الفضيلة (﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات:٦١]) .

- تاريخ إنشاء قسم الوعظ الحديث:

وتضاعفت عناية جلالته بهذا الشأن الخطير فأصدر أمره الكريم في (١٣ المحرم ١٣٢٤هـ - ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٣م) بإنشاء تخصص الأزهر الشريف، وافتتح هذا التخصص عند زيارته الأزهر الشريف في (٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٢٤ هـ - ١٠ يناير ١٩٢٤)[1] وجعل منه [نوعاً] في طرق

١) يقول محمد عبد المنعم خفاجي رحمه الله في كتابه:«الأزهر في ألف عام» (١٢٧/٢): مما جد على الأزهر من إصلاحات: إنشاء قسم للوعظ، يتبعه الوعاظ من العلماء في جميع القطر المصري، ويصدر قسم الوعظ مجلة اسمها «نور الإسلام»، وعند ما بدأ قسم الوعظ سنة ١٩٢٨كان عدد الوعاظ فيه نحو أربعة، وهم الآن نحو ٢٥٠واعظا من العلماء. وجاء في كتاب مذكرات الدعوة والداعية للعلامة المجاهد الشيخ حسن البنا (ص:١١٧) : وكان من مظاهر نشاط الدعوة الإسلامية أن فكر الأزهر الشريف في مشيخة الأستاذ المراغي رحمه الله - الأولى، وبمساعي بعض ذوي الغيرة على نشر تعاليم الدين وثقافته في الأمة، أن أنشأ قسم الوعظ والإرشاد وأسندت رياسته وإدارته إلى العالم الغيور فضيلة الشيخ عبد ربه مفتاح رحمه الله. راجع :» الأزهر في ألف عام (٣/ ١٦٩) وفي كتاب الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة لمحمد كامل الفقي (٢/ ١٥) نجد :«ومما ساعد على ترقية الخطابة الدينية أن أصبح الذين ينهضون بها شبابا أفذاذا معترفا بقدرتهم مشهودا بكفايتهم ولباقتهم يرتجلون، فلا يتعثرون ويتدفقون فلا يتلعثمون.... وفي كلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر «قسم تخصص الوعظ والإرشاد»، يخرج هداة مرشدين أخلصوا في هذا الغرض فجاد أسلوبهم، وفاض بيانهم وامتازوا بحسن المنطق وبلاغة التأثير، وأصبح لهم في الحياة الاجتماعية مقام ملحوظ، فهم ينشرون فضائل الدين بأسلوب عذب، وبيان عليه طلاوة ويهدون إلى مكارم الأخلاق بطريقة أخاذة مشوقة، ويعتمد عليهم أولو الأمر في إصلاح ذات البين وفض المنازعات والتعاون على البر، والأخذ بأسباب الإصلاح الاجتماعي.انتهى...قلت ولا نبالغ إن قلنا إن إنشاء قسم الوعظ والإرشاد في الأزهر الشريف كان مرحلة مهمة ومفصلية في تاريخ الدعوة الإسلامية في العصر الحديث لعموم الأمة، وهو قسم فتح أبواب الدعوة بمهنية وحرفية ومنهجية تامة، وهو

الوعظ والخطابة، لتخريج الوعاظ المخلصين والهداة المرشدين وأفسح طريق العمل على ترقية هذا القسم، فناط مهمة العمل والدراسة فيه، وخاصة دراسة الوعظ والإرشاد بالعلماء الأكفاء والوعاظ الماهرين أصحاب العقول الصائبة، والفكر الوقادة والأذهان الثاقبة ممن شهد لهم ماضيهم وحاضرهم بالعلم والعمل والقدرة على[طب] الأرواح وتقويم النفوس وتخليصها من أوحال[الضلال] وانتشالها من وهدة الغفلة إلى أوج اليقظة [والعمل]. فجاء ولله الحمد غرساً طيباً وثمراً يانعاً .

وإجمالاً فقد عادت الدعوة إلى الله تعالى منذ هذا العهد السعيد، يانعة الشباب غضة الإهاب، جديدة الثياب، واتصل ما بين الأمة وعلمائها، وخاض العلماء في هذا الميدان بعد أن تخلوا عنه لفحص دقيق المسائل، وحل عويص المشكلات كما أسلفنا آنفا، وسدت الثغرة الواسعة والهوة العقيمة التي انفتحت بين العامة والعلماء فجزى الله العاملين أحسن الجزاء وحفظ للإسلام حماته...... آمين.



النواة لنشأة كليات الدعوة والخطابة في بلدان العرب والمسلمين ولا يزال هذا الرافد المهم يمد العالم بالدعاة إلى الآن وهو يحتاج إلى الرعاية والعناية والتوجيه والإصلاح والتقويم والتقييم.

المقصد الثاني
مبادئ الوعظ والإرشاد

(تعريفه – موضوعه – غايته – ثمرته – فضله – حكمه – استمداده– أنواعه).

-**تعريفه:** الوَعْظُ: النُصْحُ والتذكيرُ بالعواقب: يقال وعظه فاتعظ إذا قبل الموعظة، هكذا في اللغة [1].

والنصح: الإخلاص.

والتذكير: تعريف نعم الله عز وجل والحث على شكرها، والتحذير من مخالفته.

والإرشاد: الهداية إلى الطريق الموصل إلى المطلوب .

والواعظ: الناصح، والمرشد: الهادي إلى الطريق الموصل إلى المطلوب.

هذا ويطلق الوعظ والإرشاد عرفاً على الخطابة الدينية، سواء أكانت تعليمية لبيان المسائل الشرعية الاعتقادية، أو العملية أو الأخلاقية، أم تأديبية لإيقاظ الناس من غفلتهم .

ذلك: أن الوعظ الديني نوع من أنواع الخطابة وفن من فنونها إذ أن فنونها أربعة: خطب التثبيت، وخطب المشورة، وخطب المشاجرة، وخطب الوعظ.

ومبنى هذا التقسيم على أجناس السامعين.

---

١) الوَعْظُ: النُصْحُ والتذكيرُ بالعواقب. تقول: وَعَظْتُهُ وَعْظاً وعظَةً فاتَّعَظَ، أي قبِلَ المَوْعظَةَ. يقال: «السعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من اتعظ به غيره». قَالَ اللَّيْث: العظة: الموعظة، وَكَذَلِكَ الْوَعْظ. وَالرجل يتَّعظ إِذا قَبِل الموعظة حِين يذَكَّرُ الخَير وَنَحْوه، ممَّا يرقّ لذَلك قلبه. يُقَال وعظته عظة.. والوعظ: التخويف، والاسم: العظة. الوَعْظُ والعِظَةُ والمَوْعِظَةُ: تذكرتك الْإِنْسَان بمَا يلين قلبه من ثَوَاب وعقاب، وَفِي التَّنْزِيل ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ لم يَجِيء بعلامة التأنيث لأَنَّهُ غير حَقِيقِيّ أَو لأَن الموعظة فِي معنى الوعْظ حَتَّى كَأَنَّهُ قَالَ: فَمن جَاءَهُ وعظٌ من ربه. الوعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. انظر الصحاح (٣/ ١١٨١) تهذيب اللغة (٣/ ٩٣) ومجمل اللغة لابن فارس (ص:٩٣١) المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٣٣) التعريفات (ص: ٢٥٣).

لأنه إن كان المقصود إفادتهم فهو التثبيتي، أو مناظرتهم فهو المشوري، أو محاكمتهم فهو المشاجري، أو إرشادهم فهو الإرشادي أو الوعظي.

غير أن أرسطو في كتاب الخطابة اقتصر على الثلاثة الأولى، لأن الخطابة الدينية لم تنتشر كثيراً إلا في عهد المسيح عليه السلام، ثم شاعت بعد ذلك وأرسطو متقدم على المسيح عليه السلام[1].

هذا وقد عرفت الخطابة -التي الوعظ نوع من أنواعها- في اللغة بأنها : كالخطبة مصدر خطب، أو الكلام المنثور المسجع ونحوه.

وفي الاصطلاح:«بأنها مجموع قوانين يتوصل بها إلى الإقناع الممكن في أي موضوع يراد»[2].

والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول أو العمل بموجب أمر أو تركه .

وقيد بـ(الممكن) لأن شأنها كباقي الصناعات التي تعد النفس لعمل خاص بمقتضى قوانين محدودة، وإن لم تبلغ تلك الصناعات غايتها أحياناً، كالطب الذي ترشد أصوله إلى معالجة الأمراض لغاية الشفاء ما لم يكن مانع .

وفي أي موضوع يراد فلا تخص شيئاً معيناً، بل تتناول كل شيء، بخلاف غيرها من الصناعات كالخط ينظر في الحروف وهيئتها : والطب ينظر في أحوال جسم الإنسان والحيوان لعلاجه .

---

١) انظر تلخيص الخطابة لابن رشد في:«تلخيص المقالة الأولى من الخطابة».

٢) يقول أ/د.:عبد الرب بن نواب الدين:«من التعريفات الموضوعية ما تداوله كثير من الباحثين المعاصرين وهو قولهم: الخطابة: فن مشافهة الجمهور للتأثير عليهم واستمالتهم (انظر الدعوة إلى الله: د. عبد الله شحاتة ص ١٩، وقواعد الخطابة: د. أحمد غلوش:ص ٨ ط:١٩٧٩م) «وعليه فالخطابة علم له قواعد وأصول وأساليب وضوابط، لا بد من تعلمها ثم التمرس عليها والتعود، يؤازر ذلك المقدرة النفسية والموهبة الإلهية. والخطيب البارع المفوه هو الذي يجمع الله له بين العلم والموهبة». انظر بحثه تدريب الدعاة على الأساليب البيانية(ص:٣٥٨)مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١٢٨/السنة/٣٧/ ١٤٢٥هـ.

فقد روى العلامة ابن رشد عن أرسطو أن الخطابة ليس لها موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره، فإنها تتناول كل العلوم والفنون ولا شيء - حقيراً كان أو جليلاً معقولاً أو محسوساً - إلا يدخل تحت حكمها ويخضع لسلطانها، ومن ثم لزم أن يكون الخطيب ملماً بكل العلوم، بل ينبغي أن يطلب المزيد من العلوم والمدارك كل يوم.

هذا ويصح أن يراد بالخطابة ملكة الاقتدار على الإقناع واستمالة القلوب وحمل الغير على ما يراد منه، فلا بد لها من قوانين تدرك بها هذه الغاية، بل هو المعتبر عند المحققين في معنى العلم .

- **موضوعه:**

المواعظ النافعة والخطب المؤثرة لإقناع النفوس وحملها على الاستقامة .

- **غايته:**

إصلاح النفوس البشرية لتصلح معاشاً ومعاداً .

- **ثمرته:**

الفوز بسعادة الدارين .

-**فضله:**

فضله عظيم لتعلقه بإصلاح النفوس، ذلك أن للإنسان جسماً وروحاً، وكلاهما هدف للأمراض والعلل، والروح أشرف من الجسم إذ بصلاحها يصلح الجسم دون العكس .

فما أحوجه إلى علاجين علاج الجسم وعلاج الروح، وأشرف العلاجين ما أصلح أشرف الجزأين.

أيضاً علاج الجسم قد يصادف ذا نفس شريرة، فتكون صحتها خطراً أو وبالاً ولا كذلك علاج الروح، فهو موصل إلى المطلوب منها .

- **حكمه:**

الوجوب الكفائي عند التعدد، والعيني عند الانفراد [لمساس] الحاجة إليه.

فإن الإنسان محل للذهول والغفلة، والطريق إلى الله تعالى دقيق المسلك عزيز المنال فما أشد حاجته إلى دوام التذكير واستمرار الوعظ، حتى لا يحيد عن الجادة. لذلك تضافرت نصوص الكتاب والسنة على الوجوب.

فمن الكتاب قول تعالى: (﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]).

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]).

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]).

(﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]).

(﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]).

فالآيات المتقدمة كلها ناطقة بالوجوب .

ومن السنة ما ورد :

١- عن حذيفة عن النبي ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عليكم عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ.. رواه الترمذي وقال : حديث حسن[1] .

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

---

١) سبق تخريجه.

«مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ، فإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[1].

٣- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[2]» متفق عليه.

والترغيب في القيام به أكثر من أن يحصى فهو الدواء الوحيد، والعلاج الفذ لإيقاظ النفوس من غفلتها قال بعض الحكماء :«الموعظة موقظة للقلوب من سِنة الغفلة منقذة للبصائر من سكرة الحيرة، محيية لها من موت الجهالة ومستخرجة لها من ضيق الضلالة».

ومضار إهمال الوعظ والإرشاد غير خافية: فإن أمة فرطت في الوعظ والإرشاد آلت إلى الدمار والهلاك، وإن تنبهت لواجبها وقامت بالموعظة الحسنة نجت، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وإن أمة انتشر فيها الوعاظ لابد أن تحيا، وتنتشل من كبوتها وتنهض من عثرتها، وإنك لترى المعنى الذي يطرقه الوعاظ كثيراً في تذكيرهم، يكون أشد رسوخاً في النفوس دون سواه .

- **استمداده:** من الكتب السماوية والإرشادات النبوية، إذ مهمة الواعظ [تعليم] العلوم الدينية، وإنارة الطريق الموصل إلى الله تعالى بالترغيب والترهيب، وذكر ما ورد من السمعيات والقصص عن الأولين، وضرب الأمثال الصحيحة والحكم الرشيدة، وكل ذلك لا يبعد عن موارد الكتب السماوية والإرشادات النبوية.

مثال ذلك في القرآن الكريم والسنة المحمدية أن علم العقائد منشؤه آيات

---

١) سبق تخريجه

٢) متفق عليه: البخاري(٣٠٠٩)و(٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

التوحيد: مثل قوله تعالى :

١- ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] .

٢- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وعلم الفقه منشؤه آيات الأحكام مثل :

١- ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [هود: ١١٤] .

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ، ١٨٤].

٣- ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء:١١].

وعلم الأخلاق منشؤه آيات الأخلاق مثل :

١- ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

٣- ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وهكذا السمعيات وغيرها في القرآن الكريم.

وغير خاف أن السنة الغراء ممتلئة بمثل هذا .

فعلم أن الأستاذ الأكبر والمعلم الأعظم، ومعين الواعظ الذي لا ينضب، هو الكتب السماوية والإرشادات النبوية التي بينت مجمل الكتاب، ووضحت ما خفي منه، فما على الواعظ إذا نصب نفسه لذلك إلا الرجوع للكتب السماوية والإرشادات النبوية، ولا بأس من الرجوع إلى كتب المحققين في

تفسير الكتاب والسنة وبيان الأحكام حيث لا تبعد عن مرماهما .

وهناك أشياء لا يستغني عن الرجوع إليها الواعظ المرشد، وإن كانت عند التدقيق وإمعان النظر ترجع إلى الكتب السماوية والإرشادات النبوية ولو على سبيل الإجمال أو الإشارة وذلك مثل العلوم :

١- الأدبية (التاريخ والأخلاق والأدب والفلسفة).
٢- الرياضية (الحساب وتقويم البلدان والهندسة).
٣- الطبيعية (الكيمياء والطبيعة).
٤- الفنية (اللغة والرسم والصناعات) مثلاً.
٥- الهيئة وعلم طبقات النجوم .

إذاً لابد أن يكون ملماً بطرف من هذا مما تعرضت له النصوص الشرعية، وُذكر في الآيات والأحاديث لئلا يعرض له من هذا ما قد يعجز عن الجمع بينه وبين الكتب السماوية والإرشادات النبوية، أو يكون ظاهر الجهالة به وقد علمه صغار المتعلمين، فيتخذ عجزه ذريعة إلى ضعف الثقة به، وعدم الإذعان له، والاستخفاف بالوعظ وأهله.

- **أنواعه:**

يتنوع الوعظ إلى نوعين : تعليم وتأديب .

التعليم: ويحصل بأشياء :

١- بتعليم العقائد: مراعى فيها ما يناسب كل طبقة.
٢- بتعليم الأحكام الشرعية: مقرونة بحكمة التشريع ليكون أدعى إلى الإقناع وإشباع النفوس المتطلعة إلى معرفة حكمة التشريع .
٣- بتعليم الأخلاق الدينية وبيان مضار سيئها ومنافع حسنها .

ولهذه الثلاثة علوم التوحيد والفقه والأخلاق

التأديب : ويكون بالترغيب والترهيب لحمل العاصي على التوبة، والطائع على الاستمرار في الطاعة، مع الاستشهاد بما جاء في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح إذ لهذا من التأثير ما لا يستهان به .

وهذا النوع الأخير هو الأقرب فهماً لمعنى الوعظ والإرشاد، إذ يبعد أن معنى التذكير مجرد التعليم والتفات النفس إلى الحصول على ما يزيل جهالتها، بل المقصود الإنذار الذي يقرع النفوس ويفعمها رهبة حتى تتمكن الموعظة من النفس، تمكن الحاضر المشاهد، فتملك مشاعرها وتنتقش فيها انتقاشاً، يستتبع أثره ليصل الواعظ بمن يعظ إلى حضرة القدس الأعلى والحظوة بدار النعيم.

ويتنوع هذا النوع الأخير بحسب حال الواعظ ومن يعظ إلى أنواع من الشدة واللين كما ورد في قوله تعالى (﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]) وقوله جل شأنه (﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[طه: ٤٤]) ومن الجدل بالحسنى إلى ضرب الأمثال، إلى رواية قصص الأولين، إلى التذكير بالعقبى، إلى شرح فضيلة، أو تنبيه على قبح رذيلة، بحسب الأحوال والأشخاص والأزمان والأماكن.

ويجمع كل هذه المتفرقات قوله تعالى (﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]) .

***

المقصد الثالث

آداب الواعظ والمرشد

معلوم أن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله عز وجل، إذ هم العارفون له سبحانه من كمال وتنزيه، وبيدهم مقاليد سعادة الخلق يسيرون بهم نحو السبيل الموصل إلى الله تعالى : (﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣])

نعم هم سادة الناس ومحل ثقة الله تعالى : أودع فيهم عز وجل السر في فهم معنى آياته ودقائق أسرار كتابه المبين (﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧]) (﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]) فما أعظم مسئوليتهم وأشقها، وخاصة إذا هم تصدروا للوعظ والإرشاد، لذا لزم أن يكونوا عند هذه الثقة، وأن تتوافر في الواعظ الصفات الآتية. وهذه الصفات ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ما يرجع إلى تكوينه العلمي .

النوع الثاني : ما يرجع إلى أوصافه النفسية .

النوع الثالث : ما يرجع إلى آدابه حالة التأدية .

النوع الأول: ما يرجع إلى تكوينه العلمي .

الآداب الراجعة إلى تكوينه العلمي نوعان : ضرورية وكمالية .

- الآداب الضرورية:

(١) التمكن من العلوم الدينية :

التوحيد ، والفقه ، والأخلاق، مع الإحاطة بحكمة التشريع ليبني تعليمه على أساس متين.

إذ لو قصر في شرح عقيدة أو بيان حكم شرعي، أو شرح خلق ترغيباً فيه أو تنفيراً عنه، كان عاراً على الوعظ والوعاظ، وانفضت القلوب من حوله، ولإشباع النفوس المتطلعة إلى الوقوف على حكمة التشريع لإتمام الإذعان له والأخذ عنه، مع الأمانة في نشر العلم، والوقوف عند حده

أما جاهل أو غير أمين فخليق به أن يذم .

وقد جاء الكتاب والسنة وآثار السلف ببيان ذلك والحث عليه .

- الكتاب :

١- ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] أي فهلا نفر: أمر الله تعالى بصيغة التخصيص طائفة من كل جماعة بالتفقه للإنذار، ولا يبلغ المتفقه درجة إنذار غيره إلا حيث تمكن من معرفة ما ينذر به.

٢- ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦].

٣- ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فقد نهى الله تعالى في هاتين الآيتين عن الكذب والقول بغير علم .

- السنة:

١- : أخرج البخاري عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُ أَعْلَمُ)[١].

الآثار: مثل ما ورد :

١- عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:«ما أبردها على القلب إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم أن يقول : الله أعلم» .

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما : إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله .

وإجمالاً لا يلزم الواعظ أن يكون أميناً في العلم، وليس عاراً عليه أن يجهل بعضه. فالعالم حقاً من عرف:«أن ما يعلم فيما لا يعلم قليل، فإن مدى العلم أبعد من أن ينال وغايته أقصى من أن تدرك»».

لن يبلُغَ العلمَ جميعــاً أحدٌ ... كـلا ولَوْ حــاوَلَهُ ألفَ سنَــهْ

إنما العلْمُ عَمِيقٌ بحــــرُهُ ... فخذوا من كل شيءٍ أحسنه[٢]

وقد أخبر الله تعالى بأن كل شيء ينفد دون كلماته إذ علمه عز وجل لا نهاية له: (﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ

---

١) البخاري (٤٨٢٣)، ومسلم (٢٧٩٨). وانظر جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٣/ ١٩٧)

٢) ديوان الإمام الشافعي رحمه الله (ص: ١١٨)

كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف: ١٠٩]) (﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٨٥]) .

(٢) البعد عن العقائد الزائفة :

كإنكار ما تواتر من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو إنكار شفاعتهم والتوسل بهم دنيا وأخرى[١]، أو ادعاء ما فيه نسبة نقص إليهم، أو الطعن على القرآن الكريم، أو النقد عليه أو إنكار ما يخالف الوجود التاريخي منه، إذ هو قبل التاريخ .

أو ادعاء أنه لم يتعرض لنظام الحياة الدنيوية أو لم يحو الأمور الاجتماعية ولم يبحث فيها، أو قصره على الأمور الأخروية البحتة، أو إنكار كرامات

---

١) دعا كتاب الله عز وجل المؤمنين إلى التوسل بربهم، والتقرب إليه بما يحبه منهم، وذلك مما شرعه لهم في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ؛ فالتوسل إنما يكون بعمل يقدمه المرء، وكسب يحصل عليه بجهده.أمّا العاجزون الكسالى فإنهم يريدون الوصول إلى النتائج بدون المقدمات التي توصلهم إليها، فتراهم يتوسلون بأعمال غيرهم، وبجاه سواهم، وبحقٍّ لا يملكون منه شيئاً، ألا ما أعجب حال هؤلاء! وحقيق بمن هذا حاله أن لا يجاب إلى طلبه، وأن لا يصل إلى مراده؛ إذ أراد أن يدخل البيوت من غير أبوابها. وقد تبين خلال هذا البحث أن التوسل إنما يكون بأمور شرعها الله عز وجل، ودلت عليها سنة رسول الله ﷺ، وذلك بعمل صالح يقدمه المتوسل، وكذا التوسل إلى الله عز وجل باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته العليا، ومن ذلك التوسل إلى الله عز وجل بفضله ورحمته، وإحسانه إلى خلقه، وكذلك التوسل إلى الله عز وجل بدعاء الأحياء الصالحين من المؤمنين.، فهذه أبواب التوسل الشرعي الصحيح، وما سواها مزالق قد ينتهي بالإنسان إلى عبادة غير الله عز وجل، والطمع والرجاء في المخلوق. انتهى (انظر التوسل في كتاب الله عز وجل(ص:٦٢) طلال بن مصطفى عرقسوس نشر:الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة السنة السادسة والثلاثون، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م). وقال الشيخ عطية صقر رحمه الله :» قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾. الوسيلة في اللغة: هي ما يتقرب به إلى الغير... وفى الشرع: هي ما يتوسل به إلى رضوان الله (تعالى) ومنه الأعمال الصالحة، كالتي توسل من انطبقت عليهم الصخرة في الغار ودعوا ربهم بأعمالهم الصالحة: من بر الوالدين، والعفة عن الفاحشة، وعدم أكل مال الغير... أما التوسل بالرسول وبالأولياء فالتوسل الصحيح هو: بحبهم والاقتداء بهم، فذلك عمل صالح للإنسان تقرب به إلى الله؛ ليقبل الدعاء....» فتاوي عطية صقر (ص: ٥٧١)

الأولياء[1] أو ادعاء أي شيء يخالف نصاً أو إجماعاً، فذلك يشوش عليه

١) يتضح مفهوم كرامات الأولياء من كلام للشيخ محمد أحمد العدوي وهو أقرب إلى ما عناه الشيخ الزرقاني – رحم الله الجميع- يقول العدوي :«الولي بسكون اللام القرب والدنو، يقال تباعد بعد ولي، وكل مما يليك أي مما يقاربك، والولي ضد العدو، والمولى ابن العم والناصر، والموالاة ضد المعاداة، والولاية بالفتح والكسر النصرة» كما في مختار الصحاح أ.هـ.، وقال الراغب في المفردات (والولاية النصرة، والولي يقال في معنى الفاعل أي الوالي ، وفي معنى المفعول أي الموالي ، يقال للمؤمن هو ولي الله عز وجل، ويقال الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم، فولي الله: القريب منه بطاعته، والناصر له. ويستتبع ذلك أن الله تعالى يتولاه وينصره، فهو ولي الله بمعنى موال لطاعاته وموالى من الله تعالى على معنى أنه يستمد من معونته.، وهو في كل ذلك ضد العدو مأخوذ من العدو، وهو التجاوز ومنافاة الالتئام، والكرامة لغة اسم من الإكرام والتكريم، وهو التعظيم والتنزيه، ويقال له على كرامة أي عزازة، ذلك معناها اللغوي، وفي عرف المتكلمين.. الهامش عرفها الشيخ البيجوري: بأنها أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم» والقرآن كله في جملته وتفصيله يطلق الولي على من والى طاعة الله ومن تولاه الله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس:٦٢-٦٣) ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الأنفال:٣٤) ﴿ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(يوسف:١٠١) وفي الحديث عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إن آل فلان ليسوا بأوليائي – يعني طائفة من أقاربه- إنما وليي الله وصالح المؤمنين» ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾(البقرة:٢٥٧) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(النساء:٧٦) ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(آل عمران: ١٧٣-١٧٥) ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة:١٩٨) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(الأنعام:١١٢) ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الشعراء:٧٧) ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(فاطر:٦) من ذلك يتبين الفرق بين أولياء الله وأعدائه وأولياء الشيطان. فالمؤمنون بالله الأتقياء هم أولياء الله والوا طاعة الله فتولاهم الله. وبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فالناس يتفاضلون في الولاية بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاوتون في عداوة الله بحسب تفاوتهم في الكفر والنفاق. فأفضل أولياء الله تعالى أنبياؤه على تفاوت بينهم في الولاية ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ومن أفضل أوليائه بعد الأنبياء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والذين بايعوا النبي تحت الشجرة، وصالحو المؤمنين كلهم من أولياء الله على اختلاف أزمنتهم ودرجة تقواهم وإيمانهم. فكل مؤمن بالله تقي ولي له، فالتقوى درجات كذا الولاية، وقد يكون الرجل الواحد فيه ولاية لله وعداوة بأن يكون له طاعة ومعصية فهو في

وينفر الناس منه، بل على الواعظ دائماً أن ينفر من تلك العقائد، وأن يكون حرباً على كل ذي بدعة، وأن يفند شبه المبتدعين ويردها، ويحث على إتباع الكتاب والسنة والإجماع، ويبين للناس أن ما من شيء حقيراً أو عظيماً كبيراً أو صغيراً دنيوياً أو أخروياً انفرادياً أو اجتماعياً، إلا والقرآن والسنة والإجماع كفيلة به تصريحاً أو تلويحاً قال تعالى: (﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]) قال بعض المفسرين[١]: المراد بالكتاب القرآن والمعنى ما فرطنا في القرآن من شيء يحتاجون إليه، فهو مشتمل على كل ما يحتاجون إليه إشارة ودلالة واقتضاء .

ويبين لهم أن هذه البدع والضلالات مفضية إلى الخروج عن الدين والمروق عن الطريق المستقيم، فقد قال تعالى مبيناً أن من اتبع غير طريق الكتاب زلت قدمه وحاد عن الجادة، إذ قال جل شأنه (﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]).

روي أنه ﷺ: خطا خطاً مستوياً ثم قال : هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه : ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوه وتلا هذه الآية : (﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]). ثم يصير كل واحد من الإثني عشر طريقاً، ستة طرق فتكون اثنين وسبعين، رواه البخاري [٢]. وليس المراد من هذا العدد التحديد،

طاعته موال نقلا عن الشرح الجديد لجوهرة التوحيد(ص١١٣ وما بعدها) تأليف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد العدوي من علماء الأزهر الشريف ط١ ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م ط الحلبي. بتصرف

١) تفسير الخازن (٢/ ١١١)

٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣ / ٣٨٥) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد والنسائي والبزار وابن المنذر وابن ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم. وقد أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (ص٣٣ رقم ٢٤٤) . والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٣٥)، والدارمي في «سننه» (١/ ٦٠ ح ٢٠٨) . وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٣ رقم ١٧) . والبزار في «مسنده» (٥/ ١٣١ ح ١٧١٨).

بل المراد إفادة الكثرة فيجوز أن تكون أكثر من هذا .

(٣) عدم الخروج عن الكتاب والسنة والآثار وما يوافقها .

إذ الواعظ وارث نبوي ومرب إلهي، فما أجدره بالتمسك بأذيال الكتاب والسنة والآثار، لتسهل عليه الدعوة إلى الله تعالى وتهون عليه مهمته، ويكون محل ثقة لا مثار فتنة أو شبهة، ولا نعني بعدم الخروج الوقوف عند النصوص فقط، بل ذلك [مع] جعل هذه النصوص شاملة للظواهر الجوية وغيرها، إن تعرضت لها والجمع بينها وبين تلك النصوص، لتتمثل عظمة الكتاب والسنة في النفوس وتملؤها إجلالاً واحتراماً، لهذا الكتاب المبين والسنة الغراء، فعليه إذا تعرض لشيء من علم طبقات الأرض أو علم النجوم أو الكيمياء أو الطبيعة أو تقويم البلدان، أن يرجع ذلك إلى الكتاب والسنة، ويزيل ما ظاهره المخالفة بين المشاهد المحسوس ونصوص القرآن والسنة.

مثال ذلك في تقويم البلدان : يقولون إن الأرض جسم بيضاوي ويستدلون على ذلك بأدلة منها :

١- أن الواقف على شاطئ البحر أول ما يظهر له من السفينة طرف شراعها الأعلى، ثم لا تزال تظهر شيئاً فشيئاً، حتى إذا قرب منها رأى جميعها فلو كانت مبسوطة لرآها دفعة واحدة .

٢- ومنها اندفاع النيل من جهة خط الاستواء بحالة لا يمكن معها مقاومته، فلو كانت الأرض مبسوطة لما اندفع كذلك ولأمكنت مقاومته، ويقول الله

ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (ص٥). والنسائي في «تفسيره» (١ /٤٨٥ ح ١٩٤) . وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٢/٢٣٠ رقم ١٤١٦٨) . والهيثم بن كليب في «مسنده» (٢ / ٤٨ – ٥١ رقم ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧) . وابن حبان في «صحيحه» (١/١٨٠ – ١٨١ ح ٦ و ٧ / الإحسان) . والأجري في «الشريعة» (ص١٠) . والحاكم في «المستدرك» (٢ /٣١٨) . وأبو نعيم في «الحلية» (٦ / ٢٦٣) . وغيرهم وبأسانيد أخرى .

تعالى : (﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات: ٣٠]) أي بسطها مما يفيد أنها مبسوطة لا كروية كما يقولون في تقويم البلدان .

فيمكن التوفيق بينهما: بأن معنى (دحاها) بسط جوانبها، ليمكن الانتفاع بها والسعي عليها والعمل فيها، وهذا لا ينافي كرويتها على أن بعض المفسرين يجعل (دحاها) مفسرة بما بعدها من قوله تعالى :﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النازعات: ٣١-٣٣]) فيكون معنى دحوها تهيئتها للانتفاع بإخراج الماء والكلأ وتثبيتها بالجبال ونحو ذلك، ويقاس على ذلك غيره من قول الطبيعيين: «إن للأرض دورة حول محورها أمام الشمس في كل أربع وعشرين ساعة من المغرب إلى المشرق، ومن ذلك يحصل الليل والنهار، إذ الجزء المقابل للشمس فيها يكون فيه النهار، والمدابر لها يكون فيه الليل، مما يفيد أن الأرض متحركة والشمس ثابتة، ويقول الله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ٧]) مما يفيد أن الأرض ثابتة والشمس متحركة، فيمكن الجمع بينهما بأن معنى طلعت وغربت في رأي العين، إذ الجالس على الأرض عند ما يظهر منها الجزء الذي عليه المقابل للشمس يراها طالعة، وإن كان الطالع هو، وعكس ذلك يقال في الغروب».

أو معنى (طلعت) ظهرت ومعنى (غربت) خفيت، وهذا لا ينافي أنها ثابتة وأن من فوق الأرض من يراها أول النهار ظاهرة وآخره خافية .

(٤) العلم بالبدع الشائعة :

كالتبرج والزار ومحاربة الكتاب والسنة (ما يسمونه التجديد والإصلاح) وغير ذلك من جميع الأمراض والعلل الاجتماعية، ليعد لكل داء دواءه، وإلا كان كطبيب يداوي جميع الأمراض بدواء واحد،

وخطره لا يخفى وإثمه أكبر من نفعه .

(٥) عدم صرف ألفاظ الشرع عن ظاهرها إلى أمور لا تحتملها :

بألا يتعرض إلى التأويلات البعيدة التي لا تحتملها ألفاظ الكتاب والسنة، كالتأويلات التي انتحاها قوم ينسبون أنفسهم إلى علم الباطن، ويصرفون النصوص عن ظواهرها، إلى معان لا يفهمها سواهم، ويقصدون بها الإغراب، لتميل إليهم نفوس البسطاء لا الإصلاح .

ذلك أن صرف الألفاظ عن مدلولاتها الوضعية، دون نقل عن الشارع والسلف الصالح مما يؤدي إلى عدم الثقة بدلالة النصوص الصريحة، فتسقط منفعة الكثير من كلام الله ورسوله، بل منفعة الكل، إذ ما من لفظ إلا ويمكنهم صرفه عن ظاهره إلى ما يريدون.

من ذلك قول بعض من يدعون التصوف في تأويل قوله تعالى ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤]) إن المراد بفرعون القلب لأن القلب يطغى على كل الناس. وهنا نسألهم هل لفظ (فرعون) يراد به القلب في كل مواضعه في القرآن..؟.

أم يراد به القلب في هذه الآية فحسب..؟.

فإن كان الثاني فهو تحكم باطل، إذ لا فرق بين هذا اللفظ في هذه الآية وآية أخري، وإن كان الأول فبطلانه ظاهر أيضاً، وإلا فبين من تكون المناظرة في قوله تعالى (﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٦]) أبين موسي وقلب فرعون ....؟

وهل يصح إرادة القلب دون صاحبه ؟

أم المراد القلب لأنه رئيس المملكة الجسمية ....؟

وهلا كان الخطاب (لِمَنْ) يشمل القلب وغيره، وهو فرعون أحسن من خطاب القلب وحده الذي يحوجنا إلى التأويل والتجوز من غير ضرورة...؟

أم بين موسي وقلبه ... ؟

أم بينه وبين مطلق قلب.. ؟

أم بين مطلق إنسان وقلبه...؟

وهل قلب يرد بمثل هذا الرد الفظيع يكون إلا كافراً ؟

وما معنى إيمان شخص حكم على قلبه بالكفر ؟

وما قيمة الإنسان بمعنى الهيكل الجسمي دون القلب...؟

وهل هو إلا مجرد شبح لا يصح الحكم له أو عليه..؟

هذا تأويل فاسد نعوذ بالله من الزيغ.

ويقولون في قوله تعالى (﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢]) أي نفسك .

وقوله تعالى (﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣١]) أن المراد بالعصا ما سوى الله تعالى .

ومثل ذلك كثير مما نقله القاشاني الذي ملأ تفسيره بهذه الأباطيل .

وفي قوله ﷺ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ السَّحُورَ بَرَكَةٌ»[1] أراد به الاستغفار في الأسحار. وقولهم في حديث الإيمان والإحسان (فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[2] أن المراد إن أفنيت نفسك تشرفت بالرؤية.

---

١) رواه البخاري ٤ / ١٢٠ في الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب، ومسلم رقم (١٠٩٥) في الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، والترمذي رقم (٧٠٨) في الصوم، باب ما جاء في فضل السحور، والنسائي ٤ / ١٤١ في الصوم، باب الحث على السحور.

٢) البخاري في «الإيمان» باب سؤال جبريل النبي ﷺ، ١٠٦/١، ١١٥، مسلم فيه: باب الإسلام والإيمان والإحسان رقم (٩ و ١٠)، وأبو داود في السنة - باب في القدر رقم (٤٦٩٨)، والنسائي في الإيمان - باب صفة الإيمان والإسلام ١٠١/٨.

وبعض هذه التأويلات ظاهر البطلان، كحمل فرعون على القلب بما تقدم، لأنه حمل للفظ على المجاز مع إمكان الحقيقة، ولا يحمل اللفظ على المجاز إلا حيث تعذرت الحقيقة.

وكذا السحور على الاستغفار كيف أنه ﷺ كان يتناول الطعام مع أصحابه في ذلك الوقت .

روى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وزيد بن ثابت(تسحرا)[1] وزاد ابن عاصم في كتاب الصوم :«فأكلا تمرا وماء»، على أن هذا تفسير بالرأي وهو باطل لمخالفته للشرع والعقل وصاحبه هالك لا محالة.

روي عنه ﷺ أنه قال : (من فسر الْقُرْآن بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَده من النَّار)[2] أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه .

---

١) رواه البخاري ٤ / ١١٨ و ١١٩ في الصوم، باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر، وفي مواقيت الصلاة، باب وقت الفجر، وفي التهجد، باب من تسحر فلم ينم حتى صلى الصبح، ومسلم رقم (١٠٩٧) في الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، والترمذي رقم (٧٠٣) في الصوم، باب ما جاء في تأخير السحور، والنسائي ٤ / ١٤٣ في الصوم، باب قدر ما بين السحور وبين صلاة الصبح، وباب ذكر اختلاف هشام وسعيد على قتادة فيه.

٢) سنن الترمذي ت بشار (٥/ ٤٩)(٢٩٥٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. وفي لفظ سنن الترمذي ت بشار (٥/ ٤٩) (٢٩٥١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: اتَّقُوا الحَدِيثَ عَنِّي إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ على مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وفي هامش تحقيق جامع الأصول (٢/ ٦) الترمذي رقم (٢٩٥١) في التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ورقم (٢٩٥٢) وأخرجه أحمد في المسند رقم (٢٠٦٩) و (٣٠٢٥) ، والطبري «جامع البيان» رقم (٧٣) و (٧٤) و (٧٥) ومداره على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد تكلموا فيه. قال أحمد: ضعيف الحديث، وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث، ربما رفع الحديث، وربما وقفه، وقال ابن عدي: يحدث بأشياء لا يتابع عليها، وقد حدث عن الثقات، وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه لين، وهو ثقة، وقال الدارقطني: يعتبر به، وحسن له الترمذي، وصحح له الحاكم، وهو من تساهله، وصحح حديثه في الكسوف، انظر « تهذيب التهذيب» ٦ / ٩٤، ٩٥.

وليس المراد من هذا منع تفسير القرآن بالاستنباط والفكر في آياته، بل المراد منع ما هو ظاهر البطلان، مما لا يتفق وقضية العقل والشرع فقط، إذ من الآيات ما نقل فيه عن الصحابة والتابعين والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة فأكثر ولم يسمع جميعها عن النبي ﷺ غير أنه لا يتعارض والشرع والعقل، وعليه ينزل قوله ﷺ لابن عباس(اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)[1] رواه الإمام أحمد والحاكم بإسناد صحيح .

***

١) البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

- **آداب الواعظ والمرشد الكمالية :**

(١) الإحاطة بالعلوم الكونية :

أدبية كالأدب والفلسفة والهيئة وعلم النجوم أم رياضية (كالحساب وتقويم البلدان والهندسة) أم طبيعية (كالكيمياء والطبيعة) أم فنية كاللغة والرسم والصناعات، أم اجتماعية كالتعاون والتربية وعلوم التجارة، وعلاقات الأمم التجارية والسياسية وغير ذلك .

ونعني بذلك العلم بطرف منها مما تعرضت له النصوص الشرعية، لئلا يعرض له من ذلك ما قد يعجز عن تطبيقه على النصوص الشرعية فتضعف الثقة بها.

أو ما يكون ظاهر الجهالة به وقد علمه البسطاء وصغار المتعلمين، فيؤدي ذلك إلى ضعف الثقة به وعدم الأخذ عنه، والفشل في مهمته، ويلبس الوعظ وأهله ثوب عار. كما لابد أن يكون محضراً للموضوع ملما بأطرافه، عالماً بالأساليب المؤثرة في النفوس ليتم الإذعان له والقبول منه.

(٢) حفظه القرآن الكريم وشيئا من السنة والآثار :

وهو (ضروري للواعظ لا كمالي) مع استحضار المعنى وما يحتمله اللفظ تصريحاً وتلويحاً، فإن ذلك يساعد على التأثير في النفوس، وليبني كلامه على أساس متين، فما أجمل الموعظة تبنى على الآية الكريمة أو الحديث الشريف، ثم يتدرج منها إلى ما يريد حمل الناس عليه، ولابد من الجمع بين ما ظاهره التنافي أو المخالفة، لإشباع النفوس المشتاقة إلى البحث وراء الحقائق الشرعية .

(٣) سعة الاطلاع والقدرة على التصرف في دائرة الشرع :

لما أن أمراض القلوب على ضروب شتى ومناح مختلفة باختلاف البيئة، والوسط والأزمان والأماكن.

فقد يحدث في بعض العصور من البدع ما لا يحصل نظيره في العصور قبله، فإذا ما كان واسع الاطلاع غزير العلم قادراً على التصرف، أمكنه أن يعد لكل جلسة جوادها ولكل مضمار سلاحه، فلا يقف به القصور موقف العي والعجز، ولا يقعد به الجبن حيث الإقدام مطلوب .

ولا يعوزه النصير إذا دعا داعي الدين للذود عن حياضه، والدفاع عن بيضته، لذا كان عيباً على الواعظ أن يتعبد طويلا بألفاظ دواوين الخطب العتيقة، مما لاكته الألسن طويلاً ومجته الأسماع حتى أصبح لا يؤثر في القلوب ولا تهتز له الأسماع لكثرة تكرار ألفاظه والتشدق بها، بل من واجب الواعظ أن يكون ذا براعة سيالة، وقلم مصقول وفكر ثاقب ولسان حاد، ليدفع كل بدعة ويبيد كل رذيلة، فيسعد به شعبه وتسود به أمته .

***

النوع الثاني: ما يرجع إلى أوصافه النفسية

الآداب الراجعة إلى أوصافه النفسية أيضاً نوعان: ضرورية ، وكمالية .

-أوصافه النفسية الضرورية :

(١) العمل بعلمه :

لما تقدم أن الواعظ وارث نبوي ومرب إلهي ومرتبته الوراثة عن النبي ﷺ تحتم عليه العمل بعلمه، لئلا يخالف حاله قاله، فلا تؤثر موعظته ولا يفيد إرشاده.

وأنه معلم، ونفوس المتعلمين مطبوعة على تقليد معلميهم، يفعلون إن فعلوا ويتركون إن تركوا، فمطمح نفوسهم دائماً إلى فعلهم وتركهم أيا كان، فإذا ما نهاهم عن شيء وهو يفعله، فلا ريب في أن يفعلوه بل يزيد حرصهم عليه إذ يذهب بهم الظن إلى أنه ألذ الأشياء وأكثرها منفعة، وإلا لما استأثر به دونهم، وواعظ هكذا كذب فعله قوله صاد عن سبيل الله لا مرغب فيه، لذا

تضافرت نصوص الكتاب والسنة وآثار الصالحين على النهي عن ذلك وذم فاعله وفقد منفعته، مصوبة سهام لومها على من لم يعمل بعلمه .

الكتاب مثل قوله تعالى :-

١- ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] فقد جعل تعالى أمر الغير بالخير، مع حرمان النفس منه مما لا يتفق وقضية العقل، إذ العاقل لا يناقض نفسه .

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

السنة : مثل قوله ﷺ :

١- عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَنْطَلِقُونَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: بِمَ دَخَلْتُمُ النَّارَ..؟ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ إِلَّا بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ؟ فَيَقُولُونَ، إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ»[1] .

٢- عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ»[2] رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن إن شاء الله تعالى .

---

١) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/١٥٠) ح(٤٠٥) وقال في مجمع الزوائد (١/ ٤٤١) رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بكر عبد الله بن حكيم الداهري وهو ضعيف جدا، وأَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ في(كِتَابِ اقْتِضَاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلَ / بَابٌ فِي التَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْعِلْمِ وَعَدَلَ إِلَى ضِدِّهِ وَخَالَفَ مُقْتَضَاهُ فِي الْحُكْمِ السَّابِقِ ج١/ص٥٠/٧٣) مِنْ طَرِيقِ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَي بِمِثْلِهِ .

٢) المعجم الكبير للطبراني(٢/١٦٥) ح(١٦٨١) الزهد لأبي داود (ص: ٣٢٦) (٣٧٧) كشف الخفاء ت هنداوي (٢/ ٣٦٩) والضياء في «المختارة» عن حذيفة. قال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٢٣٢: رواه الطبراني من طريقين في إحداهما: ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وفي الأخرى على بن سليمان الكلبي، ولم أعرفه، وبقية رجالها ثقات.

٣- عَنْ علي كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، فأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْجِزُهُ إِيمَانُهُ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ كُفْرُهُ، وَلَكِنْ أَتَخَوَّفُ عليكُمْ مُنَافِقًا عَالِمُ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُ مَا تُنْكِرُونَ» [١]. رواه الطبراني في الصغير والأوسط من رواية الحارث وهو الأعور وقد وثقه ابن حبان وغيره.

- الآثار:

١- قال سيدنا الإمام علي كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلانِ: عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ، وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ. فأما الجاهل فيغر الناس بنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه [٢].

٢- وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصَّفَا» [٣].

٣- قَالَ الإمام حجة الإسلام الْغَزَالي رحمه الله تعالى فِيمَا كَتَبَهُ إِلَى أَبِي حَامِدٍ أحمد بِنْ سَلامَة بِالْمُوصَلِ: أَمَّا الْوَعْظُ فَلَسْتُ أَرَى نَفْسِي أَهْلاً

---

١) المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٢٠٠) (١٠٢٤) وقال لَمْ يَرْوِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِلَّا عَبَّادُ بْنُ بَشِيرٍ وَلَا يُرْوَى عَنْ علي إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ انتهى .وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٣٦٧) رَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ؟ لِجَهَالَةِ التَّابِعِيِّ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ مِنْ رِوَايَةِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ لَكِنْ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ. وقال ابن حجر في المطالب (١٢/ ٥٢٧) بعدما ساق الحديث بسنده :«عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ فِي حَلْقَةِ أَيُّكُمْ يُحَدِّثُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا؟ فَقَالَ لَهُ علي رضي الله عنه: أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَسْتُ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا كَافِرًا أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ إِيمَانُهُ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَمْنَعُهُ كُفْرُهُ وَلَكِنَّ رَجُلًا بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا ذَلَقَ بِهِ يَتَأَوَّلُهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ فَقَالَ مَا تَعْلَمُونَ وَعَمِلَ مَا تُنْكِرُونَ فَضَلَّ وَأَضَلَّ.)قُلْتُ: أَظُنُّ أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدَنِيَّ الْمَذْكُورَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى هُوَ إِسْحَاقُ الْمَذْكُورُ فِي الثَّانِيَةِ وَإِنَّمَا دَلَّسَهُ بَقِيَّةُ لِضَعْفِهِ. وقال في مجمع الزوائد (١/ ١٨٧) رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف جدا.

٢) إحياء علوم الدين (١/ ٥٨).

٣) شعب الإيمان (٣/ ٢٩٨) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٠٢) وفي الزهد لأحمد بن حنبل (١/ ٥٣٩).

له، لأَنَّ الْوَاعِظَ زَكَاةُ نِصَابِهِ الاتِّعَاظ، فَمَنْ لا نِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ وَفَاقِدُ النُّورِ كَيْفَ يَسْتَنِيرُ بِهِ غَيْرُهُ، وَمَتَى يَسْتَقِيمُ الظِلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجُ»[١].

وإجمالاً فعلى الواعظ أن يتعظ ثم يعظ ليثمر وعظه، فإن الواعظ يجري من الموعوظ مجرى ذي الظل من الظل، فكما لا يستقيم الظل، والعود أعوج لا يستقيم الموعوظ مع اعوجاج الواعظ .

ولا يخرجه من ضيق هذا المأزق، أن يتلمس لنفسه العذر متمثلاً بقول زياد ابن أبيه .

فخذ بعلمي ولا تركن إلى عملي ... يَنفَعْك علمي ولا يَضْرُرْك تقصيري[٢]

مع ما علمت من النصوص آنفا وبالله التوفيق .

(٢) الحلم وسعة الصدر :

الحلم حبس النفس عند هيجان الغضب.

إذ يلزم الواعظ بما له من هذه الصبغة النبوية، أن يحبس نفسه عن تنفيذ مقتضى الغضب، ليعالج القلوب هادئ البال فلا يستفزه الغضب، وإلا نفرت منه القلوب وحيل بينه وبين ما يريد، وحسبك ما جاء به الكتاب والسنة والآثار من التنفير من الغضب والحث على الحلم .

---

١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ٢١٦)

٢) غرر الخصائص الواضحة (ص: ٢٠٠) قال الشعبي ما سمعت أحداً يتكلم إلا تمنيت أن سكت مخافة أن يخطئ إلا زياداً فإنه كان لا يزداد اكثاراً إلا ازداد إحساناً خطب فقال أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون أن تنتفعوا منا بأحسن ما تسمعون فإن الشاعر يقول اعمل بقولي ولا تنظر إلى عملي ..... البيت وانظر جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (٢/ ٢٧٦) والعقد الفريد (٤/ ٢٠٢) .. والبيت كما في عيون الأخبار (ص: ١٨٦) من قول الخليل بن أحمد،وكذا في معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٣/ ١٢٦٧) ونور القبس (ص: ٢٢) ومن قول سفيان بن عيينة كما في المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (ص: ١٠٣٤) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٨/ ١١٦) والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٥/ ٢٨).

- الكتاب:

(١) ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[النحل: ١٢٧].

أمره الله تعالى أن يحلم عند داعي الغضب، لتمكن الإفادة والاستفادة، كذا قوله تعالى (﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾[الأعراف: ١٩٩])

(٢) ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴾ [الشعراء:١٣].

فقد خاف سيدنا موسي عليه السلام من ضيق الصدر، أن يحول بينه وبين قصده فطلب مؤازرة أخيه هارون .

(٣) ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨] (﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]) أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتسبيح والصلاة عند موجب الغضب، ليتسرى عنه الغضب ويتسع صدره ويحلم فلا يغضب من هزء أعدائه، كيما يتمكن من جذب نفوسهم نحو الحق، كما أمر بكظم غيظه .

- السنة :

(١) عَنْ علي بْنِ أَبِي طَالِبٍ كرم الله وجهه: «إِنَّ الْمَرْءَ لَيُدْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ »[١] رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب[٢].

---

١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٨٩) المعجم الأوسط (٦/ ٢٣٣) وقال : «لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ علي رَضيَ اللَّه عَنْهُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَاد، تَفَرَّدَ به إِسْمَاعيلُ بْنُ عَيَّاش، قال في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْزَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا. الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ١٩٤)

٢) هدية العارفين (٤٤٧/١) أَبُو الشَّيْخ الأصبهاني - عبد الله بن مُحَمَّد بن جَعْفَر بن حبَان الأصبهاني الْحَافِظ أَبُو مُحَمَّد الْوزان الْمَعْرُوف بِأبي الشَّيْخ ابْن حبَان توفى سنة ٣٦٩ تسع وَسِتِّينَ وثلاثمائة. من

(٢) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» [١]. رواه البخاري ومسلم .

- الآثار:

عن معاوية بن أبي سفيان صاحب النبي ﷺ وكاتب وحيه [٢]: لَوْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةٌ مَا انْقَطَعَتْ لأنهم إن أرخوا شددت وإن شدوا أرخيت[٣] وهذا هو الحلم بعينه .

تصانيفه تَاريخ أصبهان. طَبَقَات أهله. كتاب الثَّوَاب للأعمال الزكية. كتاب السّنَن المعظمة والأخلاق النَّبَوِيَّة. كتاب العظمة وَغير ذَلِك....وانظر كشف الظنون (٢/ ١٤٠٧).

١) رواه البخاري ١٠ / ٤٣١ في الأدب، باب الحذر من الغضب، ومسلم رقم (٢٦٠٩) في البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، والموطأ ٢ / ٩٠٦ في حسن الخلق، باب ما جاء في الغضب.

٢) الأحاديث في فضائل معاوية رضي الله عنه ومناقبه، كثيرة مشهورة بعضها في الصحيحين. قال ابن كثير بعد ذلك (١١/٤١٠): «قال ابن عساكر (١٠٦/٥٩): وأصح ما رُوي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس أنه كاتبُ النبيِّ ﷺ منذ أسلم، أخرجه مسلم في صحيحه. وبعده حديث العرباض: اللهم علمه الكتاب. وبعد حديث ابن أبي عَميرة: اللهم اجعله هاديا مهديا»». ومعاوية صحابي جليل وقد أطلق عليه العلماء أنه خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين . فهو خال المؤمنين لأن أخته حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ ومن أمهات المؤمنين وهو من كتبة الوحي فكان يكتب للنبي القرآن وقد عدد الحافظ ابن كثير كتاب الوحي وذكر منهم معاوية ...عن رباح بن الجراح الموصلي قال سمعت رجلا يسأل المعافى بن عمران فقال يا أبا مسعود أيش عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال لا يقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل وقد قال رسول الله ﷺ دعوا لي أصحابي وأصهاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس.(الآجري ٢٤٦٦/٥ واللالكائي ١٤٤٥/٨ وتاريخ بغداد ٢٠٩/١ ومن طريقه الجورقاني ١٩٥/١ وقال: هذا حديث مشهور)،

٣) السلطان لابن قتيبه صـ٥١. أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٨٥)ومعاوية بن أبي سفيان للصلابي (ص: ٢٤٣) نهاية الإرب (٦/ ٤٤) العقد الفريد (١/ ٢٥). وجاء في جمهرة الأمثال (١/ ٦٥) قَوْلهم إِذا عز أَخُوك فهن: الْمثل لهذيل بن هُبَيْرَة التغلبي وَكَانَ أغار على بني ضبة فَأقبل بِمَا غنم فَقَالَ أَصْحَابه اقْسمْ بَيْننَا غنيمتنا فَقَالَ أَخَاف الطّلب فَأَبَوا إِلَّا الْقسم فَقَالَ (إِذا عز أَخُوك فهن) وَقسم بَينهم وَمَعْنَاهُ إِذا صَعب أَخُوك فَلنْ فَإِنَّك إِن صعبت أَيْضا كَانَت الْفرْقَة يُقَال عز يعز عزة إِذا اشْتَدَّ وَعز على كَذَا أَي اشْتَدَّ واستعز الوجع بالمريض أَي اشْتَدَّ وَعز وَالأَرْض العزاز الصلبة الشَّدِيدَة

(٣) الشجاعة :

يلزم أن يكون الواعظ رابط الجأش قوى الإرادة صادق العزم، لئلا تأخذه في اللّه لومة لائم، يخوض غمار الكلام مجاهراً بالحق ناصرا للفضيلة، لا يضعضع من شجاعته اللوم، ولا يفت من عزمه الخوف، إذ لو كان ضعيف الإرادة جباناً، فجدير به أن يكون عقبة في سبيل الإصلاح وعالة على كاهل الوعظ ، لا يقدر على تغيير منكر ولا تأييد حق، أضف إلى هذا أن ضعفه لابد دافعه إلى التودد إلى الناس بأنواع الملق والمتاجرة بدينه، كيما يحمي نفسه من غضب من يخاف مجاهرته بحقيقة ربما كانت مرة في ذوقه أو قاسية على سمعه، وما هكذا كان النبي ﷺ ولا خلفه من بعده . ونظرة في كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله ﷺ ترشدنا إلى ذلك .

- الكتاب :

١- ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]

٢- ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

٣- ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] والمجاهدة أعم من أن تكون بالسيف فقط، بل الواعظ مجاهد بلسانه وحاله .

وعزني فِي الْخطاب اشْتَدَّ فِيهِ حَتَّى غلبني، وَهن من قَوْلهم فلَان هَين لين إِذا كَانَ سهلا منقاداً وَلَيْسَ من الهوان وَرجل هَين لين وهين لين لُغَتَانِ قَالَ الشَّاعِر:

(هَينُونَ لَينُونَ أيسار ذَوُو يسر ... أَرْبَاب مكرمَة أَبنَاء أيسار)

وَتقول الْفرس فِي معنى هَذَا الْمثل : (إِذا مَا حمَار السوء لم يَأْتِ حمله ... نفاراً فأدن الْحمل مِنْهُ وَحمل)

وَأخذ مُعَاوِيَة معنى هَذَا الْمثل فَقَالَ لَو أَن بيني وَبَين النَّاس شَعْرَة ممدودةً مَا انْقَطَعت، لاني إِذا مدوا أَرْسلت وَإِذا أَرْسلُوا مددت

وفي سراج الملوك (ص: ٦١) وقال معاوية: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها. ونحو هذا قول الشعبي: كان معاوية كالجمل الطب، والجمل الطب هو الحاذق بالمشي لا يضع يده إلا حيث تبصر عينه.

٤- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

- السنة:

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تهاب أن تقول لِلظَّالِمِ يا ظَالِمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ»[1] رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ ..؟ قَالَ «يَرَى أَن لِلَّهِ عليه حقاً ثُمَّ لاَ يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا ..؟ فَيَقُولُ خَشْيَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ فَإِيَّاىَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى»[2]. رواه ابن ماجة ورجاله ثقات .

(٤) العفة واليأس مما في أيدي الناس :

فإن من عف عما في أيدي الناس حبب إليهم وعظم لديهم، ومن طمع فيه ذل فيهم وهان عليهم، فمن واجب المرشد النزاهة والزهد فيما بأيدي الخلق، لتمكنه من المجاهرة بالحق، وإن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

---

١) الحاكم (١٠٨/٤) ، أحمد (١٦٣/٢، ١٨٩، ١٩٠). وفي مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ بِإِسْنَادَيْنِ، وَرِجَالُ أَحَدِ إِسْنَادَيِ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَكَذَلِكَ رِجَالُ أَحْمَدَ، إِلَّا أَنَّهُ وَقَعَ فيه فِي الْأَصْلِ غَلَطٌ فَلِهَذَا لَمْ أَذْكُرْهُ. وقال في موضع آخر (٢٧٠/٧) وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ» . رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ سِنَانُ بْنُ هَارُونَ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَدْ حَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

٢) سنن ابن ماجه (١٣٢٨/٢) قال محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات. وقال والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨/ ٢٧) رَوَاهُ أبو داود الطيالسي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَاللَّفْظُ لَهُ. وأخرجه أحمد في مسنده (١٧/ ٣٥٧) ح(١١٢٥٥)(١١٤٤٠)و(١١٦٩٩) و(١١٨٦٨) عبد بن حميد في «المنتخب» (٩٧١) ، والبيهقي في «السنن» ١٠/٩٠-٩١ من طريق محمد بن عبيد، وابن ماجه (٤٠٠٨) ، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٨٤/٤ من طريق أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، به.

وآثار أسلافه ما يملأ النفوس إيماناً بذلك .

- الكتاب :

(١) ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [طه: ١٣١]

(٢) وقال تعالى: على لسان سليمان بن داود عليهما السلام . حينما أرادت ملكة سبأ (بلقيس) أن تمده بالمال، لتصده عن مهاجمتها في سبيل الدعوة إلى توحيد الله (﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل: ٣٦]) .

- السنة :

(١) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَلَت: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ قَالَ ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[١] .

(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا

---

١) سنن ابن ماجه(١٣٧٣/٢)(٤١٠٢) وفي جامع العلوم والحكم (ص:٢٨٦) حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة، وقال الحاكم المستدرك (٣١٣/٤) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وفي كشف الخفاء ط القدسي(١١٧/١)ورواه النووي في أربعينه بلفظ ازهد فيما عند الناس يحبك الناس ثم قال حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣٠٢) هذا إسناد ضعيف خالد بن عمرو قال أحمد وابن معين وأحاديثه موضوعة وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث. وقال ابن حبان: كان ينفرد عن الثقات بالموضوعات لا يحل الاحتجاج به بخبره ثم غفل فذكره في الثقات، وضعفه أبو داود والنسائي وقال ابن عدي: عامة أحاديثه أو كلها موضوعة. قلت: وأورد له العقيلي هذا الحديث بهذا الإسناد. وقال ليس له أصل من حديث الثوري انتهى. وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية من طريق خالد بن عمرو وضعف الحديث به، وقال النووي عقب هذا الحديث: رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة وقال الحافظ عبد العظيم المنذري في كتاب الزهد من الترغيب (٧٥/٤) وقد حسن بعض مَشَايخنَا إِسْنَاده وَفِيه بعد لأَنَّهُ من رِوَايَة خَالِد بن عَمْرو الْقرشِي الأُمَوِي السعيدي عَن سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَن أبي حَازِم عَن سهل وخَالِد هَذَا قد ترك واتهم وَلم أر من وَثَّقَهُ لَكِن على هَذَا الحَدِيث لامعة من أنوار النُّبُوَّة وَلَا يمْنَع كَون رَاوِيه ضَعِيفا أَن يكون النَّبِي ﷺ قَالَه وَقد تَابعه عليه مُحَمَّد بن كثير الصَّنْعَانِيّ عَن سُفْيَان وَمُحَمّد. هَذَا قد وثق على ضعفه وَهُوَ أصلح حَالا من خَالِد وَاللَّه أعلم.

رَأَيْتُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، فَادْنُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلَقَّى الْحِكْمَةَ»[1] رواه أبو يعلى.

– الآثار :

(١) قال أبو سعيد الحسن البصري رحمه الله : لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه .

(٢) ولعلي بن عبد العزيز القاضي رحمه الله من قصيدة له :

أرى الناس من داناهُم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقضِ حقّ العلمِ إن كُان كلما ... بدا مطمعٌ صيّرتُه لي سُلّما [2]

(٥) القناعة والرضاء باليسير :

فبقدر قناعة الوعاظ يكون التفاف الناس حولهم، واحتفاؤهم بهم وتكبيرهم لشأنهم والانقياد لهم ، وبقدر حرصهم على الحطام الفاني تكون الزهادة فيهم، وعدم الثقة بهم وكانوا مع ذلك موضع حيرة وتهمة، فهم إذا حرصوا على الدنيا وتطاولوا فيها بما فوق الحاجة مع دعوة الناس إلى الزهد فيها، والرضا بيسير العيش وخشنه، كذّبوا أقوالهم بأحوالهم، وكانوا مفسدين لا مصلحين إذ يزيد حرص الناس على الدنيا تأسياً بوعاظهم، وحسبك في ذلك كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

---

١) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢/ ١٧٥) (٦٨٠٣) وانظر المطالب العالية (١٣/ ٢٩٢) ح(٣١٧٤)

٢) القائل القاضي أَبُو الْحسن على بن عبد الْعَزِيز الجرجاني ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٤٦٠) وفيه أنشدنا القاضي أَبُو الْحسن على بن عبد الْعَزِيز الجرجاني لنَفسِه من قصيدته :

يَقُولُونَ لي فِيك انقباض وَإِنَّمَا ... رَأَوْا رجلا عَن موقف الذل أحجما
أرى النَّاس من داناهم هان عِنْدهم ... وَمن أكرمته عزة النَّفس أكرما
وَمَا كل برق لَاحَ لى يستفزنى ... وَلَا كل من لاقيت أرضاه منعما
وإنى إِذا مَا فاتنى الْأَمر لم أَبت ... أقلب كفى إثره متندما
وَلم أقض حق الْعلم إِن كَانَ كلما ... بدا طمع صيرته لى سلما
إِذا قيل هَذَا منهل قلت قد أرى ... وَلَكِن نفس الْحر تحْتَمل الظما

- الكتاب:

١- ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]

٢- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

٤- ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

والآيات وإن كانت عامة إلا أن أحق الناس بذلك الوعاظ .

- السنة:

١- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « عَرَضَ عليَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا قُلْتُ: لَا يَاربِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا وَقَالَ ثَلَاثًا، أَوْ نَحْوَ هَذَا فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إليكَ وَذَكَرْتُك، وَإِذا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ»[1] . رواه الترمذي من طريق عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زَحْرٍ، عَنْ علي بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْه وقال حديث حسن .

٢- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ يُنْخَلُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الدَّقِيقُ،

---

١) سنن الترمذي (٤/ ١٦٨)رقم (٢٣٤٨) في الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، قال: وفي الباب عن فضالة بن عبيد. مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٥٢٨) (٢٢١٩٠) وأخرجه ابن المبارك في «الزهد - زوائد نعيم» بإثر الحديث (١٩٦)، ومن طريقه أخرجه ابن سعد ٣٨١/١، والترمذي بإثر الحديث (٢٣٤٧)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» ص ٢٦٧، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٦٧) ، والبغوي في «شرح السنة» بإثر الحديث (٤٠٤٤)وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨٣٥) ، ومن طريقه أبو نعيم في «الدلائل» (٥٤٠)، والشجري في «أماليه» ٢٠٨/٢ من طريق سعيد بن أبي مريم، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤١٠) من طريق عبد الله بن صالح، كلاهما عن يحيى بن أيوب، به. ووقع في رواية الطبراني: «ولكن أشبع يوماً، وأجوع ثلاثاً». وأخرجه أبو الشيخ ص ٢٦٧، وأبو نعيم في «الحلية» ١٣٣/٨ من طريق مُطَّرِح بن يزيد، عن عبيد الله بن زحر، به. وسقط من إسناده في مطبوع «أخلاق النبي ﷺ»: «علي بن يزيد».

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا قَمِيصٌ وَاحِدٌ»[1] رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

(٦) العلم بأحوال الناس :

ليختار لكل ما يناسبه، إذ لو جهل حالهم لأخطأ الطريق في إصلاحهم، وضل في كيفية السير بهم، والحجة في ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فموضع المنة كون الرسول ﷺ منهم، ليكون عليماً بحالهم خبيرا بمواطن الضعف والقوة منهم، ليصطفي لهم ما يربأ بهم عن مزالق الشقاء، ويرفعهم إلى ذروة السعادة الخالدة قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٢] فهذه النصوص الكريمة ترشدنا إلى أن العلم بأحوال الناس، من أجلّ عدة الواعظ ليثمر وعظه .

(٧) قوة الثقة مع الرجاء في الفائدة مهما طال به العلاج .

فمتى انبعث في نفسه ذلك قويت عزيمته واشتد ساعده.

فبينما هو تنتابه أعاصير اليأس والقنوط، إذ هو أبعد الناس عن يأس وقنوط، رابط الجأش، ثبت العزيمة يقلب وجوه الفكر ويستفتح مغلقات الحيل، ليعالج النفوس المريضة هادئ البال مطمئن الخاطر يتحين الفرص للوصول إلى غايته .

وإن في تتبع سيرة المصطفى ﷺ والأنبياء قبله -عليهم السلام- ما ينبئ

---

١) قال مجمع الزوائد (١١/ ٢٢٨) رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيهما سعيد بن ميسرة وهو ضعيف. وفي مسند البزار (١٠/ ٧٥) (٤١٤٠) وقال وَهَذَا الْحَدِيثُ لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَن أَحَد مِنْ أَصْحَاب النَّبيّ ﷺ بهَذَا اللَّفْظ إلاَّ عَن أَبي الدَّرْدَاء بهَذَا الإِسْنَاد وَسَعيدُ بْنُ مَيْسَرَةَ قَدْ حَدَّثَ عَنْهُ يُونُسُ بأَحَاديثَ لَمْ يُتَابَعْ عليها، وَقَد احْتَمَلَهَا أَهْلُ الْعلْم عَلَى مَا فيهَا. وفي القناعة للدينوري (ص: ٦٦) سنده ضعيف جدا.

عن مقدار مثابرتهم، فلقد قام ﷺ بمكة وغيرها، يدعو الناس إلى التوحيد نحو العشرين سنة، لاقى في غضونها من أصناف الكيد وأنواع الأذى ما لا يقوى عليه غير أولي العزم، فشج رأسه وكسرت رباعيته[1]، وتعاهدت قريش في صحيفة علقتها بالكعبة على منابذته ومقاطعته[2]، فلم يزده ذلك إلا تمسكاً بمبدئه ومثابرة على نشر دعوته حتى لقد قال لهم: «لو جئتموني بالشمس في يد والقمر في أخرى ما حلت عما أنا عليه»[3]. وما زال كذلك حتى ظهر الحق، وبزغ فجر الإصلاح مع كثرة المعاندين الجاحدين، وقوتهم التي لم يفلها سوى قوة ثقة هؤلاء المصلحين عليهم الصلاة والسلام.

فليس من اللياقة أن يتطرق اليأس إلى قلب مؤمن، لا سيما من تصدى للوعظ ووقف نفسه على الإصلاح، وقد نهى الله تعالى عن اليأس تضميناً بقوله: (﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]) فلابد من غلبة الحق مهما كان الباطل قويا.

---

١) انظر الحديث عن يوم أحد في مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٣٣٦) قال العلامة شعيب الأرناؤوط: «إسناده حسن، رجاله رجال الصحيح. أبو نوح: اسمه عبد الرحمن بن غزوان الضبي، وقُراد لقب له.، وأخرجه أبو داود (٢٦٩٠) عن أحمد بن حنبل، بهذا الإسناد. مختصراً.، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠ / ٣٥٠ و١٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦، ويعقوب بن شيبة في « مسند عمر « ص ٦٣ - ٦٤، وأبو عوانة ٤ / ١٥٧ من طريق أبي نوح قُراد، به، وحسن يعقوب بن شيبة إسناده.، وأخرجه عبد بن حميد (٣١) ، ومسلم (١٧٦٣) ، ويعقوب بن شيبة ص ٥٧ - ٥٨ و٥٨ و٦٠ و ٦٢ ،والترمذي (٣٠٨١) ، والبزار (١٩٦) ، والبيهقي ٩ / ١٨٩ و١٠ / ٤٤، وأبو عوانة ٤ / ١٥٢ و١٥٥ و١٥٦، وابن حبان (٤٧٩٣)، والبيهقي في «السنن» ٦ / ٣٢١ وفي «الدلائل» ٣ / ٥١ - ٥٢، (٤٠٨) من طرق عن عكرمة بن عمّار، به...، والرباعية: هي السن التي بين الثنية والناب.

٢) انظر مقاطعة قريش رهط النبي ﷺ في كتاب مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص: ٤٤).

٣) سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٢٦٥- ٢٦٦ [وأخرج هذه القصة البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٨٧) وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ١٧٦) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٧) بسياق آخر عن عقيل بن أبي طالب، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٥) : «رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوّله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح» الكامل في التاريخ ج٢ ص٦٤ الحلبية ج١ ص٣٢٣.

قال الإمام علي كرم وجهه: «لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق»[1]، وقال تعالى (﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨]) فالحق لابد فائز .

(٨) التواضع والبعد عن الخيلاء والكبر

إذ الوعاظ ورثة الأنبياء عليهم السلام، وما كان من شأنهم الخيلاء والكبر، إذ إنه ينافي الفضل الذي هو من سماتهم، والحكمة التي من أجلها بعثوا، وهي ضم النفوس واستمالتها نحو اعتناق الفضائل واجتناب الرذائل.

أما الكبر فمدعاة النفور وانفضاض القلوب التي الواعظ في أشد الحاجة إلى تأليفها، لذا جاءت نصوص الكتاب والسنة منفرة من الكبر والخيلاء داعية إلى التواضع .

- الكتاب :

١- ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨]
٢- ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]
٣- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- السنة :

١- روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَا زَادَ اللَّه رَجُلًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَلَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّه»[2].

١) لم أقف عليه.

٢) رواه مسلم ح (٢٥٨٨) في البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، والترمذي ح (٢٠٣٠) في البر والصلة، باب ما جاء في التواضع، والموطأ ٢ / ١٠٠٠ في الصدقة، باب ما جاء في التعفف عن

٢- قال ﷺ:«ثَـلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَـوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَـابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»[١].

- الآثار :

١- قال سيدنا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تتَعَلَّمُونَ مِنْهُمْ، وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ؛ فَلا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ»[٢].

المسألة، ويشهد لرواية مالك المرسلة، رواية مسلم والترمذي. وأخرجه أحمد (٢/ ٢٣٥) وفي (٢/ ٣٨٦). وفي (٢/ ٤٣٨) والدارمي (١٦٨٣) وغيرهم

١) أخرجه الطبرانى في الأوسط (٥/ ٣٢٨ح ٥٤٥٢) ، وفي مجمع الزوائد (١/ ٩١) رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِبَعْضِهِ، وَقَالَ:«إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخُيَلَاءِ»، وَفِيهِ زَائِدَةُ بْنُ أَبِي الرُّقَادِ وَزِيَادٌ النُّمَيْرِيُّ، وَكِلَاهُمَا مُخْتَلَفٌ فِي الِاحْتِجَاجِ بِهِ.. وفي شعب الإيمان (١/ ٤٧١ ح٧٤٥) والقضاعي في الشهاب (١/ ٢١٥ ح ٣٢٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٤٣) وقال : هذا حديث غريب من حديث قتادة .

٢) الحديث ورد مرفوعا وموقوفا فالمرفوع أخرجه الطبرانى في الأوسط (٦/ ٢٠٠ ح ٦١٨٤) قال الهيثمي (١/ ١٢٩) : فيه عباد بن كثير وهو متروك الحديث، وابن عدى (٤/ ٣٣٥ ، ترجمة ١١٦٥ عباد بن كثير الثقفي) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ١٠٠) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٣٥٠) (٨٠٩) وفي سنده عبد المنعم بن بشير: اتهم بالوضع. وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ضعيف. وضعفوه جدًّا في روايته عن أبيه، كما هنا، انظر التهذيب ٦/ ١٧٧-١٧٩، والمغني ٢/ ٣٨١، والضعفاء للعقيلي ٢/ ٣٣١-٣٣٢، والبخاري في التاريخ الكبير ٣/ ١/ ٢٨٣، والميزان ٢/ ٥٦٥، والمجروحين ٢/ ٥٧، والتقريب ١/ ٤٨٠.، وهو محفوظ عن عمر قوله، كما قال البيهقي في المدخل ص٣٧١: رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن «٤٢» ص٦١، وأحمد في الزهد «١٢٠»، ووكيع في الزهد برقم «٢٧٥» ٢/ ٥٣٨-٥٣٩، وابن عبد البر فيما سيأتي برقم «٥١٦»، والبيهقي في المدخل «٥٣٩، ٦٢٩»، وفي الشعب ٢/ ٢٨٧، والدينوري في المجالسة برقم «١١٩٧» ٤/ ٣٩-٤١، والخطيب في جامعه «٤٢» ١/ ١٣٨.، وقد روي مرفوعًا: رواه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٤٢، وإسناده واه بمرة. فيه: ١- عبد المنعم بن بشير: قال الخليلي: هو وضاع على الأئمة.، ٢- كان نعيم بن بشير يضطرب فيه: فرواه مرة وجعله عن أبي سعيد الخدري، كما عند ابن عبد البر. ورواه مرة وجعله عن عمر مرفوعًا.، ورواه الشجري في أماليه ١/ ٦٩ عن ابن عمر مرفوعًا، وفي سنده سعدويه بن سعد الجرجاني له أحاديث لا يتابع عليها. انظر الميزان ٢/ ٢١٢.، ورواه الشجري ١/ ٦٨ عن علي قوله ضمن خبر. وفي سنده هانئ بن المتوكل: لا يجوز الاحتجاج به. انظر المجروحين ٣/ ٩٧، والجرح ٩/ ١٠٢، والميزان ٤/ ٢٩١.، ورواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل برقم «٨٨» ص٢٠٥ عن عمرو

٢- قال ابْنَ المُبَارَكِ : «رَأْسُ التَّوَاضُعِ أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ دُونَكَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا، حَتَّى تُعْلِمَهُ أَنّه لَيْسَ لَكَ عليه بِدُنْيَاك فَضْلٌ، وَأَنْ تَرْفَعَ نَفْسَكَ عَمَّنْ فَوْقَكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تُعْلِمَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِدُنْيَاهُ عليك فَضْلٌ»[1].

وإجمالاً على الواعظ أن يتجمل بالتواضع، ولا يدعوه علمه إلى الترفع، وليعلم : أن ما علمه قليل فيما جهله، إذ ما عالم إلا فوقه من هو أعلم منه، وكمال العلم لله تعالى وحده (﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦]) . ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥].

(٩) عدم البخل بالتعليم :

ذلك أن المرشد ما نصب نفسه لهداية الخلق إلا ليجود عليهم بعلمه، وينير بصائرهم بما أنار الله به بصيرته، فإن هو بخل عليهم فقد كذب نفسه، ونقض ما بنى وهدم ما شيد، وأنّى له ذلك، ولم يبخل عليه من قبله وإلا لما علم.

على أن البخل بالعلم ينقصه، والبذل منه يزكيه، فإنه لا ريب يتذكر العلم ببذله وينساه بتركه، فموت العلم تركه وحياته مذاكرته، وقد تعاونت النصوص السماوية وغيرها على وجوب بذله وتحريم كتمانه .

- الكتاب :

١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

بن قيس الملائي قال: كان يقال... فذكره.،، ورواه الطبراني في الأوسط برقم «٦١٨٠» ٧/ ١٠٥. وابن عدي في الكامل ٤/ ٣٣٦، والخطيب في الفقيه والمتفقه ٢/ ١١٣، وفي الجامع «٨١٨» ١/ ٥٥٤-٥٥٥، عن عباد بن كثير، عن الأعرج، عن أبي هريرة رفعه: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة...».،، وفي سنده: عباد بن كثير: متروك الحديث. وانظر مجمع الزوائد ١/ ٢٩.

١) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ١١٩)

٢- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

- السنة :

١- عن قتادة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ»[1].

٢- روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الأَجْوَدِ، الأَجْوَدِ ؟ الله الأَجْوَدُ الأَجْوَدُ ، وَأَنَا أَجْوَدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَجْوَدُهُمْ مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمًا ، فَنَشَرَ عِلْمَهُ ، يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَرَجُلٌ جَادَ بِنَفْسِهِ لله عز وجل، حَتَّى يُقْتَلَ.[2] رواه أبو يعلى والبيهقي .

٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا عِنْدَهُ، أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».[3] رواه ابن

---

١) سنن ابن ماجه (١/ ٨٨) قال محمد فؤاد عبد الباقي في الزوائد ما يقضي أنه صحيح. رواه ابن حبان في صحيحه. قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الحديث في تحقيق صحيح ابن حبان (٢٩٥/١) إسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجة «٢٤١» في المقدمة: باب ثواب معلم الناس الخير، والنسائي في «اليوم والليلة» كما في «التحفة» ٢٤٨/٩ عن إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، بهذا الإسناد. وفي الباب عن أبي هريرة عند مسلم «١٦٣١» والبخاري في الأدب المفرد «٣٨» وأبي داود «٢٨٨٠»، وأحمد ٣٧٢/٢، والنسائي ٢٥١/٦، والطحاوي في «المشكل» ٨٥/١، والترمذي «١٣٧٦»، والبيهقي ٢٧٨/٦.

٢)أخرجه أبو يعلى (١٧٦/٥ ح ٢٧٩٠)، قال الهيثمي (١٦٦/١) :فيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك الحديث . والبيهقي في الشعب (٢٨١/٢ ح ١٧٦٧) ،وابن حبان في الضعفاء (٣٠١/٢ ، ترجمة ١٠٠٧) وقال البوصيري في الإتحاف (٢١٠/١) هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ، (أَيُّوبُ بْنُ ذَكْوَانَ قَالَ فيه أَبُو حَاتم: مَجْهُولٌ لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: مُنْكَرُ الْحَدِيث جداًّ، يَجِبُ التنكب عَنْ حَديثه وَحَديث أَخيه. وَقَالَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَرْوِي عَنِ الْحَسَنِ كُلَّ مُعْضَلَةٍ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ: واهٍ) .وقال حسين سليم أسد : إسناده مسلسل بالضعفاء انظر مسند أبي يعلى الموصلي (٥/ ١٧٦) (٢٧٩٠).

٣) قال العلامة شعيب الأرناؤوط :«إسناده حسن في الشواهد. عبد الله بن عياش: قال أبو حاتم: ليس بالمتين، صدوق، يكتب حديثه، وهو قريب من ابن لهيعة، وروى له مسلم حديثاً واحداً في

حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح لا غبار عليه .

-الآثار :

١- قال ابن المعتز : النار لا ينفضها ما أخذ منها، ولكن يخمدها ألا تجد حطباً، كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه، فإياك والبخل بما تعلم[1].

٢- قال بعض العلماء : علم علمك وتعلم علم غيرك، فإذن أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت .

(١٠) الحياء والإمساك عن الفضول :

ذلك أن من الصفات التي تكسب الواعظ هيبة وكمالاً، أن يكون ذا حياء بغض بصره وعدم التفاته إلا لحاجة، وبمشية الوقار التي تنم عن كمال ديني، وتشف عن سمة نبوية، وبعدم المزاح والأكل في الطريق ومخالطة أهل البدع والخلاعة، وأن يكون أبعد الناس عن ظن وحدس، أو ينتحل لنفسه رؤية ما لم ير أو سماع ما لم يسمع، وبضبط لسانه عن فحش القول وبذاءته وكثرته بدون حاجة، أو ما ظاهره الاستهزاء أو الخوض في الأعراض، أو السباب أو اللعن أو أن يتحيز لأحد دون أحد، أو أن يظهر للناس بما يقدح في كمال مروءته، أو يجعله هدفاً للذم والنيل من العلم وأهله، فما أحوج

الشواهد لا في الأصول، وباقي رجاله على شرط مسلم، أبو الطاهر: هو أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمر بن السرح المصري، وأبو عبد الرحمن الحُبُلي: هو عبد الله بن يزيد المعافري، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والخطيب في «تاريخ بغداد ٣٨/٥، ٣٩ من طريقين عن ابن وهب، بهذا الإسناد. ونسبه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٦٣/١، إلى الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: ورجاله موثوقون... صحيح ابن حبان (٢٩٨/١) وقال الحاكم في المستدرك (١٨١/١) هَذَا حَدِيثٌ تَدَاوَلَهُ النَّاسُ بِأَسَانِيدَ كَثِيرَةٍ تُجْمَعُ وَيُذَاكَرُ بِهَا وقال في موضع آخر (١٨٢/١) لَمَّا جَمَعْتُ الْبَابَ وَجَدْتُ جَمَاعَةً ذَكَرُوا فِيهِ سَمَاعَ عَطَاءٍ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَوَجَدْنَا الْحَدِيثَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لَا غُبَارَ عليه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.. وقال «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ، وَفِي الْبَابِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ غَيْرِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهم»

١) روضه الأعلام بمنزله العربية من علوم الإسلام لابن الأزرق (٢/ ٨٣٤).

الواعظ إلى اكتساب ثقة القلوب وعدم نفرة النفوس. والنصوص الشرعية أكبر شاهد لذلك :

- الكتاب:

(١) ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ ﴾ [النور:٣٠].

(٢) ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

(٣) ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

- السنة :

(١) عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»[1] رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة .

(٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»[2] .

---

١) أخرجه الجماعة : أخرجه البخاري ١ / ٦٩ في الإيمان، باب الحياء من الإيمان، وفي الأدب، باب الحياء، ومسلم رقم (٣٦) في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، والموطأ ٢ / ٩٠٥ في حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء، والترمذي رقم (٢٦١٨) في الإيمان، باب ما جاء أن الحياء من الإيمان، وأبو داود رقم (٤٧٩٥) في الأدب، باب في الحياء، والنسائي ٨ / ١٢١ في الإيمان، باب الحياء، وأخرجه أيضاً ابن ماجة رقم (٥٨) في المقدمة، باب في الإيمان.

٢) أخرجه أحمد (٢/٥٠١،ح ١٠٥١٩)، قال الهيثمي (١/٩١):رجاله رجال الصحيح. والترمذي (٤/٣٦٥،ح ٢٠٠٩) وقال: حسن صحيح. والحاكم(١/١١٩،ح ١٧٢)، والبيهقي في الشعب (٦/١٣٣،ح ٧٧٠٧) وابن أبى شيبة (٥/٢١٣،ح ٢٥٣٤٥)،وهناد في الزهد (٢/٦٢٦ح ١٣٥١)، وابن حبان(٢/٣٧٢،ح ٦٠٨)،الديلمى (٢/١٥٠ح ٢٧٦٢) .

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٣)عن عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: إنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ والِدَيْهِ قِيلَ يا رَسُولَ اللّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ والِدَيْه.؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَباهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ[١] رواه البخاري وغيره.

(٤)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا عَيْناً غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللّه تَعَالى، وَعَيْناً سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللّه تَعَالى وَعَيْناً خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللّه تَعَالى[٢]. رواه الأصبهاني .

(١١) كبر الهمة وعلو النفس :

هو أن تكون النفس سباقة إلى الخير، طمّاحة إلى المعالي لا ترضى بدون النهاية القصوى منها، فهي صفة تكسب صاحبها الترفع عن الدنايا، والغضب عند الإحساس بالنقص، والغيرة عند انتهاك الحرمات، وأخلق برجل هذه صفته، أن يسير بغيره في طريق الاستقامة لا يعقب، فمتى انبعث في نفسه ذلك، لا يلبث أن تنطبع منه صورة في نفس موعوظه الذي هو صورة منه وظل له، وليعلم أن ليس ذلك مما تناله همة الكَسِل الضجر، أو تبلغه قدرة الوداع المتواكل .

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لَنْ تبلغ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ.

١) رواه البخاري(٣٣٨/١٠) في الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ومسلم ح(٩٠) في الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، والترمذي رقم (١٩٠٣)في البر، باب ما جاء في عقوق الوالدين، وأبو داود ح (٥١٤١) في الأدب، في بر الوالدين. أخرجه أحمد(١٦٤/٢) (٦٥٢٩)وفي (١٩٥/٢)(٦٨٤٠) وفي(٢١٤/٢)(٧٠٠٤) وفي (٢١٦/٢)(٧٠٢٩)وعبد بن حميد (٣٢٥)

٢) أخرجه الديلمى (٢٥٦/٣، رقم ٤٧٥٩) . الأربعين في الحث على الجهاد لابن عساكر (٣٦) وانظر الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء (٦/ ٤٦٤)

إنما طريق ذلك عمل متواصل، وهمة متوقدة وإرادة لا تلين قناتها وعزيمة لا يفتأ حميها .

فما أحق الواعظ بهذا ليتجلى في حلة من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويظهر في ثوب من تقدمه بتلك المهنة الشريفة، وقد أمر الله تعالى من عهد فيهم السبق إلى المعالي بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[آل عمران: ١٠٢].

فما القصد من الأمر بالتقوى حقها التي ليست في مقدور كل أحد، إلا بعث أولي الهمم العالية والعزم القوي إلى أن يكون مطمح نظرهم ومدى آمالهم الكمال المطلق والدرجات القصوى، كذا قوله تعالى (﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [طه: ١٣١]) إذ هو تعليم للخلق وحث لهم على أن تكون هممهم أكبر مما تناله الأيدي، وتدركه القوى البشرية وتصبو إليه نفوس المخلوقين، مما لا يساوي في نظر العقلاء شيئاً .

كذلك قوله جل شأنه على لسان سليمان بن داود عليهما السلام (﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ [ص: ٣٥]) .

وما قول السيدة رابعة العدوية – رحمها الله– : –

كلُّهم يعبدوك من خـوف نـــار ... ويرون النجاة حظـــاً جزيـلا

أو بأن يسكنوا الجِنانَ فيحظُوا ... بقصـــور ويشربوا سلسبيـلا

ليس لي بالجِنـانِ و النــــــار ... حظ أنا لا أبتغي بحبي بديـلا[1]

إلا رمزٌ إلى كبر الهمة وعلو النفس في طلب النهاية في المعالي ، إذ يشير إلى أن عبادة الخلص الزاهدين يجب أن تكون لله تعالى، وليست لخوف النار ولا طمعاً في الجنة، وتلك درجة لا تدانى ولا تزاحم، وأنعم بنفس من طلبه ذات الخالق الجليل عز وجل. ويقرب من هذا قول بعض المتصوفة (من

---

١) شرح الحكم العطائية (ص:٢٣).

يعبد الله بعوض فهو لئيم) [1] تلك هي الهمم العالية والعزائم السامية، فعلى الواعظ أن يكون كذلك، أو متشبهاً بهؤلاء السادة على الأقل.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فـــلاح .

---

1) يظن بعض الناس أن من عمل ليدخل الجنة، أن هذا يقدح في إخلاصه، وهو معروف عند علماء السلوك من الصوفية، قالت رابعة العدوية: (مثل العابد للجنة أو النار كمثل أجير السوء). ويلتبس على بعض طلاب الإخلاص... كيف يكون طلب الجنة والاستعاذة من النار من عبادة هو عمل (أجراء السوء)، وها هم الأنبياء يدعون ربهم عز وجل أن يدخلهم في جنته، وسيدهم ﷺ كان أكثر الناس طلباً للجنة واستعاذة من النار؟! في سنن أبي داود أن رجلاً أعرابياً جاء إلى النبي ﷺقال له: (أما إني في صلاتي أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ)، فقال ﷺ: (حولها ندندن) ورابعة رحمها الله تقول: (أنا لا أبتغي بحبي بديلاً)، وهي لن ترى الله عز وجل إلا إذا دخلت الجنة، وأعلى ما في نعيم الجنة أن يُرى الله عز وجل؛ كما في حديث مسلم عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى منادٍ: يا أهل الجنة! هل رضيتم؟ قالوا: يا ربنا! وكيف لا نرضى وقد جنبتنا السعير، وثقلت موازيننا؟! قال: فيكشف لهم الحجاب، فيرون الله عز وجل، فما أعطوا شيئاً خيراً لهم من رؤية الله عز وجل).ولما تلا الإمام الشافعي رحمه الله قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥] قال: (لو لم يكن من عقوبة إلا الحجاب لكان كافياً، فلما حجب أقواماً بالمعصية عرفنا أن أقواماً يرونه بالطاعة) فاستدل بالآية على رؤية الله تبارك وتعالى؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ خلافاً للذين ينكرون هذه النعمة العظيمة.. فطلب هذا النعيم الأخروي ليس معارضاً للإخلاص، وإنما هي طبيعة الإنسان الذي لا يعمل إلا إذا أجر، لو قلت له: اعمل ولا أجر لك؛ فترت همته؛ لذلك نصب الله الجنة والنار في باب الترغيب والترهيب .جاء في تفسير الطبري(١٦/ ٣٨٩) قَوْلُهُ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكَانُوا يَعْبُدُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا. وَعَنَى بِالدُّعَاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْعِبَادَةَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾[مريم:٤٨] وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ:﴿ رَغَبًا ﴾ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِيمَا يَرْجُونَ مِنْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ. ﴿وَرَهَبًا﴾ يَعْنِي: رَهْبَةً مِنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، بِتَرْكِهِمْ عِبَادَتَهُ ، وَرُكُوبِهِمْ مَعْصِيَتَهُ. انتهى وفي تفسير أبي السعود (٦/ ٨٣) ذوي رغَبٍ ورهَبٍ أو راغبين في الثواب راجين للإجابة أوفي الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية أو للرغب والرهب» انتهى وفي تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٦) عَنِ ابْنِ جريج فِي قَوْلِهِ: وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا قَالَ: رغبًا: طمعًا وخوفًا، وليس ينبغي لأحدهما أنَّ يفارق الآخر انتهى وجاء في تفسير ظلال القرآن (٤/ ٢٣٩٥) رغبة في الرضوان ورهبة للغضب. فقلوبهم وثيقة الصلة دائمة التطلع. وقال عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن (٩/ ٩٤٨) فهم جميعا كانوا على حال متقاربة من الإيمان بالله، والطمع في رحمته، والخوف من عذابه والخشوع لعظمته وجلاله انتهى ..

(١٢) التقوى والأمانة والتحرز بطاعة الله تعالى :

مع الصدق في نشر العلم والبعد عن الكذب، ذلك : أن مهمة الواعظ إخراج الناس من ظلمات الهوى والشهوات وسخط الله تعالى ، إلى نور الهدى ورضا رب العالمين بالحث على التقوى والأمانة، والتحصن بالطاعة والتحلي بكمال الصفات المؤهلة إلى الحظوة بالسعادة الخالدة، وهيهات أن يجتذب الناس لذلك أو تؤثر موعظته فيهم ما لم يكن قد تحلى بذلك، وتمكن من نفسه تمكناً يجعل سنا برقه يضيء في نفس موعوظه. وأما فاسق غاش غير مطيع، لاشك مفسد لا مصلح تتلاشى على يديه وظيفته، ويتضاءل أمامه ذلك النور الساطع وإثمه أكبر من نفعه.

كذلك يجب على الواعظ الصدق في نشر العلم، والبعد عن الكذب سواء أكان فيما بينه وبين الله تعالى أم بينه وبين الناس، فيثبت عند الناس خلوص نيته واستقامته في عمله، كيما يكون الأخذ عنه أقرب والثقة به أولى، وأن يظهر على ملامحه ما تنطوي عليه نفسه من الصدق والفلاح، إذ ذاك يزيد في ميل القلوب إليه والتفافها حوله، وقد وصف الله تعالى الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر بالفلاح والصدق في قوله تعالى :

(١) ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]) .

(٢) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

(٣) ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

(٤) ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وإن أولى الناس بذلك الواعظ.

وقد نهى الله تعالى عن الخيانة والكذب بقوله :

(١) ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢]

(٢) ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس:٦٩]

والأحاديث في ذلك كثيرة مثل:

(١)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[1] رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وهذا الحديث قد روي عن غير واحد من الصحابة في السنن والصحاح والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر .

(٢)عن مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا الله عز وجل سَائِلُهُ عَنْهَا أظنه قال مَا أَرَادَ بِهَا» قَالَ جَعْفَرٌ: «كَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثَ بَكَى حَتَّى يَنْقَطِعَ، ثُمَّ يَقُولُ: تحْسَبُونَ أَنَّ عَيْنِي تَقَرُّ بِكَلَامِي عليكُمْ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الله عز وجل سَائِلِي عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا أَرَدْتُ بِهِ»[2] رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلا بإسناد جيد .

---

١) البخاري ١/١٨٠ في العلم: باب إثم من كذب على النبي ﷺ، وفي الأنبياء: باب كنية النبي ﷺ. وفي الأدب: باب قول النبي ﷺ: « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي».وفيه أيضاً: باب من سمى باسم الأنبياء، وأخرجه مسلم رقم (٢١٣٤) في الأدب: باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وأبو داود رقم (٤٩٦٥) فيه أيضاً: باب الرجل يتكنى بأبي القاسم. وفي نظم المتناثر من الحديث المتواتر(ص: ١٩) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فإن رواته أزيد من مائة صحابي وفيهم العشرة المبشرة وفي (ص: ١٣) قال :«وتحصل من مجموع ذلك كله رواية مائة من الصحابة على ما فصلناه من صحيح وحسن وضعيف وساقط مع أن فيها ما هو في مطلق ذم الكذب عليه من غير تقييد بهذا الوعيد الخاص»، وذكر العراقي في ألفيته «أن رواته من الصحابة نيفوا أي زادوا على مائة قال في فتح المغيث باثنين قال وذلك بالنظر لمجموع ما عندهم» انتهى .

٢) شعب الإيمان (٣/٢٨٠) ح(١٦٤٩) الزهد لأحمد بن حنبل ت يحيى محمد سوس (١/٥٤٠) (١٩٢٢) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٤٩) (٥١٠).

(١٣) اللين في غير ضعف مع استشعار المحبة لمن يريد إرشاده والحرص على مصلحته، وطيب الكلام ولينه وطلاقة الوجه والرفق (والأناة).

فما أحوج الواعظ إلى هذه الصفات، إذ هي الوسيلة الفذة إلى اقتناص القلوب وإمالتها نحو اتباع الهدى واجتناب الغواية، أما لو أنه على الضد من ذلك، فما أشد نفرة القلوب منه وانفضاض الأفئدة من حوله، كذا إذا استشعر محبة موعوظه، وأحرص على مصلحته، وأنه إنما يريد له الخير الذي يريده لنفسه، نفذت موعظته إلى القلوب وتقبلتها عن طيب خاطر لا محالة لذا قال الله تعالى :

١- ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٢- ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨].

٣- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٤- ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

- السنة :

١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّه تَعَالَى عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[١].

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا» فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه: لِمَنْ هي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[٢].

---

١) مسند أحمد (٤١/ ٤١٥) (٢٤٩٣٨) وأبو داود الطيالسي (ص ٢١١ ح١٥١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٩) و (٤٧٥)، ومسلم (٢٥٩٤) (٧٨) ، والبيهقي في «الشعب» (٨٤١٢) و (١١٠٦٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٩٣) .

٢) المستدرك (١/ ١٥٣) وفي مجمع الزوائد (٢/ ٢٥٤) رواه أحمد والطبراني في الكبير وإسناده

- الآثار :

١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قوله تعالى (﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ [طه: ٤٤]) لَا تُعَنِّفَا فِي قَوْلِكُمَا[١].

٢- نقل عن الخازن في تفسير قوله تعالى (﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥])

المراد بالموعظة الحسنة: الرفق واللين[٢].

(١٤) ألا يكون همه ثناء الناس عليه :

بل يعظ الناس ويرشدهم خالي الذهن من ثنائهم وشكرانهم، لا طلباً في محمدة ولا فراراً من ذمة، ملاحظاً أنه إنما يقوم بواجب ويؤدي أمانة حمله الله إياها، فهو يتعلم ويعلم ابتغاء وجهه وطلباً لمرضاته، لما أن الواعظ أمين الله على تلك المهمة، بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أدوا غير ناظري جزاءاً ولا شكوراً، أما من كان همه ثناء الناس عليه فهو مراء خداع، ولعمري أن هذا لا يفيد وعظه، ولا يجدي إرشاده.

وقد أمر الله في كتابه بتأدية الأمانة – التي هذه الأمانة من أعظمها وأجدرها

حسن واللفظ له ، وفي رواية أحمد فقال أبو موسى الأشعري. ....وروي عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وفي مسند أحمد ط الرسالة (٢/ ٤٤٩) حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف كسابقه.وأخرجه البزار (٧٠٢)، وأبو يعلى (٤٣٨)، وابن خزيمة- وقال: إن صح الخبر(٢١٣٦)من طرق عن محمد بن فضيل، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة ٦٢٥/٨ و١٠١/١٣ ،وهناد في «الزهد» (١٢٣)، والترمذي (١٩٨٤)و(٢٥٢٧)، وأبو يعلى(٤٢٨) ،وابن عدي في «الكامل» ١٦١٣/٤-١٦١٤ من طريقين عن عبد الرحمن بن إسحاق، به، وقال الترمذي: غريب. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وفي «المسند»(٦٦١٥) ، وعن أبي مالك الأشعري و أيضاً (٣٤٣/٥)، وفي إسناديهما ضعف، لكن الحديث يحسن بمجموع هذه الشواهد.

١) تفسير البغوي (٥/ ٢٧٤) تفسير الثعلبي (٦/ ٢٤٥)

٢) وجادلهم بالتي هي أحسن يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة في الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف. تفسير الخازن- دار الفكر (١٢٤/٤)

بوجوب التأدية- وأثنى جل شأنه على من بذل ما منحه الله لمستحقيه دون مراعاة مدح ومراءاة، سوى ما يرجو من ثواب الله تعالى ورضاه فقال تعالى: (﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣])، (﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩]) وهو لا ريب قد منحه الله تعالى العلم الذي هو غذاء الأرواح وحياتها، فإن هو قام بأعباء تلك المهمة راجياً شكران الله تعالى وثناءه فحسب، فالله لا يبخل عليه بالمزيد ورفع الذكر في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم:٧]) .

- الأحاديث :

١- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إِلَّا سَمَّعَ اللّه بِهِ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[1] رَوَاهُ الطَّبَرَانيُّ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. .

٢- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ يُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ويُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إليهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ»[2].

- الآداب الكمالية :

(١) **الورع** : وهو التحرج عن الشيء، والورع التقي .

ويكون الورع باتقاء الشبهات والبعد عن الريب والتهم، فينبغي للواعظ أن يترك ما يجر عليه اللوم أو يعرضه للوقوع فيه، وأن يترك من الحلال ما لا بأس به حذراً مما به بأس، فإن ذلك أدعى لسلامة عرضه وأعون على

---

١) أخرجه الطبراني (١١٩/٢٠، رقم ٢٣٧) قال الهيثمي (٢٢٣/١٠) : إسناده حسن.

٢)سنن ابن ماجه (١/ ٩٣)(٢٥٣) وفي حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١١١/١) وَفِي الزَّوَائِد إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِضَعْف حَمَّاد وَأَبِي كَرب لَكِنْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيث كَعْبٍ وَتَكَلَّمَ فِي إِسْنَاده وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَقَالَ حَسَنٌ قُلْتُ وَإِسْنَادُ التِّرْمِذِيِّ غَيْرُ إِسْنَاد الْمُصَنِّف.

الإقبال عليه، إذ تأثيره بحاله أشد من تأثيره بقاله، أما الحريص على ما يعرضه للوم أو التهم، أو مشين في دينه، أو مطعون على عرضه، أو واقف موقف تهمة، فممقوت مذموم منفر لا مرغب، مبعد لا مقرب .

- السنة في ذلك :

١- عن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيﷺ: « وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا » [١]. رواه البخاري ومسلم.

٢- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ، وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ» [٢]. رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة .

- الآثار :

١- عن سيدنا عمر بن عبد العزيزرضي الله عنه : أنه لم يغتسل من ماء سخن على مطبخ الْعَامَّة [٣].

٢- عن الفضيل بن عياض رضي اللّه عنه: أنه كانت له شاة فأكلت شيئاً

---

١) رواه البخاري (٥٥٠٢)، ومسلم (١٧٠١) وعبد الرزاق (٤٤١/٠١ح٢٤٦٨١). سنن البيهقي الكبرى:(٥٩١/٦ ح٧٧٨١١) مصنف ابن أبي شيبة: ج٢/ص٩٢٤ ح(٥٠٧٠١) أخرجه أحمد ٩١١/٣(٤١٢٢١). وفي ٢٣١/٣(٨٦٣٢١).

٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٢٠/١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي لَيْلَى، ضَعَّفُوهُ لِسُوءِ حِفْظِه. والديلمي (٣٥٤/١، رقم ١٤٢٢) .

٣) جاء في الطبقات الكبرى (٥/ ٣٠٠) « أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمَرَ أَنْ لا يُسَخَّنَ مَاؤُهُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ وَيَغْتَسِلُ بِهِ فِي مَطْبَخِ الْعَامَّةِ».انتهى. وفي سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ت٢١٤هـ (ص: ٤٥) ورعه عَن تسخين المَاء على مطبخ الْعَامَّة وتعويضه مِنْهُ :«قَالَ وَكَانَ لَهُ غُلَام يَأْتِيه بقمقم من مَاء مسخن يتوضأ مِنه فَقَالَ للغلام يَوْمًا أتذهب بِهَذَا القمقم إِلَى مطبخ الْمُسلمين فتجعله عِنْده حَتَّى يسخن ثمَّ تَأتي بِهِ قَالَ نعم أصلحك الله قَالَ أفسدته علينا قَالَ فَأمر مزاحما أن يغلي ذَلِك القمقم ثمَّ ينظر مَا يدْخل فِيهِ من الْحَطب ثمَّ يحْسب تِلْكَ الْأَيَّام الَّتِي كَانَ يغليه فِيهَا فَيَجْعَلهُ حطبا فِي المطبخ قَالَ وأصابته جَنَابَة فِي لَيْلَة بَارِدَة فأسخن لَهُ مَاء فَأتي بِهِ فَقَالَ أَيْن سخنته قَالَ على مطبخ الْعَامَّة قَالَ فنحه قَالَ فناداه رجل وَخَافَ عليه إن اغْتسل بِالْمَاءِ الْبَارِد فِي تِلْكَ اللَّيْلَة أنْشدك الله يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ فِي نَفسك فَإِن كَانَ لَا بُد فعوضهُ قيمَة ثمَّ أدخلهُ بَيت مَال الْمُسلمين فَفعل ذَلِك عمر رضي الله عنه. انتهى.

يسيراً من علف بعض الأمراء فلم يشرب من لبنها بعد ذلك .

٣- قال سيدنا الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: إياك وما يسبق إلى العقول إنكاره وإن كان عندك اعتذاره .

(٢) استشعار محبة من يريد إرشاده والحرص على مصلحته .

وأنه إنما يريد له الخير الذي يريده لنفسه، لتزداد الرابطة بينه وبين موعوظه، وتتوطد بينهما أواصر المحبة ليسهل الأخذ عنه والانتفاع بقوله، إذ المحبة بين المعلم والمتعلم هي العامل الفذ الذي لابد منه لحصول الفائدة، ولولاها لثقل التعليم والتعلم، وسئم كل واحد من الآخر، وضعفت الثقة وتضاءلت المنفعة، إذ ليس من المعقول أن ينتفع الإنسان بما لا يقبل عنده .

وإن أولى الناس بتوطيد هذه الرابطة الواعظ والمرشد لدقة مسلكه (طريق الوصول إلى الله تعالى) وغلاء سلعته (سعادة الدنيا والآخرة) ليغرس في قلب موعوظه ما يريد، فالقلوب كالمرايا ينطبع في إحداها ما في الأخرى لذا قال تعالى : في بيان حرص النبي ﷺ على سعادة أمته :

١- ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨].

٢- ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

- الآثار :

١- روي أن جليس بعض الملوك طلب منه أن يحب ابنه فقال الملك : «وهل يقع الحب تحت الاختيار فقال نعم تحسن إليه فيحبك فتحبه».

(٣) محبة الإصلاح والتفاني في خدمة الدين :

ببذل النصائح وتكرير المواعظ لرفع منار الدين ومحاربة الشهوات،

كلما وجد لذلك سبيلاً، لا تنقطع نصائحه ولا تغيب عن العامة شموس أنواره، لا يبالي بقيل وقال، ولا يعبأ بما يعترض من عقبات، حتى يصل بمن يعظ إلى أوج الفلاح وذروة السعادة الخالدة .

فإن واعظاً لا يحب الإصلاح ولا تتفانى شخصيته في شخصية الدين، ورضا الله تعالى ربما يكون معول هدم في بناء الدين، متناقضاً في أقواله وأفعاله ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، جاهل بمنصبه غافل عن الخلافة النبوية وعما ابتاع الله به نفوس المؤمنين في سبيل خدمته وإعلاء كلمته (﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]). وإن في تصفح سير المرسلين عليهم الصلاة والسلام، واقتفاء أثرهم - والصحابة والتابعين من بعدهم- ما يفصح عن تفانيهم وابتلائهم واستماتتهم ليحيا الدين والفضيلة .

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

(٤) الإخلاص في العمل لله تعالى :

فلا يطلب على الإرشاد أجراً ولا يمني نفسه بذلك، فلعمر الحق ما أتي الوعاظ بأشد من هذه الناحية، وما انفتحت الثغرة الواسعة والهوة العميقة، وترامى بعد ما بين العلماء والعامة، وانصرف الناس عن الوعظ والوعاظ وترفع العلماء الأحقاء عن النضال في هذا الميدان، إلا حين اتخذ بعض الجهال الذين انتحلوا لأنفسهم اسم العلماء وتزيوا بزيهم، واتخذوا مهنة الوعظ سبيل ارتزاق وطريقاً لجمع الحطام الفاني، وليسوا من العلم والعلماء في شيء وإنهم (﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]) .

فتطاول الناس على العلماء وانطلقت الألسن فيهم، فعلى الواعظ أن يجعل

دائماً نصب عينيه قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧] .

﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [هود: ٢٩].

﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود: ٥١].

ذلك أن ما في الدنيا من مال وغيره خادم البدن، والبدن مطية الروح التي لا شرف لها إلا بالعلم، فالمال خادم والعلم مخدوم، ومن طلب المال بالعلم فقد جعل الخادم مخدوماً والمخدوم خادماً، وليس ذلك من العقل في شيء .

- السنة :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا [(١)]. رواه أبو داوود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم .

---

١) حديث صحيح، أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٨٥/١ من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ المصري، عن ابن وهب، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد ٣٣٨/٢، وأبو داود «٣٦٦٤» في العلم: باب في طلب العلم لغير الله، وابن ماجة «٢٥٢» في المقدمة، وصحيح ابن حبان (٢٧٩/١)وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ص٢٣٠، والبغدادي في «اقتضاء العلم العمل» برقم «١٠٢» من طريق يونس وسريج بن النعمان، والبغدادي في «تاريخ بغداد» ٣٤٦/٥-٣٤٧ و٧٨/٨ من طريق بشر بن الوليد، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ص٢٣٠، والحاكم ٨٥/١ من طريق سعيد بن منصور، كلهم عن أبي يحيى فليح بن سليمان الخزاعي، بهذا الإسناد، وفليح-وإن خرجا له- فيه كلام. ولكن يشهد له حديث جابر، وشواهده المذكورة في التخريج.

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عليهنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ يُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[1]. روه البزار بإسناد حسن ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث زيد بن ثابت[2].

(٥) سداد الرأي:

هو أصالة العقل والعلم التام بالموضوع وتمييز وجوه الأمور ومعضلات الأشياء، ليكون أقدر على مواطن التأثير وأجدر بمقاليد الإقناع، وليسير بالسامعين في طريق السداد ويتنكب بهم عن مزالق الأهواء ومهاوي الشقاء، إذ أن رجلاً تصدى للوعظ يحسن به أن يكون حاذقاً ماهراً ذا خبرة تامة بمواطن الصواب والخطأ، ولو أنه على الضد من ذلك سقطت حجته أمام خصمه، وجبن عن المجاهرة بالموضوع خشية الزلل فيه، وانصراف الناس استخفافاً به واستهانة برأيه.

---

١) قال في مجمع الزوائد (١/ ١٣٧)رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَيْخُ سُلَيْمَانَ بْنِ سَيْفٍ، سَعِيدَ بْنَ بَزِيعٍ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَحَدًا ذَكَرَهُ. وَإِنْ كَانَ سَعِيدَ بْنَ الرَّبِيعِ فَهُوَ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُمَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٢) حديث زيد بن ثابت رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٧٠) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد ١٨٣/٥، وأبو داود «٣٦٦٠» في العلم: باب فضل نشر العلم، والترمذي «٢٦٥٦» في العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، والدارمي ١٧٥/١، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ٣٩/١، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» «٣» و«٤»، وابن أبي عاصم في «السنة» «٩٤»، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٣٢/٢، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» «٢٤»، والطبراني «٤٨٩٠» و«٤٨٩١» من طرق عن شعبة، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن ماجة «٢٣٠»، والطبراني «٤٩٩٤» و «٤٩٢٥» من طريقين عن زيد بن ثابت ومن حديث جبير بن مطعم أخرجه الحاكم ٨٦/١، ٨٧، وصححه، ووافقه الذهبي..».. ومن الغريب:«قوله ويَغلّ: بتشديد اللام: قال ابن الأثير: من الغِلّ، وهو الحقد والشَّحْناء: أيلا يَدْخُله حقْد يُزِيلُه عن الحقِّ. وروى «يَغِلُ» بالتَّخفيف، من الوُغول: الدُّخول في الشَّرّ. ويروى بضم الياء من الإغلال، وهو الخيانة، والمعنى: أن هذه الخلال الثلاث تُسْتَصْلَح بها القلوبُ، فمن تَمسَّك بها طَهُر قَلْبُه من الخِيانة والدَّخل والشَّر. انظر «النهاية».

وما قوله تعالى: (﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]) إلا للحض على الإدلاء بـالآراء ليتبين الصواب وتتكشف غوامض الأمـور وتستنير الطريق، فيمكن استخلاص السداد وتوخي الصواب للأمن من العثور، وهذا يعينه سداد الرأي، فما على الواعظ إذا تصدى للوعظ، إلا أن يقلب وجوه الفكر ويحكم العدة وينير الحجة، ويدبر كيف يرشد قبل أن يرشد .

قال الإمام على كرم الله وجهه : الِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ، وَالتَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤَمِّنُكَ مِنْ النَّدَمِ[1] .

(٦) توطيد العلاقات بينه وبين الناس والتودد إليهم .

وذلك يكون بالتحلي بالصفات الكاملة، والتخلي عما يلصق به نقصاً في دينه أو دنياه جهد المستطاع، وأن تكون نزعته فيهم نزعة دينية بحتة، وقوراً وفياً أميناً مخلصاً خلواً من الأغراض غير متحيز إلا للحق، واسع الصدر يتحمل السفيه ويغضي عفواً، إلا عما فيه مصلحتهم متعففاً إلا عما يرضيهم، بشيراً لمطيعهم، نذيراً لعاصيهم، ميسراً لا معسراً مبشراً لا منفراً ، يداوي المباعد ، ويواسي المقارب، يلين إذا اشتدوا ويشتد إذا لا نوا ، راحماً لصغيرهم موقراً لكبيرهم، لا يكلفهم سوى مقدورهم متنكباً بهم موارد الحرج والمشقة ومواطن الزلل، مصلحاً ذات بينهم، وفياً إذا وعد صادقاً إذا قال، أميناً إذا أؤتمن .

وإجمالا، يفعل ما يقربهم منه ويرضيهم عنه، في دائرة الشرع والدين، حتى لا يترك من قلوبهم شارداً إلا اقتنصه، ولا بعيداً إلا قربه، ولا قريباً إلا تشبع بالمزيد، متوسطاً في أقواله وأفعاله وأقرب ما يميل القلوب نحوه: إفشاء السلام على من يعرف ومن لا يعرف، والظهور بمظهر التقوى والزهادة والخشوع. فقد ورد عنه ﷺ:

---

١) الآداب الشرعية (١/ ٣٢٥).

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[١]. رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-: «الرِّفْقُ يُمْنٌ، وَالْخُرْقُ شين» [٢]. رواه الطبراني في الأوسط .

٣- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا[٣]. رواه البخاري ومسلم والترمذي .

٤- روى الطبراني والبيهقي: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الِاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ».[٤]

---

١) صحيح مسلم (١/ ٧٤) (٥٤) في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأبو داود رقم (٥١٩٣) في الأدب، باب في إفشاء السلام، والترمذي رقم (٢٦٨٩) في الاستئذان، باب ما جاء في إفشاء السلام. وأخرجه أحمد (٣٩١/٢ ح ٩٠٧٣) ، وابن ماجه (٢٦/١ ح ٦٨) ، وابن حبان (٤٧١/١ ح ٢٣٦) .

٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٩) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ الْمُعَلَّى بْنُ عُرْفَانَ وَهُوَ مَتْرُوكٌ. وابن أبى الدنيا في ذم الغضب عن ابن شهاب مرسلاً) بلفظ (وَالْخُرْقُ شُؤْمٌ) ومن غريب الحديث: (الخُرق) : أى الجهل والحمق . وفي تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٥٣) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف.

٣) البخاري(٣٧٨/١٠) في الأدب، باب لم يكن النبي ﷺفاحشاً ولا متفحشاً، وباب حسن الخلق والسخاء، وفي الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود، ومسلم ح (٢٣٢١)في الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، والترمذي ح(١٩٧٦)في البر، باب ما جاء في الفحش والتفحش، وفي المسند(١٦١/٢ و ١٨٩ و ١٩٣و ٢١٨).

٤) المعجم الأوسط (٧/ ٢٥) (٦٧٤٤) لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، وَحَفْصُ بْنُ عُمَرَ هُوَ: حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْعَطَّافِ الْمَدَنِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، هُوَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٠) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مُخَيِّسُ بْنُ تَمِيمٍ عَنْ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ الذَّهَبِيُّ: مَجْهُولَانِ.وكذا وابن أبى حاتم في العلل (٢/ ٢٨٤ح ٢٣٥٤) ، وقال: قال أبى: هذا حديث باطل، ومخيس وحفص مجهولان. وقال في

النوع الثالث: ما يرجع إلى آدابه حال التأدية

ما يرجع إلى آدابه حال التأدية نوعان : ضرورية – كمالية

- الآداب الضرورية حال التأدية:

(١) قوة البيان :

وهي فصاحة اللسان والقدرة على التعبير وتصوير المعاني بما يناسبها من الألفاظ، إذ مهمة الواعظ بيان المعاني لإقناع السامعين وحملهم على ما يريد، فيلزم أن يكون قديراً فصيحاً مفوهاً، ليكبر في القلوب ويعظم في النفوس، وليشد ذلك من عزمه ويقوي من إرادته، فيكون الإذعان له والأخذ منه.

أما عييّ ضعيف اللسان متضائل البيان، فأجدر بانفضاض القلوب من حوله وانصرافها عنه، وخور عزيمته وانحطاط همته، وتلاشي مهمة الوعظ على يديه، وكثيراً ما يعرض له ما يستدعي المناظرة والمجادلة، والجمع بين ما ظاهره الاختلاف أو التناقض أو الاستدلال على دعوى أو غير ذلك، فإذا قوي بيانه كان أقدر على الإدلاء بالحجة، وإبانة الحق وإدحاض الباطل.

لذا جاء الكتاب والسنة بالترغيب فيه وطلبه والمدح به .

- الكتاب :

١- ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٥ – ٢٨].

الميزان (٨٣٩٩) في ترجمة مخيس: روى عنه هشام بن عمار خبرا منكرا. وذكر الخبر. علل الحديث لابن أبي حاتم (٦/ ٩٩) وقال ابن عساكر في «معجم الشيوخ»:(معجم ابن عساكر (٧٥١/٢) (٩٣٦) «غريب الإسناد والمتن» .وقال الذهبي في«الميزان»(٨٥/٤) :«منكر»، وضعفه المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢٠/٢٩). وانظر المقاصد الحسنة (ص:١٣٢) ح(١٤٠) وكشف الخفاء ت هنداوي (١/ ١٧٨) ح(٤٧٦).

٢- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣].

٣- ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ [القصص: ٣٤].

٤- ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢].

٥- ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

- السنة :

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَم فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَماً»[١]. أخرجه أبو داود .

(٢) الاقتصار بالناس على قدر عقولهم ومراعاته استعدادهم :

حتى إذا تصدى لوعظ العامة اختار ما يناسبهم، أو للخاصة اختار أيضاً ما يناسبهم، أو للعامة والخاصة معاً توسط في اختيار الألفاظ، فلا يتأنق حتى يسأم العامة، ولا ينحط إلى مرذول القول حتى يسقط في أعين الخاصة، مع صوغ المعاني في قالب مناسب وإلباسها ثوباً رقيقاً ، لا يحجب دقيقها ولا يواري عويصها، بإيراد الشواهد وضرب الأمثال الحسية والاكتفاء بذكر الجلي الواضح، وعدم الخروج عن ظاهر الكتاب والسنة، إذ لو ألقى إليهم ما لا

١) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٤٨٦) (٢٧٦٢) وفي مواضع أخرى، أخرجه الطيالسي (٢٦٧٠) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧٢) وأبو داود رقم (٥٠١١) في الأدب، باب ما جاء في الشعر، وهو حديث صحيح. ، رواه الترمذي رقم (٢٨٤٨) في الأدب، باب ما جاء إن من الشعر حكمة ، وأبو يعلى (٢٣٣٢) و (٢٥٨١) ، وابن ماجة (٣٧٥٦) وابن حبان (٥٧٨٠) ، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٦) ، والطبراني (١١٧٥٨).

تدركه عقولهم كان فتنة لهم، فمن الخطأ أن يخوض مع العوام في العلوم الدقيقة، كما يقع لبعض من يدعون التصوف، أن يذكر لمريده حقيقة لا يصل إليها عقله، ولا يمكنه التعبير عنها كقول بعضهم في معنى قوله تعالى (﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥]) أنه إشارة إلى اسم الصدر وهو (آه)، بل عليه أن يسير بموعوظه سيراً هيناً ليناً، لا يحرجه ولا يشق عليه، وإليك بعض الأدلة على ذلك .

- الكتاب :

١- ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وما مراعاة استعداد السامعين، والاقتصار بهم على ما تدركه عقولهم، والاكتفاء بذكر الجلي والسير بهم من طريق الهوادة والشفقة، وعدم التشدد في الأمور إلا عين الحكمة.

٢- ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [ص: ٢٢].

قيل الشطط مجاوزة الحد، ولا ريب أن الواعظ إذا ذكر للموعوظ ما لا تصل إليه مداركه، فقد جاوز حد الوعظ وضل طريق الحكمة .

- السنة :

١- في صحيح مسلم موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه قال ﷺ: «ما أحد يحدث قَوْمًا بحديث لا تدركه عقولهم إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَى بَعْضِهِمْ»[١] .

٢- قال ﷺ: من حديث ابن عمر مرفوعاً «أمرنَا معاشر الْأَنْبِيَاء أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ »[٢] .

١) رواه مسلم (١١/١) في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن عبد الله بن مسعود، وإسناده منقطع، فإن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود روايته عن عم أبيه عبد الله بن مسعود مرسلة. ورد في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٣٩)

٢) أخرجه الديلمى (٣٩٨/١ ، رقم ١٦١١) . قال العجلوني (٢٢٥/١) : رواه الديلمى بسند ضعيف

- الآثار :

١- من قول سيدنا عيسى عليه السلام :«كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في مواضع الداء».

٢- ومن قوله أيضاً :«إن للحكمة حقاً وإن لها أهلاً فأعط كل ذي حق حقه».

٣- روي عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى : أنه سئل عن العالم من هو...؟ قال: من يضع العلم موضعه ويؤتي كل ذي حق حقه .

٤- قال بعض العارفين : «من كلم الناس مبلغ علمه وبمقدار عقله، ولم يخاطبهم بقدر حدودهم، فقد بخسهم حقهم، ولم يقم بحق الله تعالى فيهم».

فعلى الواعظ أن يتوسم حال موعوظيه حتى يتناسب وعظه مع حالهم، فلا يملونه ولا يضجرون من سماع وعظه .

(٣) سرعة البديهة والقدرة على الانتقال من موضوع لآخر :

والبديهة هي الإدراك لأول مرة، فإذا كان الواعظ سريع الإدراك قوي الفطنة حاضر الذهن لأول الأمر، وكان قديراً على الانتقال من مختلف الموضوعات، سريع التقلب في المعاني والأساليب، كان قوي التأثير كثير النفع، وواعظ كهذا لابد [أن] يكون منار فلاح وإمام هدى وقائد سعادة .

وإن كان خاملاً بطيء الإدراك، حقيق بأن يكون عيياً ضعيفاً، وكان عقبة في سبيل الإصلاح.

. اللآلي المنثورة للزركشي (ص: ١٠٧) رواه صاحب مسند الفردوس من جهة أبي معشر عن رجل سماه عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا وفي إسناده ضعيف ومجهول،،وفي الضعفاء الكبير (٩/ ٣٥٣)(٢٢٤٤) وفي أسنى المطالب (ص: ٧٣) «أمرنَا أَن نُكَلِّم النَّاس على قدر عُقُولهمْ» لَهُ طرق كلهَا ضَعِيفَة، بل هُوَ عِنْد البُخَارِيّ من كَلَام على: «حدثوا النَّاس بِمَا يعْرفُونَ، أتحبون أَن يكذب الله وَرَسُوله»، وَفِي مُقَدّمَة مُسلم عَن ابْن مَسْعُود:«وَقَالَ: مَا أَنْت بمحدث قوما حَدِيثا لَا تبلغه عُقُولهمْ إِلَّا كَانَ لبَعْضهِم فتْنَة».

فمن لازم الواعظ أن يكون حاضر الإدراك، جواداً لا يعوزه نصير الانتقال في الموضوعات، ليعد لكل أمر ما يلزم له، فلا يقصر في إجابة ولا يبطئ في فهم أغراض السائلين، وهذا عين الإصابة والفلاح، وإن ذلك ليظهر من غضون قوله تعالى في محاجة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع خصمه إذ قال: (﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]).

فما أسرع بديهة هذا الرسول الكريم عليه السلام وما أقدره على الانتقال من حجة إلى حجة حتى بهت خصمه وسقطت حجته، وارتفع منار الحق عالياً.

وما محاجة سيدنا موسى عز وجل مع فرعون في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٨]). إلا آية في سرعة البديهة، والآيات كثيرة تشهد لهذا المعنى.

فقد أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام غاية في سرعة البديهة، وحدة الذهن، والوعاظ خلفهم على الدعوة إلى الله تعالى.

فلابد منها ليمكنهم القيام بوظيفة سلفهم وبالله تعالى التوفيق.

(٤) الابتعاد عن الجدل وعدم الخوض مع أهله في مجلس الوعظ:

ومن ألزم الصفات للواعظ أن يعرف شخص من يعظ وما به يعظ، ولو بالتفرس في أحوال سامعيه والتأمل فيهم، حتى لا توقعه الغفلة في

حبائل من يثير عليه فتنته ويفتح أمامه باب الجدال والمناظرة، فيصده عن الإصلاح ويحول بينه وبين ما يريد، وربما تغلب عليه فينزع منه الثقة ويشتت النفوس من حوله، وهو أحوج ما يكون إلى ضم شتات القلوب وتضميد جراح الجدال، الذي يجر إلى الخصام والتنافر، فإن لم يجد بداً من الجدال، فليخصص له وقتاً يمكنه فيه الاستعداد بالحجة وإعداد ما يحتاجه، مع ملاحظة أن يكون بالحسنى، فقبيح بالواعظ أن يخوض غمار الجدال إلا بالحسنى والدليل لذلك : الكتاب :

١- ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فقد نهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى، والمسلمون أولى على أن الوعظ عام .

٢- ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]

٣- ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا ﴾ [الكهف: ٢٢].

- السنة:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَبِي أُمَامَةَ، وَوَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهم قَالُوا: «خَرَجَ علينا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- يَوْمًا وَنَحْنُ نَتَمَارَى فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ، ثُمَّ انْتَهَرَنَا فَقَالَ: «مَهْلًا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ذَرُوا الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمَارِي، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الْمُمَارِيَ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الْمُمَارِيَ لا أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَأَنَا زَعِيمٌ بِثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ فِي الْجَنَّةِ: فِي رِبَاضِهَا، وَأَوْسَطِهَا، وَأَعْلَاهَا - لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ، ذَرُوا

الْمِرَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا نَهَانِي عَنْهُ رَبِّي بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الْمِرَاءُ »[1] .... الحديث رواه الطبراني في الكبير .

(٥) تنوع الأساليب والإتيان بالملح التاريخية والأمثال والنكت المستظرفة التي لا تخرج به عن حد الكمال عند الحاجة :

فإن تنوع الأساليب وإيراد الحكايات، وضرب الأمثال الصحيحة والنكت الحسنة، أكبر عامل في تجديد نشاط السامعين وإزالـة الكسل والفتور عنهم، وفي جذب القلوب إليه وحملها على الإذعـان والامتثال، وتلك هي الوسيلة العظمى التي استولى بها القرآن الكريم على قلوب العرب على شدتها، وأخضع نفوسهم على شرتها حتى طأطوءا له الرؤوس، وخروا أمام عظمته سجداً لا يلوون وساروا في سبيله(........)[2] ذللاً لا يعقبون، وإن في تصفح آي القرآن الحكيم وتنوع أساليبه البليغة بين ضرب مثل وحكاية حال سابقة، ووعد ووعيد وشدة ولين وغير ذلك، وحِكم السنة النبوية والسلف الصالح ما يكفينا مؤنة الإفاضة في هذا الأدب الحسن وبالله تعالى التوفيق.

- **الاداب الكمالية:**

١- **البداءة بصوت معتدل مألوف:**

فلا يهمس حتى يفوت على السامعين بعض ما هم في حاجة إلى سماعه،

---

١) تخريج أحاديث الإحياء (٣٠٣/٤) رواه الديلمي في الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف .، مجمع الزوائد (١٢٦/١) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن مروان كذبه يحيى والدارقطني. وقال في (١/ ١٨٩) وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً. وفي ذخيرة الحفاظ (٣/ ١١٧٨) رواه كثير بن مروان الفلسطيني : عن عبد الله بن يزيد الدمشقي ، عن أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة ، وأنس بن مالك . وكثير هذا ضعيف، ليس بشيء في الحديث . وأورده في ذكر أبين بن سفيان : عن عبد الله بن يزيد هذا مثله . قال البخاري : أبين لا يكتب حديثه . قال المقدسي: ولعل أحدهما سرق من الآخر.

٢) مطموسة في الأصل.

ولا يجهر شديداً حتى يزعجهم بصوته، إذ الأول يصرف عنه القلوب، والثاني ينم عن عدم درايته بالوعظ، وعن حمق يجر إلى السخرية.

وبعد ذلك يرفع صوته رويداً رويداً كأنه ينهض بهم من وهاد إلى شرف، مع مراعاة النغمات المتناسبة مع المعاني، قوة وليناً وضخامة ورقة، وتكييف الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً، حسب مواضع الشدة واللين، ففي الشدة يرفع وفي اللين يخفض، وانفعال نفسه فرحاً وحزناً عند داعيهما، مع الاعتدال في كل ذلك، إذ لذلك روعة في القلوب وهزة في النفوس، ولا بأس بقيامه إن كان جالساً أو جلوسه إن كان مضطجعاً، إلى غير ذلك من الهيئات الدالة على قوة المعاني ولينها .

روى البخاري عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الِشْرَكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُضْطَجِعًا فَاسْتَوَى جَالِسًا ثم قَالَ: أَلاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، ومَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ». [1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

٢- السكوت المناسب بعد اعتلاء مكان الخطابة الوعظية

حتى يضم إليه شتات القلوب ويلفت أنظار السامعين، حتى إذا انطلق صادفت كلمته خالياً من النفوس وصاغياً من الأذان، فلا تلبث أن تؤثر أثرها المقصود، ولا تزال ثابتة قوية بما اكتسب من تلك الحالة، التي لا يزال صداها ماثلاً بقلب سامعها، وتلك كانت طريقة السلف، ولعمري إن نظرة في شأنهم وفي وعظهم وخطبهم، تكفي في تشبع النفس بذلك الأدب المتين، فإن الحجاج بن يوسف الثقفي قد اشتملت خطبته في أهل الكوفة حين قدمها أميراً فيها على ذلك فلقد قالوا : إنه لما قدم الكوفة بدأ بالمسجد فصعد

---

١) أخرجه البخاري(٥/٢٢٢٩ح ٥٦٣١)، ومسلم (١/٩١ ح٨٧)،وأحمد (٥/٣٦ ح ٢٠٤٠١)، والترمذى (٤/٣١٢ ح١٩٠١) وقال : حسن صحيح .

المنبر، وهو ملتثم بعمامة خز حمراء، وجعل ينادي الصلاة جامعة ثم سكت فاجتمع إليه الناس وهو ساكت، وقد أطال السكوت حتى ضرب بعضهم بيده إلى حصباء المسجد ليحصبه، وقال قائل حصر الرجل فما يقتدر على الكلام، فلما غص المسجد بأهله كشف اللثام عن وجهه، ونحى العمامة عن رأسه، وخطب خطبته فيهم، التي كان لها في نفوسهم أكبر روعة وفي قلوبهم أعظم هزة وطار صيتها في الآفاق، وحازت استحسان الناس أجمع حتى من سمعها في وقتنا هذا[1].

وألا يغفل الواعظ السكتات المناسبة بين كل فقرة وأختها، وبين كل موضوع وآخر، فإن هذا يدل على تمكنه في باب الوعظ وعراقته فيه، فيعظم في النفوس لا محالة، غير أن السكوت لا يصل به إلى حد السآمة والملل، بل بقدر التفات الأنظار إليه فحسب .

٣- أن يسلك التعريض والإشارة في وعظه ما أمكن :

وأن يتحاشى ذكر الأسماء المعينة إلا في مدحه، ذلك أن التعريض والإشارة وتحاشي ذكر الأسماء طريقة القرآن الكريم التي استمال بها القلوب القاسية وذلل النفوس الجامحة، فخضعت أيما خضوع .

ونظرة في أسلوب القرآن الحكيم تكفي استئناسا لهذا الوصف فقد قال تعالى (﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: ١٠ - ١٥]) إشارة إلى أوصاف الوليد بن المغيرة، وكان من الهين ذكر اسمه صريحاً، غير أن التصريح لما كان مثار فتنة وحمية غالباً، تفاداه النظم الكريم وغير ذلك كثير، ولما كان ذكر الأسماء في مدحة من المنتحيات الحسنة، صرح القرآن بها في غير موضع ، مثل قوله تعالى :

---

١) انظر الخبر في مروج الذهب (١/ ٤٠٤)

١- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ﴾ [مريم: ٥٤]

٢- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]

٣- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَ﴾ [مريم: ٥٦]

٤- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗا﴾ [النمل: ١٥]

٥- ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]

٦- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

ومن السنة قوله ﷺ في حديث الإخلاص في شأن مهاجر أم قيس[1]: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمن كَانَت هجرته إِلَى الله وَرَسُوله فَهجرَته إِلَى الله وَرَسُوله، وَمن كَانَت هجرته لدنيا يُصِيبهَا أَو امرأةٍ يَنكحهَا فَهجرَته إِلَى مَا هَاجر إِليهِ»[2]، رواه البخاري، فلم يصرح النبيﷺ باسم أحد فيه.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مقام التوبيخ والذم وما ماثلها يكاد يكون جلها مسلوكاً فيه سبيل التعريض، لأن التعريض أبلغ من التصريح لوجوه :-

---

١) فتح الباري لابن حجر (١/١٠)

٢)رواه البخاري(١/٧- ١٥) في بدء الوحي، وفي الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، وفي العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وفي النكاح، باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى، وفي الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، وفي الحيل، باب في ترك الحيل وأن لكل امرئ ما نوى، ومسلم ح (١٩٠٧) في الإمارة، باب قوله ﷺ:«إنما الأعمال بالنية»، وأبو داود ح (٢٢٠١) في الطلاق، باب فيما عنى به الطلاق والنيات، والترمذي ح (١٦٤٧) في فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، والنسائي(١/٥٩ و٦٠)في الطهارة، باب النية في الوضوء. وفي تذكرة المحتاج (ص:١٠) رَوَاهُ نَحْو عشْرين من الصَّحَابَة كَمَا ذكرهم ابْن مَنْدَه.وهُوَ حَدِيث فَرد غَرِيب، وَلَيْسَ بمتواتر كَمَا يظنّ....وانظر نظم المتناثر (ص:٢٤).

١- أن النفوس مجبولة على حب الاستنباط، والاستنباط حيث التعريض لا التصريح .

٢- أن في التعريض التستر والمندوحة إلى العذر .

٣- للتعريض وجوه وللتصريح وجه واحد فقط .

٤- للتصريح عبارة واحدة وللتعريض عبارات عدة .

٥- التصريح بالتوبيخ مراعاة الجرأة دون التعريض .

٤- عدم الاسترسال في الاستطراد حتى لا ينسى ما ساق له الكلام :

إذ ذلك يوجب تفريق الأذهان وتشتيت الأفكار، وما أحوج الواعظ إلى ضم شارد النفوس وشتات القلوب، كيما يحصرها في طريق واحد، ويجمعها في جهة مخصوصة فلا تشذ عن قوله ولا تغفل عن إصابة ما يريد .

٥- كمال هيئته الدينية :

إذ ليس تأثيره بحاله بأقل من تأثيره بقاله، ولو أن متهتكاً في هيئته خارجاً فيها عن لياقة الشرع والذوق السليم والعادة المألوفة شرعاً، قام ليعظ الناس أفلا يكون موضع حيرة ودهشة وسخرية شائنة للوعظ والوعاظ، وأفلا يكون حاله هذا مندوحة لنيل الناس من العلماء الذين هم محط الأنظار، وبقدر تعلق الناس بهم وانفضاضهم من حولهم يكون انفضاضهم عن الدين، وعدم تعلقهم به.

وقد حث الله عز وجل ورسوله ﷺ والسلف الصالح رضي الله عنهم على كمال الهيئة الدينية في اللباس الذي هو عنوان المرء ومقياس تعلقه بالشرع كما حثوا على غيره .

الكتاب : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]

والمراد به لباس الورع والزهد على ما فسر به بعض المحققين[١].

---

١) تفسير الماوردي (٢/ ٢١٤) ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وفي لباس التقوى سبعة تأويلات: أحدها: أنه الإيمان ، قاله قتادة والسدي. الثاني: الحياة ، قاله معبد الجهني. والثالث: أنه العمل الصالح ، قاله

- السنة :

١- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ وَفِقْهٌ فِي الدِّينِ»[١] قال العراقي : أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال : حديث غريب. قال ابن الأثير حسن السمت: هو حسن الهيئة والنظر في الدين[٢] والواعظ محتاج إلى ما يبعده عن النفاق في الدين والخروج عن اللياقة فيه .

- الآثار :

١- قال الإمام علي كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ: عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ، وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ. فأما الجاهل فيغر الناس بنسكه والعالم يغرهم بتهتكه.[٣]

٦- أن يُرَى على ملامح وجهه الغضبُ والفرحُ عند داعيهما :

وكذا يُرى عليه اللين والشدة عند داعيهما أيضاً، فلذلك من الحسن ما تهش له النفوس وتبتهج له الأرواح، ولا يخفى أيضاً أنه يجدد النشاط عنده وعند سامعيه، وتتروَّح نفوسهم، بالإحساس من الانتقال من غرض إلى غرض، ويتولد عندهم داعي الأمل والتشوق إلى ما يلقي بل المزيد منه، وإنه لأكبر شاهد على علو نفس الواعظ، وكمال درايته بمهنة الوعظ، وجدير بواعظ كهذا أن يحل محل الثقة عند موعوظيه، فتؤثر فيهم موعظته وينال منهم بغيته .

ابن عباس. والرابع: أنه السمت الحسن ، قاله عثمان بن عفان. والخامس: خشية الله ، قاله عروة بن الزبير. السادس: ستر العورة للصلاة التي هي التقوى ، قاله ابن زيد. والسابع: لبس ما يُتَّقَى به الحر والبرد ، قاله ابن بحر.

١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٢٥٦) (٣٥٧) تَفَرَّدَ به خَلَفُ بْنُ أَيُّوبَ ، رَوَاهُ أَبُو عِيسَى عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ عَنْ خَلَف ، وَقَالَ: لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيث خَلَف وَلَا أَدْرِي كَيْفَ هُوَ.»

٢) أي حُسْن هيئته ومَنْظَره في الدِّين ... وقيل هو من السَّمْت: الطَّريق . يقال الزَمْ هذا السَّمْت وفُلان حَسَن السَّمْت : أي حسَن القَصْد . نقلا عن النهاية في غريب الأثر (٢/ ٩٨٨) بتصرف.

٣) إحياء علوم الدين (١/ ٥٨).

٧- **عدم الاعتماد على الكتابة :**

فعيب ثم عيب بالواعظ أن يمسك بيده وريقة، كلما أراد أن ينطق بكلمة طأطأ رأسه وحدق بصره فيها، وعندئذ لا يعدم من الحاضرين الهامس واللامس والمشمئز والناطق بعبارات السخرية، فحسن من الواعظ أن يدرس موضوع عظته جيداً، وأن يحضره تحضيراً وافياً، حتى لا يعوزه إهمال ذلك إلى ورقة بيده تجر عليه ذيل عار وخمول وعي.

فإن كان لابد من ذلك لخطورة الموقف ودقة المسلك، فلا بأس بكتابة رؤوس الموضوعات فحسب، ليضبط بها سيره أثناء عظته مع الترتيب الحسن والجودة والحرص على إخفاء تلك الورقة عن الأنظار جهد المستطاع، أضف إلى ما تقدم أن هذه البطاقة ربما كانت حجر عثرة في سبيل مراعاة المحسنات الوعظية، إذ تشغله عن تمثيل المعاني وإلباسها ثوباً مناسباً من الألفاظ، فإن همه إذ ذاك النظر إليها وتصيد الألفاظ من بين سطورها والمشغول لا يشغل: (﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب:٤]) .

(٨) سكون الجوارح وعدم الالتفات إلا لحاجة وعدم الانتقال من مكان لآخر:

إذ حركة الجوارح والالتفات والانتقالات، ربما ألقت في نفس السامعين خفة وطيشاً في نفس الواعظ، وذلك يبعث على الانصراف عنه، وهو في حاجة إلى ما يملأ قلوبهم عظمة وإجلالاً له، ويفعمها رهبة وخشية مما يقول.

إلا أن الحركة وغيرها إن دعت إليها حاجة فلا بأس بها، فإنها والحالة هذه لا تلقي في نفوسهم شيئا، وإذ ذاك يجب ألا تخرج إلى الخلاعة والطيش، كما لابد أن يتحرى بكل ذلك مكانه وزمانه وداعيه، إلا في خطبة الجمعة فالسكون فيها مطلوب، وكذا عدم الانتقال، وأما الالتفات إن دعت

إليه ضرورة الإسماع فلا بأس به .

(٩) ترتيب نقط الموعظة ترتيباً حسناً :

مع مراعاة المناسبة بين هذه النقط، والانتقال الطبيعي فيها، من السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المعقول، وسرعة استحضار ما يريد الاستشهاد له، واستحضار الشواهد العقلية والنقلية، استحضاراً تاماً بحيث لا يقف ولا يضعف أمام حقيقة من الحقائق، ليكون أجمع لأذهان السامعين، وأدعى إلى نشاطه وأرجى إلى قبول موعظته .

(١٠) النطق باللغة الصحيحة بحالة تتناسب مع استعداد السامعين:

إذ للتكلم باللغة الصحيحة الفصيحة جاذبية في النفوس، وطلاوة تملك بها أزمة القلوب، وأما واعظ لا يتكلم بصحيح اللغة أو كثير الخطأ فيها، فانصراف الناس عنه أكثر من التفافهم حوله، وضره أكثر من نفعه، لدلالة ذلك على جهله وتصغير قيمته العلمية، الذي هو في حاجة عظمى إلى تعظيمها، لتطمئن النفوس إلى الأخذ عنه.

ولا بأس من التكلم بغير اللغة والتنزل إلى لغة موعوظه، إن دعت إليها ضرورة تفهيم مع تحري إرجاعه إلى الصواب قدر المستطاع.

(١١) التحلي بالرزانة وعدم الخفة والخوف :

ليعظ مع الثبات والسكينة والوقار وقوة العزم، فيؤثر الأثر المطلوب، لذا قال الله تعالى لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام حين أرسلهما إلى فرعون (﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]) .

وليعلم أن معه قوة الحق وسلاح العدل فلا يضطرب في قول ولا فعل إذ هو ناصر الدين وعامل على تأييده، فالله تعالى مؤيده وناصره: (﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]) .

المقصد الرابع: طرق الوعظ والإرشاد

طرق الوعظ والإرشاد: هي عبارة عن السبل الرشيدة، والخطط الحكيمة التي إذا راعاها الواعظ وصل بمن يعظ إلى الغاية المقصودة .

وتتنوع بتنوع مقتضى الحال من وعد ووعيد إلى شدة أو لين، أو إلقاء درس أو خطابة أو جدل بالحسنى، أو ضرب مثل أو رواية قصص الأولين، أو إيجاز أو إطناب أو عظة بحال السابقين، أو غير ذلك مما يتنوع بتنوع الأحوال والأشخاص والزمان والمكان، لذا كانت طرق الوعظ لا تدخل تحت حصر .

غير أنَّا نذكر منهاجاً لذلك مما أخذ من استقصاء حال الوعاظ في الصدر الأول، فقد كانوا يسلكون في وعظهم طريقة القرآن الكريم والسنة الحكيمة وآثار السلف الصالح مما يحرك العواطف ويستميلها نحو ما يوصلها إلى سعادة الدارين .

فما على الواعظ إذا نصب نفسه للوعظ والإرشاد إلا أن يعمد إلى أساليب الكتاب والسنة وآثار السالفين الصالحين، فيرى ما انطوت عليه من السبل والخطط والأساليب البليغة، في حل عقدة الإصرار، ورد النفوس إلى الطريق المستقيم، فينتهج على منهاجه مع مراعاة أنه لا يقول ولا يروي إلا ما صح فحسب من الكتب الموثوق بها بشرط معرفة الصحيح والفاسد .

قال العلماء : لا يجوز لقاص أن ينقل حديث رسول الله ﷺ من غير معرفة بالصحيح والسقيم، ولا يحل له النقل من كتب التفاسير لأن فيها الصحيح وغيره، ومن لا يميز الصحيح من الفاسد لا يقدم على نقل حديث من الكتب ولو الصحيحين ما لم يقرأ على من يعلم ذلك من أهل الحديث، فقد نقل الحافظ أبو بكر بن خير: (اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ لِمُسْلِم أَنْ يَقُولَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَا.. حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الْقَوْلُ مَرْوِيًّا، وَلَوْ عَلَى أَقَلِّ وُجُوهِ

الرِّوَايَاتِ[1] فلا يقص على الناس إلا العالم المتقن الورع .

وهذه الطرق مهما تنوعت وتشعبت لا تخرج عن الترغيب والترهيب، ولله در الحافظ المنذري حيث جمعها في هذين النوعين .

كما يشير إليه قوله تعالى (﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]) .

فإن قوله عز وجل: ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٩] وما بعده بيان لهداية القرآن بالترغيب والترهيب، ومعنى قوله تعالى ﴿ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]: أي الملة أو الشريعة أو الطريقة التي هي أقوم الطرق و(أسداها)، وهي ملة الإسلام والتوحيد، والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي إليها من تمسك به .

الترغيب

الترغيب في الشيء: ضد التزهيد فيه ومعناه حمل الغير على إرادته .

والترغيب يكون بذكر وعد الله الطائعين بعظيم الخير وحسن المثوبة .

والوعد يستعمل في الشر والخير يقال : وعد يعد بالكسر وعداً قَالَ الْفراء: يُقَال: وَعَدْتُه خيرا ووعَدْتُه شرا، فَإِذَا أَسْقَطُوا الخيرَ والشَّر قَالُوا فِي الْخَيْرِ: الوَعْد والْعِدَة، وَفِي الشَّرِّ الإيعادُ والوعيدُ[2]، والوعد بالخير يشمل نعم الدنيا والآخرة، وبه يساق الطائع إلى الجد في الطاعات، لنيل السعادة الدنيوية والأخروية وهو ضربان:

---

١) تدريب الراوي (١/ ١٦٤) الْحَافِظَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ خَيْرِ بْنِ عُمَرَ الْأَمَوِيَّ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ - الْإِشْبِيلِيَّ، خَالَ أَبِي الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيِّ قَالَه فِي بَرْنَامَجِهِ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح (ص: ٢٣٧).

٢)انظر المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٢٨) والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٥١) والنهاية (٥/ ٢٠٦).

١- الترغيب في جنس الطاعات بما جاء في الكتاب والسنة مثل قوله تعالى:

(١) ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥].

فقد وعد الله المؤمنين الطائعين بالاستخلاف في الأرض، والنصر بعد الاستضعاف والمذلة، وبتبديل الخوف أمناً .

وقد أنجز الله لهم ذلك الوعد كما قال تعالى (﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥/ ٦])، (﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١]) .

(٢) ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وعد تعالى من عمل صالحا بحسن الحال والمآل، والحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء بأحسن الأعمال في الآخرة، وقد كان ذلك، فقد قال جل شأنه ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ١٤٨] فالموفق يعيش عيشاً هنيئاً وإن كان معسراً، فمعه من القناعة وتوقع الأجر العظيم ما يصرف نفسه عن زخرف الحياة الدنيا الفاني القليل، أما الفاجر فلا يعيش عيشة طيبة وإن موسراً، فخوفه الفوات وحرصه يجعلانه في نكد ،ولجزاء الآخرة أعظم وعذابها أشد وأنكى .

(٣) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فهذا وعد للمتقين بمنحهم هداية أو نصراً وظفراً يفرقون به بين

الحق والباطل أو المحق والمبطل ليعملوا على إعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، إذ العزة دثار المؤمنين وشعارهم قال تعالى (﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨]) .

ووعدهم أيضا بتكفير السيئات والعفو عن الزلات .

(٤) ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦، ١٧].

(٥) وعد الله تعالى المستقيمين على طريقة الإسلام بسعة الرزق وإغداق الخير في الدنيا، وخصص الماء الغزير بالذكر لأن الماء أصل كل شيء وبه حياته (﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]) .

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]

وعد الله تعالى من اتبع الهدى بخيري الدنيا والآخرة ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ[1] . يعنى أن الشقاء في الآخرة عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره، وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال وعقابه.

(٦) ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

وعد الله تعالى المجاهدين في سبيله لإعلاء كلمته أن يزيدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً لسلوكها قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد:١٧] .

(٧) ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠].

---

١) تفسير القرطبي (١١/ ٢٥٨).

وعد اللّه تعالى من ينصر دينه بالنصر والظفر، وبين أنه تعالى قوي على هذا النصر، عزيز لا يضام ولا يمنع مما يريد .

والأحاديث في الوعد كثيرة منها :

١- عن ابن عباس رضي اللّه عنهم قَالَ: كُنْتُ خلف رسول اللّه ﷺ يوماً فَقَالَ: « يَا غُلَامُ إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ - وفي رواية مسلم- يَنْفَعُكَ اللَّه بِهِنَّ. احْفَظْ اللّه يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللّه تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَسَلِ اللّه، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّه لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّه عليك، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».[1]. رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

ففي هذا الحديث وعد بأن من حفظ أوامر اللّه ونواهيه -فوقف عندها بالامتثال والاجتناب، بألا يراه حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره-، حفظه اللّه في نفسه وأهله وماله دنيا وأخرى، ووجده أمامه حفظاً وتأييداً وإعانة، وأن الخير والشر بيد اللّه تعالى قدره قديماً فلا تبديل ولا تغيير .

٢- روى الإمام أحمد وعبد بن حميد في مسنده : «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، وَاحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، واعلم أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[2].

---

١) أخرجه أحمد (١/٢٩٣ح٢٦٦٩)، والترمذي (٤/٦٦٧ ح٢٥١٦)وقال: حسن صحيح. والحاكم (٣/٦٢٣ ح٦٣٠٢) وقال: عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس . والضياء (١٠/٢٥ ح ١٥) . و أبو يعلى (٤/٤٣٠ح٢٥٥٦) .

٢) أخرجه الطبراني (١١/١٢٣،ح ١١٢٤٣). وأحمد (١/٣٠٧ح ٢٨٠٤) ، والضياء (١٠/٢٣، رقم ٣١) . المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي (ص: ٢١٤)ح(٦٣٦).

فهذا أيضاً وعد لمن حفظ أوامر الله ونواهيه بالحفظ دنيا وأخرى، ولمن تعرف إلى الله بالطاعات في سعة الرزق وصحة البدن، بأن يجعل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً مثل قوله تعالى: (﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]) (﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان: ٥])، (﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [يونس: ٩])، (﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]) .

(٢) الضرب الثاني الترغيب في أنواع الطاعات :

كالصلاة والصدقة والصوم والحج والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ، وبر الوالدين وإصلاح ذات البين والوفاء والصدق وغير ذلك، ويكون بذكر ما جاء في الكتاب والسنة والآثار الصحيحة، مع شرح ذلك شرحاً وافياً حسبما تدعو إليه الحاجة ويقتضيه المقام، ونعم العدة في ذلك كتاب رياض الصالحين للإمام النووي، وكتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وكتاب الإحياء للإمام الغزالي ، مع الرجوع في تفسير الآيات والأحاديث إلى مظانها، فذلك أعون على الإجادة والإفادة .

***

-الترهيب:

يذكر في الترهيب الأمور النافعة في التحذير من المعاصي، المفيدة في حل عقدة الإصرار، وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أضرب خمسة :

الضرب الأول: أن يذكر الواعظ ما في القرآن الكريم من الآيات المخوفة للمذنبين، وما ورد من الأحاديث والآثار في ذلك، ويكون بذكر وعيد المخالفين دنيا وأخري، فالله تعالى حذر عباده من معاصيه بما أقام لهم من نواميس

ربوبيته، وأظهر لهم من سطوة قهره وجبروته قال تعالى :

١ - ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥]

الأسف أشد الغضب، أي لما اشتد غضبنا عليهم بإفراطهم في المعاصي عجلنا عذابهم بالإغراق (﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٦]) . أي جعلناهم قدوة للآخرين في استحقاق ما حل بهم، وجعلناهم مثلاً يتحدثون به .

٢ - ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٦].

أخبر الله عز وجل بأنهم حين تكبروا عن ترك ما نهوا عنه، غضب عليهم وجعلهم قردة أذلاء مبعدين، وهذا وعيد لغيرهم بأنهم إن فعلوا فعلتهم مسخوا مسختهم .

٣- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[فاطر: ٤٥].

أفاد عز وجل أنه لو آخذهم بسيئاتهم، كما فعل بالأمم قبلهم، ما ترك على ظهر الأرض دابة من إنسي وغيره، بشؤم معصيته وذلك وعيد شديد.

٤- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء:١١٥].

أوعد الله جل جلاله من يخالف الرسول ﷺ فيما جاء به من الحق بعد تبين صدقه، وسلك طريقاً غير طريق المؤمنين، من اعتقاد ذلك والعمل بمقتضاه، يجعله والياً ما تولّى من الضلال، ويخلي بينه وبين ما اختار في الدنيا ويدخله جهنم في دار العقبى، والآيات في ذلك أكثر من أن تحصى .

والأحاديث أيضاً كثيرة منها :

١- في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِي الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ الله »[١].

٢- وفيهما أيضاً ﷺ، قَالَ: « لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ فَلِذاَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أحد أَحَبُّ إليهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ عز وجل» [٢].

٣- في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قَالَ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ لم يتب زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ فذَلكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عز وجل في كتابه (﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]».[٣] ومعنى تعلو قلبه تغشيه وتغطيه .

٤- في الصحيحين أنه ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه اليمن « اتَّقِ دعوةَ المَظْلومِ، فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ»[٤].

---

١)رواه البخاري ٩ / ٢٨١ في النكاح، باب الغيرة، ومسلم رقم (٢٧٦١) في التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، والترمذي رقم (١١٦٨) في الرضاع، باب ما جاء في الغيرة.وقال: حسن غريب. وأحمد (٥٣٩/٢ح ١٠٩٦٣) وغيرهم

٢)رواه البخاري(٢٨٠/٩) في النكاح، باب الغيرة، وفي تفسير سورة الأنعام، باب قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ،وفي تفسير سورة الأعراف،باب قوله:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، ومسلم ح(٢٧٦٠) في التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، والترمذي ح (٣٥٢٠) في الدعوات، باب رقم (٩٧) .

٣) قال الأرناؤوط في تحقيقه مسند أحمد ط الرسالة (١٣/ ٣٣٤) إسناده قوي، محمد بن عجلان صدوق قوي الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.وأخرجه الطبري(١١٢/١)و(٩٨/٣٠) وابن ماجه (٤٢٤٤)، والترمذي (٣٣٣٤) ، والنسائي في«عمل إلى وم والليلة» (٤١٨)، و التفسير من «الكبرى» (١١٦٥٨)، والطبري ٩٨/٣٠، والحاكم ٥١٧/٢،والبيهقي في«السنن»١٨٨/١٠، وفي «الشعب» (٧٢٠٣) من طرق عن ابن عجلان، به.

٤) رواه البخاري ٥ / ٧٣ في المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، وفي الزكاة، باب وجوب الزكاة، وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، وباب تؤخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، وفي المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، وفي التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم رقم (١٩) في الإيمان، باب

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ «قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عليه مِنْ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1]. رواه مسلم .

٦- وَرَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ: « إِنَّ الرَّبَّ عز وجل قَالَ فِي بَعْضِ مَا يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنِّي إِذَا أَطَاعَنِي الْعَبْدُ رَضِيتُ عَنْهُ وَإِذَا رَضِيتُ عَنْهُ بَارَكْتُ فِيهِ وَفِي آثَارِهِ وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايَةٌ، وَإِذَا عَصَانِي الْعَبْدُ غَضِبْتُ عليه وَإِذَا غَضِبْتُ عليه لَعَنْتُهُ وَلَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنْ وَلَدِهِ»[2]. ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء: ٩].

فإن فيه دليلاً على أن شؤم معاصي الوالد يلحق الولد، إذ يشب على ما وجد أباه عليه و تصيبه عدوى أخلاق أبيه، إلا قليلاً لإظهار حكمة الله في خلقه وسره في شئون عباده، ولإبطال القول بتأثير الطبيعة في المخلوقات، ولإظهار عجز الخلق حتى الكملة منهم عن هداية أقرب الناس إليهم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦].

الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، والترمذي رقم (٢٠١٥) في البر والصلة، باب رقم (٦٨)، وأبو داود رقم (١٥٨٤) في الزكاة، باب في زكاة السائمة، والنسائي ٥ / ٥٥ في الزكاة، باب إخراج الزكاة من بلد إلى بلد.

١) أخرجه أحمد (٣٣٤/٢، رقم ٨٣٩٥) ، ومسلم (١٩٩٧/٤ح ٢٥٨١)، والترمذي (٦١٣/٤، رقم ٢٤١٨) ، وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (١٥٦/٣ح ٢٧٧٨) ، والديلمي (٦٠/٢، رقم ٢٣٣٨) .

٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢١)

٧- في الحديث عنه ﷺ: «الْبِرُّ لَا يَبْلَى وَالذَّنْبُ لَا يُنْسَى وَالدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ ، اعمل ما شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ» [(١)].

أي كما تفعل يفعل معك و القصاص إن لم يكن منك فمن ذريتك.

والآثار في ذلك كثيرة منها :

١- عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: قِيلَ لِه: هل تَرَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ دِينَهَا...؟ (أي حتى عذبوا بأنواع العذاب الأليم، كمسخهم قردة و خنازير، وأمرهم بقتل أنفسهم) قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أُمِرُوا بِشَيْءٍ تَرَكُوهُ، وَإِذَا نُهُوا عَنْ شَيْءٍ رَكِبُوهُ، حَتَّى انْسَلَخُوا مِنْ دِينِهِمْ كَمَا يَنْسَلِخُ الرَّجُلُ مِنْ قَمِيصِه» [(٢)].

٢- قَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ» [(٣)].

٣- قال الحسن البصري رحمه الله : «يَا ابْنَ آدَمَ تَرْكُ الْخَطِيئَةِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ» [(٤)]

---

١) أخرجه ابن عدى (٦/١٥٨، ترجمة ١٦٤٩ محمد بن عبد الملك الأنصاري)، وقال:ضعيف جدًّا. والديلمي (٢/٣٣ح ٢٢٠٣) أخرجه عبد الرزاق في الجامع عن معمر (١١/١٧٨ح ٢٠٢٦٢) ،والبيهقي في الزهد (٢/٢٧٧ح ٧١٠). عن أبى قلابة. وقال في الأسماء والصفات(١/١٩٧) هَذَا مُرْسَلٌ انتهى، وموقوفا من حديث أبى الدرداء:أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٤٢).

٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ١٧٣) شعب الإيمان(٥|٤٤٢)

٣) أخرجه ابن المبارك في«الزهد»(٧١) ،وأبونعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٣) ، المخلصيات (٣/ ٣٣١) والبيهقي في «الشعب» (٢٨٢) (٦٧٥٩) من طريق الأوزاعي به.

٤) حلية الأولياء (٥/ ١٦٧) عَنْ شُفَيٍّ الْأَصْبَحِيِّ، قَالَ: تَرْكُ الْخَطِيئَةِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ. وفي قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص:٢٠١) عَنْ أَبِي مُسْلِم الْخَوْلَانِيِّ، أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى خَرِبَةٍ فَقَالَ: «يَا خَرِبَةُ ، يَا خَرِبَةُ أَيْنَ أَهْلُكِ؟ ذَهَبُوا وَبَقِيَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَانْقَطَعَتِ الشَّهْوَةُ وَبَقِيَتِ الْخَطِيئَةُ، ابْنَ آدَمَ تَرْكُ الْخَطِيئَةِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ» الفتاوى الحديثية للحويني (١/ ٢٥٣) رواه أبو نعيم الأصبهاني من طريق ابن وهب قال: أخبرني إبراهيم بن نشيط ، عن عمار بن سعد عن شفي بن ماتع الأصبحي وهذا إسنادٌ لا بأس به وإبراهيم بن نشيط ثقةٌ ، وعمار بن سعد هو السَّلْهي المرادي - المصري . ذكره ابن يونس في (تاريخ مصر) وقال:(كان فاضلاً) ، وذكره ابنُ حبان في (الثقات) (٧/٢٨٤) فالصواب أن هذا القول من كلام شفي بن ماتع . والله أعلمُ .

٤- قَالَ حُذَيْفَةُرضي الله عنه، إذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا أَذْنَبَ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَصِيرَ قَلْبُهُ كُلُّهُ أَسْوَدَ[1].

فهذا كله وعيد شديد على المخالفة، وفعل المعاصي لحمل العبد على الإقلاع عنها .

٥- قال الحسن البصري رضي الله عنه: إن بين العبد و بين الله حداً من المعاصي معلوماً، إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفق بعدها لخير[2].

٦- قال بعض السلف : «يَا أَهْلَ الْمَعَاصِي لا تَغْتَرُّوا بِطُولِ حِلْمِ اللهِ عَنْكُمْ، وَاحْذَرُوا أَسَفَهُ»[3].

أي احذروا شدة عذابه من الإفراط في المعاصي .و كفى بما سلف وعيداً للعاصين المخالفين لحدود الله تعالى .

الضرب الثاني: حكايات الأنبياء و الصالحين و ما جرى عليهم من المصائب و البلايا بسبب هفواتهم و ذنوبهم، إذ أن له من الهزة في القلوب ما لا يخفى .

روى صاحب القوت رحمه الله :«أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عز وجل أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف..؟ قال : لا . قال : لقولك لإخوته (﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٣]) لم خفت عليه الذئب ولم ترجني له..؟، ولم نظرت إلى غفلة أخوته، ولم تنظر إلى حفظي له...؟، وتدري لم رددته عليك..؟ قال لا، قال: لأنك

---

١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢١).

٢) قوت القلوب التوحيد (١/ ٣١٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٥٢).

٣) شعب الإيمان (٩/ ٣٨٦) (٦٨٣٥) قَالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ: « يَا أَهْلَ الْمَعَاصِي لَا تَغْتَرُّوا بِطُولِ حِلْمِ الله عَنْكُمْ، وَاحْذَرُوا أَسَفَهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ قَالَ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف: ٥٥]» وانظر العقوبات لابن أبي الدنيا (ص: ٦٧)والمنتقى من حديث أبي بكر الأنباري (ص: ١٠١)(١٠٠) الورع – ابن حنبل (ص: ١٢).

رجوتني وقلت: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]. و بما قلت ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧][1].

وروى البيهقي في الشعب من حديث أنس رضي الله عنه: أتى جبْريل عليه السلام يَعْقُوبَ عليه السلام، فَقَالَ: إِنَّ اللّه يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: أَتَدْرِي لِمَ أَذْهَبْتُ بَصَرَكَ، وَقَوَّسْتُ ظَهْرَكَ، وَصَنَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بِهِ مَا صَنَعُوا..؟ إِنَّكُمْ ذَبَحْتُمْ شَاةً فَأَتَاكُمْ مِسْكِينٌ يَتِيمٌ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَمْ تُطْعِمُوهُ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: فَكَانَ يَعْقُوبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْغَدَاءَ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي أَلَا مَنْ أَرَادَ الْغَدَاءَ مِنَ الْمَسَاكِينِ فَلْيَتَغَدَّ مَعَ يَعْقُوبَ، وَإِذَا كَانَ صَائِمًا أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي أَلَا مَنْ كَانَ صَائِمًا مِنَ الْمَسَاكِينِ فَلْيُفْطِرْ مَعَ يَعْقُوبَ عز وجل»[2]

وكذلك لما قال يوسف عليه السلام لصاحب السجن ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. قال الله تعالى . ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « قَالَ سُلَيْمَانُ عز وجل: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّ وَاحِدَةٍ تأتي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

---

١) قوت القلوب (١/ ٣٢١) وقال : وقد روينا في خبر غريب، وانظر إحياء علوم الدين (٤/ ٥٣).

٢) شعب الإيمان (٥/ ٨٦) أخرجه الحاكم (٣٧٨/٢، رقم ٣٣٢٨) ، قَالَ الْحَاكِمُ: هَكَذَا فِي سَمَاعِي بخَطِّ يَد حَفْص بْن عُمَرَ بْن الزُّبَيْر وَأَظُنُّ الزُّبَيْرَ وَهْمًا منَ الرَّاوي فَإِنَّهُ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْن عَبْد اللَّه بْن أَبي طَلْحَةَ الْأَنْصَاريُّ ابْنُ أَخي أَنَس بْن مَالك فَإنْ كَانَ كَذَلك فَالْحَديثُ صَحيحٌ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَليُّ هَذَا الْحَديثَ في التَّفْسير مُرْسَلًا « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤٠/٧) رَوَاهُ الطَّبَرَانيُّ في الصَّغير وَالْأَوْسَط عَنْ شَيْخه مُحَمَّد بْن أَحْمَدَ الْبَاهليِّ الْبَصْريِّ وَهُوَ ضَعيفٌ جدًّا.، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤٨٩/٢) نقلاً عن ابن أبي حاتم وقال: هذا حديث غريب فيه نكارة.،، والأشبه أنه متلقى عن أهل الكتاب ، ولا أصل له في المرفوع. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» ٤٦ ، عن أنس ابن مالك. الخلاصة : هو حديث ضعيف جدا ، شبه موضوع ، والأشبه أنه من الإسرائيليات ، ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.

وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ (لنسيان عرض له)، فطاف عليهن، فَلَمْ تَحْمِلْ إِلَّا امْـرَأَةٍ وَاحِـدَةٌ جَـاءَتْ بِشِقِّ رجل، فجئ به على كرسيه فوضع في حجره»: «فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِن شَاءَ اللَّهُ لَجَاهِدُوا كلهم في سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ».[1]، فذلك قوله تعالى (﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ [ص:٣٤]) وهـذا أظهر ما قيل في فتنة سليمان عليه السلام عند أهل التحقيق. فهذا مما قد يغيب على الخواص من خفي سكونهم، ولمح نظرهم إلى ما سوى الله تعالى، كاتكال المؤمن على قوته أو إعجابه بنفسه... وأمثال هذه الحكايات لا حصر له .

ولم يـرد بها القـرآن الحكيم مـورد الأسـمـار، بل الغرض منها العظة والاعتبار، ليعلم العبد أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مع جلالة قدرهم ورفع منزلتهم عنده عز وجل لم يتجاوز عنهم في الهفوات الصغيرة، فكيف يتجاوز عن غيرهم في كبائر الذنوب، ليعتبر بذلك العبد ويكون على وجل.

نعم . كانت سعادتهم عليهم الصلاة و السلام في أن عوجلوا بالمؤاخذة، ولم يؤخروا للآخرة، أما الأشقياء فيمهلون إلى الآخرة ليزدادوا إثماً، ولأن عذاب الآخرة أشد و أكبر، فهذا أيضاً مما ينبغي للمرشد أن يقرع به أسماع العاصين، لنفعه في تحريك دواعي التوبة إذا شاء الله تعالى .

الضرب الثالث: أن يقرر عند السامعين أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب، فإن ما يلحق بالعبد من البلايا حاصل بسبب ما صدر منه، فرب متساهل في عقاب الآخرة خائف من عقوبة الدنيا لجهله .

فيقرر عنده أن الذنوب جميعاً يعجل شؤمها في الدنيا، ويكون ذلك بذكر الآيات والأحاديث و الآثار المتضمنة لذلك .

---

١) رواه البخاري ٦ / ٣٣٠ في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾، وفي الايمان، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ومسلم (١٦٥٤) في الأيمان، باب الاستثناء، والنسائي ٧ / ٢٥ في الأيمان، باب إذا حلف له فقال له رجل: إن شاء الله هل له استثناء، وباب الاستثناء.

والآيات كثيرة في ذلك منها :

(١) ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

أي ظهر الفساد براً وبحراً كالجدب وسائر الآفات الزراعية والتجارية والإغراق والإحراق وغير ذلك، مما الإنسان هدف للإصابة به بشؤم المعاصي، ليذيقهم بعض جزاء ذلك في الدنيا رجاء أن يعتبروا ويرجعوا أعمالهم عليه، وتمام ذلك في الآخرة: (﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٢٦].)

(٢) ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أي لم يوسع الله لهم الرزق بسبب تكذيبهم و امتناعهم عن الامتثال .

(٣) ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[الشورى: ٣٠].
أي ما نزل بكم من المكاره كالآلام والأسقام والعاهات، هو بسبب ما اجترحتم من السيئات، وفي الحديث (خَمْسٌ تُعَاجِلُ صاحبهن بالعُقُوبَةَ البَغْيُ والغَدْرُ وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وقَطِيعَةُ الرَّحِمِ ومَعرُوفٌ لا يُشْكَرُ)[١].

حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بذنوبه وتسقط منزلته من القلوب .

(٤) ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ

---

١) ابن لال عن زيد بن ثابت، الديلمي (١٩٦/٢ح ٢٩٧٦). الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس لابن حجر - مخطوط (ص: ١٤٨٩) (١٥٥٧) كنز العمال(١٦/ ٧٩) (٤٤٠٠٩) قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤٣/٨) أخرجه الديلمي عن ابن لال، عن محمد بن كثير ابن مروان: حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، عن زيد بن ثابت مرفوعاً... قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ محمد بن كثير بن مروان متروك؛ كما في «التقريب».

بِمَا كَانُوا۟ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

جعل الله القرية التي كانت هذه حالتها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة فعصوا فبدّل الله تعالى نعمتهم نقمة .

(٥) ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُوا۟ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُوا۟ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [سبأ:١٥-١٧] .

فهؤلاء قبائل إليمن غمرهم الله بنعمه، فلما أعرضوا عن واجب الشكر سلبهم الله النعمة، وأرسل عليهم سيلاً جارفاً أغرق أموالهم، وخرب ديارهم لظلمهم: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾ [الكهف:٥٧]) وكذلك ينتقم الله من المجرمين، (﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢]) .

(٦) ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُو۟لِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾ [الإسراء: ٤، ٥].

وهؤلاء بنو إسرائيل لما أفسدوا سلط الله عليهم من أغاروا عليهم وقتلوهم واتخذوا من جلودهم نعالاً ومن شعورهم حبالاً ، والآيات في ذلك كثيرة .

- الأحاديث :

(١) روى الحاكم بإسناد صحيح: أن النبيﷺ قال:«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»[1] .

---

١) أخرجه ابن حبان (٣/ ١٥٣)ح (٨٧٢) ابن أبي شيبة ١٠/٤٤١-٤٤٢، وأحمد ٢٧٧/٥ و ٢٨٠

ذلك أن الله تعالى خلق العبد لطاعته وعبادته (﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]) فإذا اشتغل بشهوته والانهماك فيها عن عبادة ربه عز وجل حُرم رزقه، فيكون زجراً عن ارتكاب المعاصي وتأديباً له لئلا يعود لمثله .

(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه «إني لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه»[١] .

وهو معنى قوله ﷺ«من قارف ذَنبا فَارقه عقل لَا يعود إليهِ أبدا»[٢] .

(٣) وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَيْسَتِ اللَّعْنَةُ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَنُقْصًا فِي الْمَالِ، إِنَّمَا اللَّعْنَةُ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَقَعْتَ فِي مِثْلِهِ أَوْ شَرٍّ مِنْهُ»[٣] .

وهو كما قال: لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير، ويسر له الشر فقد أبعد، قال الفضيل رضي الله عنه«ما أنكرت من تغير الزمان، وجفاء الإخوان فذنوبك أورثتك ذلك». وقال بعضهم:«إني لأعرف عقوبة

و٢٨٢، وابن ماجة (٩٠) في المقدمة: باب في القدر، و (٤٠٢٢) في الفتن.. والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٦٩/٤، والطبراني في «الكبير» (١٤٤٢) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان » ٦٠/٢، وفي «شرح السنة» (٣٤١٨) ، والحاكم ٤٩٣/١، والقضاعي في «مسنده» (٨٣١) من طرق، عن سفيان بهذا الإسناد. وقال البوصيري في «الزوائد» ورقة ١/٨: وسألت شيخنا أبا الفضل العراقي رحمه الله عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن. وفي الباب عن سلمان عند الترمذي (٢١٣٩) في القدر: باب ما جاء لا يرد القدر إلاَّ الدعاء، والطحاوي في « مشكل الآثار « ١٦٩/٤، والشهاب القضاعي (٨٣٢) و(٨٣٣) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب... والحديث عَنْ ثَوْبَانَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» وفي المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٨٤)(١٨٩٢)قال إسناده لين، والحديث حسن. وقال الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (٤/ ٥٣) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه أخرجه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده واللفظ له، إلا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان.

١) قوت القلوب (١/ ٣١١) إحياء علوم الدين (٤/ ٥٣) .

٢) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص: ٨٨٩) لم أر لَهُ أصلا. وأورده السبكي في الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسنادا من كتاب طبقات الشافعية الكبرى (٣٣١/٦).

٣) إحياء علوم الدين (٥/٣٧٠) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ٢٧٩).

ذنبي في سوء خلق حماري»، وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله :«لا يفوت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب يذنبه»[1].

ثم إن القوم حملوا الحديث على الكملة، والرزق على المعنوي، بمعنى حرمان العبد من العلم ومجالسة الناصحين والمرشدين المهذبين[2].

غير أن الحديث في ذاته شامل للكملة وغيرهم، وصالح لإرادة الرزق بنوعيه: الحسي والمعنوي، فأهل الدنيا يعاقبون في رزق الدنيا، بتعذر طرق الاكتساب ونقص الأموال وهلاكها، وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة، من التوفيق لصالح الأعمال وفتوح العلوم النافعة وغيرها بتعذر ذلك، وحسبنا في هذا قول الإمام علي رضي الله عنه:«لا يَنْزِلُ البَلَاءُ إِلَّا بِذَنْبٍ ولا يرتفع إِلَّا بِتَوْبَةٍ»[3] وكل ما تقدم من الآيات والأحاديث والآثار

١) قوت القلوب (١/ ٣١٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٥٤).

٢) أي يحرم بعض ثواب الآخرة أو بعض نعم الدنيا من نحو صحة ومال بمعنى محق البركة منه، (وقوله بالذنب يصيبه) أي بشؤم كسبه الذنب ولو بأن تسقط منزلته من القلوب ويستولي عليه أعداؤه، ولا يقدح فيه ما يرى من أن الكفرة والفسقة أعظم مالا وصحة من العلماء والصالحين، لأن الكلام في مسلم يريد الله رفع درجته في الآخرة فيعفيه من ذنوبه في الدنيا: فاللام في الرجل للعهد، والمعهود بعض الجنس من المسلمين، ويحتمل أن يكون الحرمان بالنسبة إلى الرزق المعنوي والروحاني: وقد يكون من الرزق الظاهر المحسوس والله أعلم (الفتح الرباني- ٢٢/١٤).

٣) الأثر من قول العباس رضي الله عنه عَنْ أَبِي صَالِحٍ: أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه يَوْمًا اسْتَسْقَى به عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ:لَمَّا فَرَغَ عُمَرُ مِنْ دُعَائِهِ؛ قَالَ الْعَبَّاسُ: اللهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْشَفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ بِي الْقَوْمُ إليكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ ﷺ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا بِالتَّوْبَةِ، وَأَنْتَ الرَّاعِي لا تُهْمِلِ الضَّالَةَ، وَلَا تَدَعِ الْكَسِيرَ بِدَارِ مَضْيَعَةٍ؛ فَقَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ، وَرَقَّ الْكَبِيرُ، وَارْتَفَعَتِ الشَّكْوَى، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى؛ اللهُمَّ، فَأَغِثْهُمْ بِغِيَاثِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنَطُوا فَيَهْلَكُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَحْمَتِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ. قَالَ: فَمَا تَمَّ كَلَامُهُ حَتَّى أَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ...انتهى نقلا عن المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٠٣)(٧٢٧) للدينوري وقال[إسناد واه جداً].قال الصنعاني في سبل السلام (١/ ٤٥٣) أَخْرَجَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْأَنْسَابِ، (كما عزاه إليه الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٩٧/٢ ولا يوجد في القسم المطبوع من كتاب الأنساب) وَأَخْرَجَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ عَامَ الرَّمَادَةِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَذَكَرَ الْبَارِزِيُّ أَنَّ عَامَ الرَّمَادَةِ كَانَ سَنَةَ ١٨. انتهى، كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٥٨ - ٣٥٩ ط دار الفكر، ص ١٨٤ تراجم عبادة بن أوفى - عبد الله بن ثوب) . من طريق أبي صالح باذام مولى ابن هانيء عن العباس بن عبد المطلب في حديث طويل... وقد ثبت في صحيح البخاري استسقاء عمر بدعاء العباس (٤٩٤/٢ مع الفتح) كتاب الاستسقاء - باب سؤال الناس

وعيد شديد لأرباب المعاصي، كي يقلعوا عنها ويرتدع غيرهم عن قربانها.

- الضرب الرابع: يكون بذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب: كالقتل، والزنا، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم وتناول الخمر والميسر، والسرقة والقذف والغيبة والنميمة والحقد والحسد وغير ذلك من الذنوب، مع شرح ما ورد فيها من الآيات والأحاديث والآثار وضرب الأمثال الحسية والمعنوية، بما يحرك العواطف ويستميلها نحو الهدى والرشد، مع الرجوع في هذا كله إلى مظانه في كتب التفاسير والأحاديث الصحيحة وغيرها، ويكون ذلك مع أهله، وأما مع غير أهله فهو وضع للدواء في غير موضعه ليقتدي في ذلك بإمام المرشدين سيدنا محمد ﷺ، فيتوسم حال موعوظه يصيب بالدواء الداء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، فقَالَ ﷺ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»[1]. رواه البخاري

وقَالَ له آخر: «أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ﷺ: « عليكَ بِاليأسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فإن ذلك هو الغنى، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ، وَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٌ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ. »[2].

الإمام الاستسقاء إذا قحطوا - ح ١٠١٠ دون بيان صفة دعائه على وجه التفصيل، فلم يرد ذكر هذا اللفظ... وانظر الكلام على هذا الحديث في اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٣٧، ٣٣٨، ط دار الإفتاء).إ

١) رواه البخاري(١٠/٤٣١ و٤٣٢) في الأدب، باب الحذر من الغضب، والترمذي رقم (٢٠٢١) في البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب، ورواه الموطأ مرسلاً ٢ / ٩٠٦ في حسن الخلق، باب ما جاء في الغضب، وقد وصله البخاري والترمذي كما في الرواية التي قبله.

٢) قال صاحب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٧٠) رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: وَاللَّفْظُ لَهُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ نَحْوَهُ،، قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٩) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ. والقضاعى (٢/٩٣، رقم ٩٥٢) عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٠٥) وروي عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده. أخرجه الحاكم (٤/٣٦٢، رقم ٧٩٢٨) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى في الزهد (٢/٨٦، رقم ١٠١). وأخرجه أيضًا: الرويانى (٢/٥٠٤، رقم ١٥٣٨)، والديلمي (٣/٣٢، رقم ٤٠٦٩) قال المناوي(٤/٣٢٩): قال الحاكم صحيح وتعقبه الذهبي بأن فيه محمد بن سعد وهو مضعف. وقال السخاوى: فيه أيضًا محمد بن حميد مجمع على ضعفه.وضعفه

فكأنه ﷺ توسم في الأول الغضب فنهاه عنه، وفي الثاني الطمع وطول الأمل، وعدم حضور القلب في الصلاة، وكثرة فعل ما يعتذر منه فنهاه عنها.

وكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنِ اكْتُبِي لَيَّ كِتَاباً تُوصِينِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي – وذلك حين تولى الإمارة– ، فَكَتَبَتْ إليه:« مَنْ عَائِشَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عليكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ سَخَطَ اللَّهِ بِرِضَا النَّاسِ وَكَّلَهُ اللَّهُ عز وجل إِلَى النَّاسِ»، وَالسَّلَامُ عليكَ» [1]. رواه الترمذي والحاكم.

فانظر إلى فقهها رضي الله عنها حيث تعرضت للآفة التي يكون الولاة في بلية منها، وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم .

فعلى المرشد أن يتفرس أحوال الناس، ليذكر لهم النصائح اللائقة بالمقام، فإن ذكر جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن، والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عنه إضاعة للوقت أو وضع للشيء في غير محله .

فإن كان المرشد يتكلم في وسط لا يدري باطن حاله، فطريقه أن يعظ بما يشترك الناس في الحاجة إليه، إما على العموم وإما على الأكثر، فإن في الشريعة أغذية وأدوية تناسب كل حال وزمان ومكان، والمرجع في ذلك كتاب

العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٥٤٧) (٣٧٣٩) وأورده السيوطي في الجامع الصغير عن سعد، وقال المناوي: صنيع المصنف أنه سعد ابن أبي وقاص، فإنه المراد عندهم إذا أطلق، لكن ذكر أبو نعيم أنه سعد أبو محمد الأنصاري غير منسوب، ثم قال: ورواه الروياني في مسنده والهيثمي في الترغيب من حديث إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري عن أبيه، عن جده. فيض القدير: ٣٢٩/٤.

١) أخرجه ابن المبارك (٦٦/١ح ١٩٩)، والترمذي (٦٠٩/٤ح٢٤١٤) وابن حبان (٥١٠/١ح ٢٧٦) ، وإسحاق بن راهويه (٦٠٠/٢ح ١١٧٥) ، والقضاعى (٢٩٩/١ح ٤٩٨) .

اللّه وسنة رسوله ﷺ وحكم الأسلاف الصالحين، ففيها الكفاية مع مراعاة الإخلاص والعمل بما يقول .

قال عامر بن عبد القيس :«إذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان» وباللّه تعالى التوفيق .

- الضرب الخامس: أن يحذر الناس من المعاصي بالخوف من اللّه تعالى ، فيبين لهم الخوف وما ورد في فضله، ويتلو عليهم كثيراً مما يورث الخوف، ويذكر لهم أحوال الأنبياء والملائكة والصحابة والتابعين والسلف الصالح فيه .

فالخوف تألم القلب وانزعاجه لتوقع مكروه في الاستقبال، وينتظم من علم وحال وعمل .

فالأول هو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه، كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل ونحوه، ويجوز العفو والإفلات، ويكون خوفه بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله من تفاحش الجناية، وكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً، وكونه محفوظا بمن يحثه على الانتقام، والخائف لا شفيع له، فقوة خوفه بقوة هذه الأسباب وضعفه بضعفها .

وقد يكون الخوف لا عن جناية بل عن صفة المخوف، كالخائف من السبع لسطوته، وحرصه على الافتراس غالباً .

كذلك الخوف من اللّه تعالى : تارة يكون لمعرفة اللّه تعالى وصفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، ومن كان كذلك يجب الخوف منه.

وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً .

وعلى قدر معرفته بجلال اللّه تعالى وبعيوب نفسه تكون قوة خوفه،

فأخوف الناس لربه أعرفهم بربه وبنفسه، قال تعالى :(﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]) إذ هم العارفون بربهم وبأنفسهم، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : «وَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[١].

ثم إذا كملت المعرفة أورثت حال الخوف وانزعاج القلب وهذا هو الثاني(الحال) .

ثم يفيض أثر ذلك من القلب على الجوارح، بكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط منه، واستعداداً للمستقبل، ولذا قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما خاف أن يعاقب عليه، وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه، وهذا هو الثالث (العمل)[٢].

- **فضل الخوف:**

اعلم أن ما ورد في فضل الخوف كثير، ويكفي في فضله أن الله تعالى جمع للخائفين بين الهدى والرحمة والعلم والرضوان، وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال تعالى :

(١) ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

(٢) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

ففي الأولى جعل الهدى والرحمة للخائفين منه تعالى، وفي الثانية وصف

---

١)البخاري ١٣/ ١٢٥، ١٢٦ في الأدب: باب من لم يواجه الناس بالعتاب، وفي الاعتصام: باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، وأخرجه مسلم ح (٢٣٥٦) في الفضائل: باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته، قال الحافظ في « الفتح »: ١٣/ ١٢٨، وفي الحديث الحث على الاقتداء بالنبي ﷺ، وذم التعمق والتنزه عن المباح، وحسن العشرة عند الموعظة والإنكار والتلطف في ذلك.

٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٥٦).

العلماء بالخشية منه محصورة فيهم لعلمهم، أي جعل الخشية مقاماً في العلم حققه بها .

(٣) ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].فجعل – جل شأنه – الرضوان لأهل الخشية .

(٤) ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

أمرعز وجل بالخوف منه وشرطه بالإيمان، فلذا لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعفه بضعف معرفته وإيمانه . ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠].

و الأحاديث عنه ﷺ كثيرة منها :

(١) أخرج ابن أبي الدنيا أن النبي ﷺ قَالَ:«إِذَا اقْشَعَرَّ جسدُ الْعَبْدِ مِنْ مخَافَةِ اللَّه عز وجل ، تَحَاتَّتْ عَنْهُ خطاياهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ اليابِسَةِ وَرَقُهَا»[1] .

(٢) روى ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ رضي الله عنهم قَالَ عز وجل:«وَعِزَّتِي وجلالي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2] وآمنته بالمد

١) شعب الإيمان (٢/ ٢٣٦) (٧٨٢) معجم الصحابة (٢/ ٢٧٦) (٨٠١) عن العباس بن عبد المطلب قال المناوي التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٧٦) ضَعفه الْمُنْذِرِيّ وَغَيره، وقال في فيض القدير (١/ ٢٩٣) قال المنذري والعراقي سنده ضعيف وبينه الهيتمي فقال فيه أم كلثوم بنت العباس رضي الله عنها لم أعرفها وبقية رجاله ثقات، وكذا ضعفه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٥/ ٣٦٥).

٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/٥٠ح ١٥٧)، والحكيم (٢٤٢/٣) عن الحسن مرسلاً. ومن حديث أبى هريرة: أخرجه ابن المبارك في الزهد(١/٥٠ح ١٥٨)والبيهقى في شعب الإيمان(٤٨٢/١ح ٧٧٧)وابن حبان (٤٠٦/٢ح٦٤٠) قال العلامة شعيب الأرنؤوط إسناده حسن، محمد بن عمرو: هو ابن علقمة بن وقاص الليثي حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات، وله شاهد مرسل بسند صحيح عند ابن المبارك في «الزهد» برقم «١٥٧» من طريق عوف عن الحسن . ورواه موصولاً يحيى بن صاعد في

جعلت له الأمان[1]، وكل ما دل من الآيات والأحاديث على فضل العلم دل على فضل الخوف لأنه ثمرة العلم بالله تعالى ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه « رَأس الْحِكْمَة مَخَافَة الله»[2].

زوائد الزهد «١٥٨» من طريق محمد بن يحيى بن ميمون، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء بإسناد ابن حبان، ومحمد بن يحيى بن ميمون مجهول، لكنه متابع عند ابن حبان، ولم تقع للشيخ الألباني هذه المتابعة، فضعف المسند في «صحيحه» «٧٤٢» لجهالة محمد بن يحيى، وقواه بمرسل الحسن البصري. وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٠٨/١٠ مرسلاً عن الحسن، ومسنداً عن أبي هريرة، وقال: رواهما البزار «٣٢٣٢» و«٣٢٣٣» عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون، ولم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال الصحيح، وكذلك رجال المسند غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث. وانظر صحيح ابن حبان (٢/ ٤٠٦).

١) قال المناوي في فيض القدير (٣/ ٢٤) معلقا على قوله ﷺ (فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته) من شماله (فجعلها في يمينه) ليكون ممن أوتي كتابه بيمينه فإن أعظم الأهوال في القيامة في ثلاثة مواطن عند تطاير الصحف وعند الميزان وعند الصراط بدليل حديث لا يذكر أحد أحدا في هذه المواطن فإذا وقعت الصحيفة في يمينه أمن وظهرت سعادته لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ الآية وسيجيء في خبر إن الله تعالى يقول: لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين فمن أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة فمن قاسى خوفه في الدنيا أوجب له الأمن يوم القيامة فإذا جاءه الهول عند نظائر الكتب جاءه الخوف فنفعه بأن جعل صحيفته في يمينه. انتهى

٢) ذكره الحكيم(٣/ ٨٤) وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان(١/ ٤٧٠ح ٧٤٤) والديلمى (٢/ ٢٧٠ح ٣٢٥٨) عن ابن مسعود قال العجلوني في كشف الخفاء ت هنداوي(٤٨٢/١) رواه البيهقي في الدلائل والعسكري في الأمثال والديلمي عن عقبة بن عامر قال: خرجنا في غزوة تبوك فذكر حديثاً طويلًا فيه قول النبي ﷺ: أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير زاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، والخمر جماع الإثم، ورواه العسكري أيضا فقط من حديث عمرو بن ثابت عن أبيه قال: أعطى ابن أبي الدرداء عبد الملك بن مروان كتابًا ذكر أنه عن أبيه أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: إن أشرف الحديث كتاب الله، فذكر حديثا وفيه: رأس الحكمة مخافة الله، والخمر جوامع الإثم، وأخرج ابن لال عن أبي مسعود مرفوعًا الجملة الأخيرة فقط، ورواه القضاعي في مسنده عن زيد بن خالد الجهني، قال: تلقفت هذه الخطبة من في رسول الله ﷺ فذكرها، وفيه: الخمر جماع الإثم، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، ورواه البيهقي في شعبه عن ابن عباس موقوفا وضعفه بلفظ: كان يقول في خطبته: خير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وللطبراني والقضاعي عن أنس رفعه: خشية الله رأس كل حكمة، والورع سيد العمل، وعند أحمد في الزهد عن خالد بن ثابت الزمعي قال: وجدت فاتحة زبور داود أن رأس الحكمة خشية الرب. وقال الحافظ العراقي تخريج أحاديث الإحياء (ص: ١٥١٠) رَوَاهُ أَبُو بكر بن بِلَال الْفَقِيه فِي مَكَارِم الْأَخْلَاق، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب، وَضَعفه من حَدِيث ابْن مَسْعُودرضي الله عنه، وَرَوَاهُ فِي دَلَائِل النُّبُوَّة من حَدِيث عقبَة بن عَامر وَلَا يَصح أَيْضا.

أي لأنها تمنع النفس عن المخالفات، وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: «كُلُّ قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ خَوْفُ اللَّهِ فَهُوَ خَرَابٌ».[1] . قَالَ الفضيل ابن عياض رحمه الله: «مَنْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى دَلَّهُ الْخَوْفُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ»[2] .

وإجمالا فالتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله لا تنحصر.

وكل ذلك ثناء على الخوف بل كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية إذ البكاء ثمرتها: قَالَ ﷺ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ، وذكر منهم (رَجُلاً ذَكَرَ اللَّهَ خَاليا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)»[3].. متفق عليه .

وقال ﷺ« لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مِنْخَرَيْ مسلم أبداً »[4]. رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

- ما يورث الخوف:

الخوف من الله تعالى على مقامين: الخوف منه، والخوف من عذابه.

والأول: خوف العلماء وأرباب القلوب السليمة والبصائر النافذة، العارفين من صفاته تعالى ما يوجب الهيبة، العالمين بسر قوله تعالى :

---

١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٩).

٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٣٧).

٣) رواه البخاري ٢ / ١١٩ - ١٢٤ في الجماعة باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، وفي الزكاة، باب الصدقة باليمين، وفي الرقاق، باب البكاء من خشية الله، وفي المحاربين، باب فضل ترك الفواحش، ومسلم رقم (١٠٣١) في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، والموطأ ٢ / ٩٥٢ و ٩٥٣ في الشعر، باب ما جاء في المتحابين في الله، والترمذي رقم (٢٣٩٢) في الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، والنسائي ٨ / ٢٢٢ و ٢٢٣ في القضاة، باب الإمام العادل.

٤) أخرجه أحمد (٥٠٥/٢ح ١٠٥٦٧)، وهناد (٢٦٨/١ح ٤٦٥)، والترمذي (١٧١/٤،ح١٦٣٣) وقال: حسن صحيح. والنسائي(١٢/٦ح ٣١٠٨)والحاكم (٢٨٨/٤ح ٧٦٦٧)وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى في الشعب (٤٩٠/١، رقم ٨٠٠) .

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾[آل عمران: ٢٨]) و قوله تعالى (﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة:٤٠])

والثاني : خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما داري جزاء على الطاعة والمعصية، وضعفه بسبب الغفلة وضعف الإيمان، وتزول تلك الغفلة بالتذكير وملازمة الفكر في أهوال القيامة، وعذابها ومشاهدة أحوال الخائفين، ومن ثم غلب الخوف على الأنبياء والرسل والعلماء والأولياء، وغلب أمن المكر على الظلمة والجهلة والعوام، حتى كأنهم حوسبوا وفرغ منهم، فلم يخشوا سطوة العقاب، ولا نار العذاب، ولا بعد الحجاب:﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[الحشر:١٩])

فهذا رسول الله ﷺ مع كونه سيد الأولين والآخرين كان أشد الناس خوفاً ففي الحديث الصحيح:« أنا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»[١]. ويجب على كل مؤمن أن يخاف الله، وإن عمل من الطاعات ما عمل، فإنه تعالى لا يجب عليه لأحد من خلقه شيء مع قدرته على هلاك العالم أجمع: (﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾ [المائدة: ١٧]. وكيف لا يخاف المؤمنون ورسول الله ﷺ يقول:« شَيَّبَتْنِي هُودٌ وأَخَوَاتُهَا ،الْحَاقَّةُ، وَالْوَاقِعَةُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ والغاشية ».[٢] روي من عدة طرق بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى.

---

١)سبق تخريجه قريبا .

٢) أخرجه الترمذي (٥/٤٠٢ح ٣٢٩٧) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢/٣٧٤، رقم ٣٣١٤) وقال: صحيح على شرط البخاري. وابن أبى شيبة (٦/١٥٢ح٣٠٢٦٨).من حديث ابن عباس، وأخرجه الحاكم (٢/٥١٨ح ٣٧٧٧) وقال: صحيح على شرط البخاري. من حديث أبى بكر، وأخرجه الطبرانى (١٧/٢٨٦ح ٧٩٠) قال الهيثمي (٧/٣٧) رجاله رجال الصحيح. من حديث عقبة بن عامر، وأخرجه أبو يعلى (٢/١٨٤ح ٨٨٠) والطبراني (٢٢/١٢٣ح ٣١٨) من حديث أبى جحيفة .

قال العلماء لعل ذلك لما فيهن من التخويف العظيم والوعيد الشديد باشتمالهن على ذكر أحوال الآخرة وعجائبها وفظائعها وأحوال الهالكين والمعذبين، مع ما اشتملت عليه هود من الأمر بالاستقامة كما أمر، وهو أصعب المقامات التي لا يتأهل لها إلا هو ﷺ، وهو كمقام الشكر إذ هو صرف العبد في كل لحظة ونفس جميع ما أنعم الله به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة، إلى ما خلق لأجله من عبادة ربه وطاعته بما يناسب كل جارحة من جوارحه على الوجه الأكمل .

ولذا لما قيل له ﷺ: عن مجاهدته لنفسه وكثرة بكائه وخوفه وتضرعه: «أَتَفْعَلُ هَذَا يا رسول الله وَقَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ:«أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟»[1] .

والقرآن كله مخاوف . فقد قال عز وجل في مقام الشدة :

(١) ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]

إذ شرط في المبالغة في غفرانه أموراً أربعة : قد يعجز العبد عن أحدها .

(أ) التوبة.

(ب) والإيمان الكامل المراد في نحو قوله ﷺ:« لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ». متفق عليه من حديث أَنَس.

(ج) والعمل الصالح.

(د) ثم سلوك سبيل المهتدين، من مراقبة الله وإدامة الذكر والفكر والإقبال عليه تعالى، بقاله وحاله ودعائه وإخلاصه .

---

١)رواه البخاري ٣ / ١٢ في التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل، وفي تفسير سورة الفتح، وفي الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، ومسلم رقم (٢٨١٩) في صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والترمذي رقم (٤١٢) في الصلاة، باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، والنسائي ٣ / ٢١٩ في قيام الليل، باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل.

(٢) ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص: ٦٧]. فقد نبهك تعالى إلى أنك إن تبت توبة نصوحاً وآمنت إيماناً كاملاً، وعملت عملاً صالحاً كنت على رجاء أن تكون من المفلحين، ولا تغتر بما قيل من أن عسى من الله واجبة الوقوع فإنه أكثري لا كلي[1]، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]) وفرعون – لعنه الله– لم يتذكر ولم يحسن تذكر أو خشية نافعين، وإياك أن تأمن مكر الله وإن وصلت إلى أعلى مقام فإنه: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

(٣) ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١– ٧٢]

قضى رضي الله عنهم بأنه لابد من ورود النار لكل أحد، ثم ينجي الذين

---

١) كُلُّ عَسَى فِي الْقُرْآنِ لِلتَّحْقِيقِ، يَعْنُونَ بِهِ واجبة الْوُقُوعِ إِلَّا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا ﴾، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ: وَ«عَسَى» مِنَ اللَّهِ حَقٌّ. انظر البحر المحيط (٢/ ٣٨٠) تفسير ابن فورك (١/ ٣٦٥) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢١) تفسير الطبري ٦/ ٣٣٥.» وفي تفسير ابن عرفة (ص: ٢٧٦) قال أبو حيان: وكل عسى في القرآن للتحقيق يعنون به الوقوع إلا قوله عز وجل ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ قال ابن عرفة: بل هي أيضا للتّحقيق لما تقدم من أنّ القضية الشرطية تقتضي صحّة ملزومية الجزاء للشرط ولا تقتضي الثبوت والوقوع، والقضية الحملية تقتضي الثبوت والوقوع أو بفهم الوقوع في (الآية) باعتبار(المتكلم) بهذا الشرط والرجاء واقع من الله تعالى». قال السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٦٢٥) وقال ابن الأنباري: عسى في القرآن واجبة إلا في موضعين: أحدهما: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ – يعني يا بني النضير. فما رحمهم الله، بل قاتلهُم رسولُ الله – ﷺ–، وأوقع عليهم العقوبة. والثاني: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾. فلم يقع التبديل. وأبطل بعضهم الاستثناء، وعمم القاعدة، لأَنَّ الرحمة كانت مشروطة بألَّا يعودوا كما قال: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾. وقد عادُوا فوجب عليهم العذاب، والتبديل مشروط بأن يطلّق ولم يطلق. فلا يجب. قال الشيخ محمد عبد المنعم القيعي :» قيل: كل «عسى» في القرآن واجبة الوقوع. ولها جانبان: ما يتعلق بالله، وسبيله القطع، وما يتعلق بالعباد، وسبيله الظن، من أجل ذلك هي من الله للقطع، ومن العباد للرجاء حتى لا يفارقهم الخوف.» انظر الأصلان في علوم القرآن (ص: ٢٧٤).

اتقوا - الشرك والمعاصي- ويترك فيها الكفار والعصاة، وذلك وعيد شديد.

(٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ [الحج: ١- ٢].

فخوفه تعالى هو الذي أذهب عقولهم، وطير تمييزهم، وصيرهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله، ولا نجاة من هذا الإفزاع و الهول إلا بالتقوى.

(٥) ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣]

فانظر بعين بصيرتك ونور سريرتك، إلى أنه تعالى قد حكم على كل إنسان بالخسران إلا من جمع أموراً أربعة : الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق، بالتلبس بما دل عليه الكتاب والسنة من الأخلاق والأحكام والشروط، في سائر الأقوال والأفعال والأحوال الظاهرة والباطنة مع الإخلاص، والتواصي بالصبر على الطاعات وعن المعاصي ومشاق ذلك، ليكون على رجاء السلامة .

و الأحاديث في ذلك كثيرة أيضاً منها :

(١) في الصحيحين: «قَام رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْـزِلَ عليه: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤) فقال يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسَ عم رسول الله، لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، سَلِينِي من مالي

مَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[1].

(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: " يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَوْلُ اللهِ عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٠] يا رسول الله ﷺ هُوَ الَّذِي يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَهُوَ يَخَافُ اللهَ عز وجل قَالَ: «لَا»، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ»[2]. رواه الإمام أحمد والترمذي والبيهقي وغيرهم .

ففيه دليل على أن الخوف يكون مع الطاعة .

ومن الآثار ما ورد :

(١) عن ابْنُ السِّمَاكِ «أنه كَانَ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ لَهَا: تَقُولِينَ قَوْلَ الزَّاهِدِينَ وَتَعْمَلِينَ عَمَلَ الْمُنَافِقِينَ، وَمع ذَلِكَ الْجَنَّةَ تَطْلُبِينَ أَنْ تَدْخُلِيهَا، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ.. لِلْجَنَّةِ قَوْمٌ آخَرُونَ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ غَيْرُ مَا نَحْنُ عَامِلُونَ»[3].

(٢) وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَوْ نُودِيَ لِيَدْخُلَ الْجَنَّةَ كُلُّ النَّاسِ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا

---

١) البخاري ٨/ ٣٨٦ في تفسير سورة الشعراء، باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، وفي الوصايا، باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب، وفي الأنبياء، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، ومسلم رقم (٢٠٦) في الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ، والترمذي رقم (٣١٨٤) في التفسير، باب ومن سورة الشعراء، والنسائي ٦ / ٢٤٨ في الوصايا، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين.

٢) (يأتون قراءة لها) وقد كانت في صلب المكتوب فنقلناها لئلا تختلط بالآية الكريمة «الترمذي» رقم (٣١٧٤) في التفسير، باب ومن سورة المؤمنين، وفي سنده انقطاع، فإن عبد الرحمن بن وهب الهمداني - الراوي عن عائشة رضي الله عنها لم يدركها، لكن له شاهد يتقوى به من حديث أبي هريرة عند ابن جرير ١٨ / ٢٦، وقد صححه الحاكم ٢ / ٣٩٤ ووافقه الذهبي. قال ابن كثير في معنى الآية: يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط العطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط. وأخرجه الحميدي (٢٧٥) و«أحمد» (١٥٩/٦) وفي (٢٠٥/٦) و«ابن ماجة» (٤١٩٨).

٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٨).

لَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ»[1].

(٣) وكان سهل التستري رضي الله عنه يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وحركة، وهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠])[2].

(٤) ولما احتضر سفيان رضي الله عنه جعل يبكي ويجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي، لو علمت أني أموت على التوحيد، لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا[3].

أحوال الأنبياء و الملائكة في الخوف

إن الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، مع مكانتهم عند الله تعالى، كان خوفهم أشد وبكاؤهم أكثر، ففي الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي النبي ﷺ: «اقْرأْ علي القرآنَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عليكَ، وَعليكَ أُنْزِلَ قَالَ: « إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » فَقَرَأْتُ عليه سورة النِّسَاءَ، حَتَّى جِئْتُ إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤلاَءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ: حَسْبُكَ الآنَ، فَالْتَفَتُّ إليهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»[4].

---

١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٩).

٢) وفي قوت القلوب (١/ ٣٨٧) وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة، وكل خطرة وهمة، يخافون البعد من الله تعالى، وهم الذين مدحهم الله تبارك وتعالى (وقلوبهم وجلة) وقال لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من السيئات. وانظر إحياء علوم الدين (٤/ ١٧٢).

٣) الأثرين في قوت القلوب (١/ ٣٨٧) إحياء علوم الدين (٤/ ١٧٢).

٤) البخاري ٩ / ٨٥ في فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، وباب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، وباب قول المقرئ للقارئ: حسبك، ومسلم رقم (٨٠٠) في صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن، والترمذي رقم (٣٠٢٧) و (٣٠٢٨) في تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، وأبو داود رقم (٣٦٦٨) في العلم، باب في القصص.

وبكاؤه ﷺ على المفرطين، أو لعظم ما تضمنته الآية من هول المطلع وشدة الأمر . وروى أبو داود و الترمذي بإسناد صحيح :عَن عبيد الله بن الشخير رضي الله عنه، قَالَ: «أتيت رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، ولجوفه أزيز كأزيز المِرجل من البُكاء»[1] أي فوران وغليان كغليان القدر على النار.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن عز وجل إذا قام إلى الصلاة من مسيرة ميل خوفاً من ربه[2] رواه ابن أبي الدنيا.

وروى الإمام أحمد رحمه الله أن دَاوُدَ عز وجل«مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ(بعد خطيئته) حَيَاءً مِنْ اللَّهِعز وجل»[3] وقال المسيح عليه السلام لمعاشر الحواريين :« خَشْيَةُ الله وحُبُّ الْفِرْدَوْسِ يُورِثَانِ الصَّبْرَ عَلَى الْمَشَقَّةِ، وَيُبَاعِدَانِ عِنْ الدُّنْيَا»[4]«بِحَقٍّ أَقُولُ: إِنَّ أَكْلَ الشعير، وَالنَّوْمَ عَلَى الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ فِي طلب الْفِرْدَوْسَ قليل»[5]. رواه أبو نعيم و غيره .

وعَن أَنَسَ رضي الله عنه أَنَّهُ ﷺ:«سَأَلَ جِبْرِيلَ: مَا لِي لَا أَرَى مِيكَائِيلَ يَضْحَكُ؟ فقَالَ جِبْرِيلُ: مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ»[6]. رواه

---

١) رواه أبو داود رقم (٩٠٤) في الصلاة، باب البكاء في الصلاة، والنسائي ٣ / ١٣ في السهو، باب البكاء في الصلاة، ورواه أيضاً أحمد في « المسند « ٤ / ٢٥ و ٢٦، وهو حديث صحيح.

٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨١).

٣)تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/٨٤٤) والزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/١٦٣) (٤٧٥) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٢)

٤) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٢/ ٤٦) حلية الأولياء (٨/ ١٤٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٣).

٥) صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني(١/ ٦١) (٣٧) والمجالسة وجواهر العلم (٢/ ٣٩٨) (٥٧٧) والزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٥١) (٣٢٦) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٣).

٦) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٢٦٩) ذكر النار لعبد الغني المقدسي (ص: ١٠٨) (١٠٧) صفة النار (ص: ١٣٥) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨٥) رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنِ الْمَدَنِيِّينَ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِه ثِقَاتٌ. وقال في تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ٨٢) رواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت

الإمام أحمد بإسناد جيد .

وروى ابن أبي الدنيا: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً لَمْ يَضْحَكْ أَحَدُ منهُمْ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ، مَخَافَةَ أَنْ يَغْضَبَ الله عليهِمْ فَيُعَذِّبَهُمْ بها»[1].

فهذا خوف الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة و السلام تأمل فيه لتعتبر به.

أحوال الصحابة و التابعين و السلف الصالح في شدة الخوف:

علمت أن الحامل على خوف الله هو العلم به، لذلك غلب الخوف على علماء الصحابة ومن بعدهم، حتى كان بعضهم يضعف، وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشياً عليه، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩] . فهؤلاء أهل الكتاب سقطوا على الأرض سجداً وبكياً من شدة الخشية ولشدة الخوف، قال أبو بكررضي الله عنه يوماً لطائر :«ليتني مثلك

عن أنس بإسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلا وورد ذلك أيضا في حق إسرافيل. رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين،،وقال الهيثمي سنده جيد انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (ص: ١٥٦) قال العلامة شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد ط الرسالة (٢١/ ٥٥) إسناده ضعيف لجهالة حميد بن عبيد مولى بني المعلَّى، وابن عياش-وهو إسماعيل الحمصي- في روايته عن غير أهل بلده مخلط، وعمارة بن غزية ليس من أهل بلده، إنما هو مدني، وتساهل الحافظ العراقي في تخريجه على «الإحياء» ١٨١/٤ فجوَّد إسناده! والحديث في «الزهد» للمصنف ص ٦٩ بهذا الإسناد. وأخرجه الآجري ص ٣٩٥، وابن عبد البر في «التمهيد» ٩/٥ من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع، به. وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة»(٣٨٤)من طريق عبد الوهاب ابن الضحاك بن أبان السلمي، عن إسماعيل بن عياش، به. وعبد الوهاب متروك. وروي مثل هذا الحديث في حق إسرافيل، أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩١٣) من طريق سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبى عمرو مولى المطلب، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٢٧٠) إحياء علوم الدين (٦/ ١١٤).

يا طائر، ولم أخلق بشراً»[1]، وكان رقيق القلب يكثر البكاء عند سماع القرآن فلا يملك عينيه من البكاء، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ: « لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ قيل له في الصلاة قَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقُ القلب، إذا قرأ القرآن غلبه الْبُكَاءِ، فَقَالَ: مُرُوه فَلْيُصَلِّ، وفي رواية عنها قَالَتْ قالت: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ، لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ»[2] متفق عليه .

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن، فكان يعاد أياماً، وأَخَذَ رضي الله عنه يوماً تِبنَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ: «لَيْتَنِي هَذِهِ التِّبنَةُ، ليتني لم أخلق لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا مذكورا، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي .»[3]

ولما قرأرضي الله عنه ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١] وانتهى إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠] خر مغشياً عليه [4].

---

١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٣).

٢)رواه البخاري(٢/١٣٧و١٣٨) في الجماعة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، وباب حد المريض أن يشهد الجماعة، وباب من قام إلى جنب الإمام لعلة، وباب إنما جعل الإمام ليؤتم به، وباب من أسمع الناس تكبير الإمام في الصلاة، وفي الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب، وفي الهبة، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها، وفي الجهاد، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نسب من البيوت إليهن ، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (يوسف: ٧)، وفي المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وفي الطب، باب اللدود، وفي الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، ومسلم رقم (٤١٨) في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما، والموطأ ١ / ١٧٠ و ١٧١ في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة، والترمذي رقم (٣٦٧٣) في المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه والنسائي ٢ / ٩٨ – ١٠٠ في الإمامة، باب الائتمام بالإمام يصلي قاعداً.

٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٩٨) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٧٩)(٢٣٤) تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ٩٢٠) المتمنين لابن أبي الدنيا (ص: ٢٦) وابن عساكر (٣١٣/٤٤) .

٤) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٤).

ومر يوماً بدار إنسان، وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع، فلما بلغ قوله تعالى (﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور: ٧-٨]) نزل عن حماره واستند إلى حائط، ومكث زماناً ورجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس وما يدرون ما مرضه»[١].

وقال عثمان رضي الله عنه«وَدِدْت أَنِّي إِذَا مِتّ لَمْ أُبْعَثْ»[٢]: وقال ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: « ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه»[٣] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه«لَيْتَنِي إِذَا مِتُّ لَمْ أُبْعَثْ»،[٤] ولم يرد به حقيقة التمني، بل أظهر أن له قبائح يخاف من المؤاخذة عليها بعد البعث.

وقَالَ علي بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وقد سَلَّمَ من صلاة الْفَجْرَ وقد عَلَاهِ كَآبَةً، وهُوَ يقَلَّبَ يَدَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَلَمَ أَرَ اليوْمَ شَيْئًا يُشْبِهُهُمْ، لَقَد كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا صُفْرًا غُبْرًا، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَأَمْثَالِ رُكَبِ

---

١) مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٦٠٧) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٤١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣٠٨) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ٣٩٧) مناقب عمر لابن الجوزي: ص ٨٨،الرقة والبكاء، عبد الله بن أحمد المقدسي ص١٦٦) . وفي فضائل القرآن لابن سلام (ص: ١٣٦) (١٤١) عن الحسن ، قال : « قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع قال : فربا منها ربوة عيد منها عشرين يوما » وفي الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص:٩٣) (١٠٠) عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور:٧-٨] ، فَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى اشْتَدَّ بُكَاؤُهُ. ثُمَّ خَرَّ يَضْطَرِبُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:«دَعُونِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ قَسَمَ حَقٍّ مِنْ رَبِّي».

٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٣).

٣) حلية الأولياء(١/ ٥٦) صفة الصفوة (١/ ١١٥) نزهة المجالس ومنتخب النفائس(٢/ ١٥٦) الزواجر (١/ ٣٠).

٤) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٣/١٥٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٥) الزهد لأحمد بن حنبل (١/ ٢٨٩) (٨٥٤) المتمنين لابن أبي الدنيا (ص: ٣٠) (٢٠) الزهد للإمام وكيع الجراح رقم (١٦٢).

الْمَعْزِ، قَدْ بَاتُوا لِلَّهِ سُجَّدًا وَقِيَامًا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ عز وجل، يراوحون بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ، فَإِذَا أَصْبَحُوا وَذَكَرُوا الله عز وجل؛ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيحِ، وَهَمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ بالدموع حَتَّى تُبَلَّ ثِيَابُهُمْ، وَاللَّهِ! كَأَنِّي بِالْقَوْمِ بَاتُوا غَافِلِينَ. ثُمَّ قام؛ فَمَا رُئِيَ بعد ذلك ضَاحِكًا حَتَّى ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ». [1]

وقَالَ مُعَاوِيَةُ لِضِرَارِ الصُّدَائِيِّ:صِفْ لي عليا، قَالَ: أَلا تُعْفِينِي قَالَ: بل صفه قَالَ: أَلا تُعْفِينِي: قَالَ: لَا أُعْفِيكَ قَالَ: أَمَّا أنه لَا بُدَّ، فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيدَ الْمَدَى (واسع العلم)، شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَصْلًا وَيَحْكُمُ عَدْلًا، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ، وَكَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدمعَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ، وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا خشنَ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا حضر، كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ، ويأتينا إذا دعوناه، وَنحنُ وَاللَّهِ مَعَ تَقَرُّبِهِ لَنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، ولَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ، وَلَا يَيْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ، وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُتُورَهُ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ، وقد تمثل فِي مِحْرَابِهِ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، (اللديغ سمي بذلك تفاؤلاً) وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ،فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ يَقُولُ: يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا - يَتَضَرَّعُ إليهِ - ثُمَّ يَقُولُ يا دُنْيَا: يا دُنْيَا: إلي تَعَرَّضتِ، أم بَيَّ تَشَوَّفْتِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي، قَدْ بَتَتُّكِ ثَلَاثًا لا لي فيك، فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ،وعيشك حقير، وَخَطَرُكِ كبيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ». فَذرَفَتْ عُيون مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ فمَا ملكهَا، وَهو يُنَشِّفُهَا بِكُمِّهِ وَقَدِ

---

١) المجالسة وجواهر العلم (٤/٣١١)(١٤٦٦) قال إسناده هالك الرقة والبكاء لابن قدامة (ص: ٥١) مقتل على لابن أبي الدنيا (ص:٢٥) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ص: ٣٨٦) حلية الأولياء (١/٧٦). التبصرة لابن الجوزي (١/ ٥٠٠) صفة الصفوة (١/ ١٢٤) البداية والنهاية ط إحياء التراث (٨/ ٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٤٩٢).

اخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ، قَالَ معاوية: رَحِمَ اللّٰهُ أَبا الْحَسَنِ كَانَ واللّٰه كذلك، كَيْفَ وَحزنُكَ عليهِ يَا ضِرَارُ؟ قَالَ: «حزن مَنْ ذُبِحَ وَاحِدُهَا فِي حِجْرِهَا، لَا تَرْقَأُ عَبرتُهَا، وَلَا يَسْكُنُ حُزْنُهَا.»[1]

وكان علي بن الحسين رضي اللّٰه عنهما : إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهل بيته: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء . فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم [2].

ومر الحسن البصري رَحِمَهُ اللّٰهُ بشاب وَهُوَ مستغرق فِي ضحكه جالس مَعَ قوم، فقَالَ لَهُ الحسن: يَا فتى هل مررت بالصراط..؟ قَالَ: لا. فقَالَ: فهل تدري إِلَى الْجَنَّة تصير أم إِلَى النار؟ قَالَ: لا. قَالَ: فما هَذَا الضحك. قَالَ: فما رُؤِيَ ذَلِكَ الفتى بعدها ضاحكًا[3].

وكان عطاء السلمي من الخائفين، ولم يكن يسأل اللّٰه الجنة أبدا، إنما كان يسأل اللّٰه العفو، وقيل له فِي مرضه ألا تشتهي شيئاً فقال: «إن خوف جهنم لم يدع فِي قلبي موضعاً للشهوة»، ويقال «إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة»، وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء ، قال هذا من أجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس».[4]

وقال رجل للحسن البصري رحمه اللّٰه : يا أبا سعيد كيف أصبحت..؟ قال بخير، قال كيف حالك..؟ فتبسم الحسن، وقال تسألني عن حالي،

---

١) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ٤٣١) حلية الأولياء (١/ ٨٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ص: ٣٤٧) مقتل على لابن أبي الدنيا (ص: ٨٩)(١٠٥) صفة الصفوة (١/ ١١٩) ذخائر العقبى فِي مناقب ذوي القربى (ص: ١٠٠) الاستيعاب (٣/ ١١٠٧) الرياض النضرة فِي مناقب العشرة (٣/ ١٨٧) تاريخ دمشق (٢٤/ ٤٠١).

٢) مختصر منهاج القاصدين (٢٠/١) مختصر تاريخ دمشق(١٧/ ٢٣٦) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ص: ٦١٨).

٣) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٥)وموارد الظمآن لدروس الزمان (٢/ ٣٩٦).

٤) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٥).

ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة على أي حال يكون..؟ قال الرجل: على حال شديدة، قال الحسن: حالي أشد من حالهم[1]. نقله في القوت .

هذا شيء من مخاوف الخلفاء والأولياء والعلماء والشهداء والصالحين رضي الله عنهم، ونحن أجدر منهم بالخوف لكثرة ذنوبنا، ولكن ليس الخوف بكثرة الذنوب، بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة، فأفضى بهم صفاء قلوبهم وعلمهم بالله إلى الخشية منه .

وأفض بنا عمى قلوبنا وجهلنا بما لنا ومقامنا من الله تعالى إلى الأمن نسأل الله تعالى السلامة والتوفيق .

وَسُئِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍرضي الله عنه عَنْ الْخَشْيَةِ فَقَالَ:« هِيَ أَنْ تَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى تَحُولَ خَشْيَتُهُ بَيْنَك وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ، فَهَذِهِ هِيَ خَشْيَتُهُ»[2] .

وليس يراد بالخوف رقة النساء : فتبكي ساعة ثم تترك العمل، وإنما يراد خوف يسكن القلب حتى يمنع صاحبه عن المعاصي، ويحمله على ملازمة الطاعة، فهذا هو الخوف النافع، لا خوف الحمقى الذين إذا سمعوا ما يوجب الخوف لم يزيدوا على أن يقولوا : رب سلم نعوذ بالله وهم مع ذلك مصرون على القبائح، والشيطان يسخر بهم كما تسخر أنت بمن رأيته وقد قصده سبع ضار وهو إلى جانب حصن منيع بابه مفتوح له، فلم يفزع إليه وإنما اقتصر على (رب سلم) حتى جاءه السبع فافترسه .

---

١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٧).

٢)الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد(٢/ ٣٥) الزواجر (١/ ٣٧) صفة الصفوة (٢/ ٤٥).

في الحث على المسارعة إلى صالح العمل، والتحذير من التأخير :

لا شك أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد، والآخر بعد سنة يستعد للأول دون الثاني، فالاستعداد نتيجة لقرب الانتظار وعدمه نتيجة بعده.

فمن انتظر الموت بعد سنة اشتغل بطول المدة ونسي ما وراءها، ولم يفكر أن كل يوم يمضي نقص منها، وذلك يمنعه من المبادرة إلى العمل، فإنه أبداً يرى لنفسه متسعاً من الوقت فيؤخر العمل، وقد قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[البقرة:١٤٨]) المسابقة بمعنى المبادرة والمسارعة، أي بادروا بالأعمال الصالحة شكرا لربكم، وتزودوا في دنياكم لأخراكم، فإن الله تعالى قد بين لكم سبيل النجاة فلا عذر لكم في التفريط.

وقال تعالى :(﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣]) أي بادروا إلى ما يؤدي إليهما من أداء الواجبات وترك المنهيات، وتخصيص العرض بالذكر، للمبالغة في وضعها بالسعة إلى غاية لا يعلمها إلا الله تعالى على طريقة التمثيل .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال(بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هل تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا) شاغلا عن أمور الآخرة(أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا) لحاله (أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا) مورثاً للفند محركاً وهو ضعف الرأي والخطأ فيه (أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا) سريعاً (أَوِ الدَّجَّالُ فالدَّجَّالُ شَرُّ غائب يُنْتَظَر، أَوِ السَّاعَةُ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) الداهية الأمر الفظيع الذي لا يُهتدى إلى الخلاص منه، والقيامة في أقصى غاية من الفظاعة والمرارة. رواه الترمذي و قال حديث حسن[1] .

---

١) رواه الترمذي رقم (٢٣٠٧) في الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، وفي سنده محرز بن هارون وهو متروك، ومع ذلك فقد قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون.

- وقَالَ عَمْرو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ «اغْتَنِمْ خَمْساً قبلَ خَمْسٍ:«حَياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وفَراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وشَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»[1] رواه البيهقي والحاكم بإسناد حسن.

- وقال ابْنِ عُمَرَرضي الله عنه قَالَ:خَرَجَ علينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالشَّمْسُ عَلَى أَطْرَافِ السَّعَفِ (غصون النخل) فَقَالَ:« مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا كمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا فيما مَضَى مِنْهُ»[2] . رواه ابن أبي الدنيا و الترمذي بإسناد حسن .

وقَالَ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عِلَامةٍ

١)ذكره المؤلف رحمه الله عن ابن عمر والصواب ما أثبتناه، أخرجه الحاكم(٣٤١/٤ح ٧٨٤٦) وقال:صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي الشعب(٢٦٣/٧ح١٠٢٤٨) وقال البيهقي: هكذا وجدته في كتاب قصر الأمل وكذلك رواه غيره عن ابن أبى الدنيا، وهو غلط وإنما المعروف بهذا الإسناد ما أخبرنا ... فذكر حديث «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ... « الحديث. قال البيهقي: وأما المتن الأول «يعني حديث: اغتنم خمسًا» فعبد الله بن المبارك إنما رواه في كتاب الرقاق عن جعفر بن برقان... بحديث عمرو بن ميمون الأودي مرسلاً. من حديث ابن عباس، وروي من حديث عمرو بن ميمون مرسلا: أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/١، رقم ٢) ، وأبو نعيم في الحلية (١٤٨/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣/٧، رقم ١٠٢٥٠) . وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (٧٧/٧، رقم ٣٤٣١٩)، والقضاعي (٤٢٥/١، رقم ٧٢٩) . قال الحافظ في الفتح (٢٣٥/١١): أخرجه ابن المبارك في الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون. وقال المناوي (١٦/٢) : قال الزين العراقي: إسناده حسن. وعزاه العجلوني (١٦٦/١) لأحمد في الزهد والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلاً. ومن غريب الحديث: «اغتنم خمسًا قبل خمس»: بادر بفعل خمسة أشياء وسارع باغتنامها قبل حصول خمسة أشياء.

٢) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ٩٤)(١٢٠) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/ ٤٥٩) أخرجه ابن أبي الدنيا فيه بإسناد حسن والترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه. وبلفظ قريب أخرجه الحاكم (٤٨١/٢، رقم ٣٦٥٦) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: أحمد (١٣٣/٢، رقم ٦١٧٣) .

تُعْرَفُ؟ قَالَ: « نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»[1]. رواه البيهقي في الشعب والحاكم وابن الدنيا، وغيرهم من طرق عدة .

وَقَالَ عُمَرُرضي الله عنه: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي أعمال الخير لِلْآخِرَةِ»[2].

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ:«مَا مِنْكُمْ من أَحَدٌ أَصْبَحَ إِلَّا وَهُوَ ضَيْفٌ، وَمَالَهُ عَارِيَةٌ، وَالضَّيْفُ مُرْتَحِلٌ، وَالْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ إِلَى أَهْلِهَا »[3]. رواه الطبراني.

وكَانَ الْحَسَنُ رضي الله عنه يَقُولُ فِي مَوْعِظَتِهِ:«الْمُبَادَرَةُ، الْمُبَادَرَةُ، فَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْفَاسُ، لَوْ حُبِسَتِ انْقَطَعَتْ عَنْكُمْ أَعْمَالُكُمُ الَّتِي تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ عز وجل، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَظَرَ إِلى نَفْسِهِ، وَبَكَى عَلَى عدد ذُنُوبِهِ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[مريم: ٨٤](يعني الأنفاس)« آخِرُ الْعَدَدِ خُرُوجُ نَفْسِكَ، آخِرُ الْعَدَدِ فِرَاقُ أَهْلِكَ، آخِرُ الْعَدَدِ دُخُولُكَ فِي قَبْرِكَ»[4]. رواه ابن أبي الدنيا .

فرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً علم أن الدنيا ساعة فجعلها طاعة، وابتغى الرحمة حتى جاءه أجله وهو على ذلك .

***

---

١) أخرجه الحاكم (٤/٣٤٦ح ٧٨٦٣) وتعقبه الذهبي في التلخيص قائلا: عدى بن الفضل ساقط. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٥٢ح ١٠٥٥٢) . قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ٩٩)(١٣١) إتحاف المهرة (١٠/ ٣٠٨) (١٢٨١٨)

٢)مصنف ابن أبي شيبة (٧/٢٣٤)(٣٥٦١٩) الزهد لأحمد بن حنبل(١/٢٢٩)(٦٢٥)حفظ العمر لابن الجوزي (ص:٣٥)

٣) شعب الإيمان (١٣/ ١٨٨) (١٠١٦٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٣٥) رواه الطبراني والضحاك لم يدرك ابن مسعود وفيه ضعف.

٤) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٦)(١٤٦)،العاقبة في ذكر الموت (ص: ٨٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٠) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (ص: ٣٢٢)

الله تعالى صرح في القرآن الحكيم في غير موضع بأن أعمال القلب والجوارح سبب الهداية والإضلال، فأعمال البر تثمر الهدى، وأعمال الفجور بضد ذلك.

ذلك أن الله عز وجل وتعالى يحب البر، فيجازي عليه بالهدى والفلاح، ويبغض الفجور، فيجازي عليه بالضلال والشقاء.

فمن الأصل الأول قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، فإنه يفيد أن العبد إذا آمن بهذا الكتاب، وامتثل أوامره واجتنب نواهيه واهتدى به مجملاً، وصدق بأخباره كان سبباً لهداية أخرى تحصل له على التفصيل، إذ الهداية لا نهاية لها، ذلك أن الإنسان إذا آمن بالله فقد أشرقت روحه بنور هذا الإيمان، ثم إذا واظب على صالح العمل حصلت له ملكة راسخة في الإقبال على الآخرة، والإعراض عن الدنيا، وكلما كانت هذه الأحوال أكثر، كان استعداد النفس لتحصيل المعارف أشد.

ومراتب المعارف والأنوار العقلية لا نهاية لها، كذلك لا نهاية لمراتب هذه الهداية المشار إليها بقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢])، فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى.

قال تعالى: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]) وقال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥- ١٦]) فأفاد تعالى أنه يهدي بالقرآن من طلب رضاه بالإيمان به إلى طرق السلامة، ويخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والهداية بتيسيره، فالنور والكتاب هو القرآن، والصراط المستقيم هو أقرب طريق

إلى الله تعالى، والهداية إليه عين الهداية إلى سبل السلام، عطفت عليها تنزيلاً للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي[1].

وقال تعالى (﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١]) يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير، وقال تعالى :(﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]) أي إنه تعالى يهدي إليه هداية موصلة كل من أقبل إلى الحق، وتأمل ما نزل من دلائله الواضحة، وقال تعالى :(﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس:٩]) أي هداهم للإيمان، فلما آمنوا هداهم هداية أخرى أي وفقهم إلى سلوك السبيل المؤدي إلى الجنة، وإلى إدراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية، كما قيل «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[2].

وقال تعالى :(﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم:٧٦]) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال:٢٩]. أي يعطكم نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، ونصراً تتمكنون به من إقامة العدل .

ومن الأصل الثاني وهو اقتضاء الفجور والكبر والكذب للضلال قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦ - ٢٧].

فتخصيص الإضلال بهم مرتب على صفة الفسق، والقبائح بعده،

---

١) ذكره البلاغيون في الغرض من عطف الخاص على العام، وهو التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. والنكتة فيه بيان فضله وحسن موقعه عند ربه « مسائل علم المعاني في حاشية على تفسير البيضاوي رسالة دكتواره بجامعة الأزهر لمحمد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي (٢/ ٤١)

٢) تخريج أحاديث الإحياء (ص: ٨٥) أخرجه أَبُو نعيم فِي الْحِلْية من حَدِيث أنس وَضَعفه

إيذاناً بأن ذلك هو الذي أعدهم إلى الإضلال وأدى بهم إليه، فإن كفرهم وعدولهم عن الحق إلى الباطل صرفهم عن التدبر في حكمة ضرب الأمثال، إلى حقارة الممثل به، كما في الآية قبل هذه حتى عمهوا في ضلالهم وازدادت جهالتهم، فأنكروه وقالوا ما قالوا، (فالفاسقون الماردون في الكفر) .

وقال تعالى :(﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [النساء: ٨٨]) رُوي أن قوماً من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلى البدو متعللين بوباء المدينة، فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين، فاختلف فريق المسلمين في كفرهم وإسلامهم، فبين الله أمرهم وأخبر تعالى بأنه قد ردهم في الكفر كما كانوا، بسبب ما اكتسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين[1]، وأصل الركس رد الشيء مقلوباً .

وقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]) فأخبر تعالى أنه يثبت المؤمنين على ما ثبت لديهم بالحجة وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة (كلمة التوحيد) التي ذكرت صفتها قبل في قوله تعالى: (﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم:٢٤])، فلا يزالون عنها دنيا وأخرى، وأنه تعالى خلق في الكافرين الضلال عن الحق بسبب سوء اختيارهم، وإعراضهم

١) أسباب النزول للواحدي (ص: ١٦٨)، لباب النقول (ص: ٦٤). وجاء في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ٧٢) : قال الإمام البخاري رحمه الله ج٨ ص٣٥٩ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رجع ناس ممن خرج وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين: فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ وقال إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الحديد. الحديث أخرجه أيضا في التفسير ج٩ ص٣٢٥ ومسلم ج١٧ ص١٢٣ وليس عنده -إنها طيبة إلخ- والترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح ج٤ ص٨٩. وأحمد في المسند ج٥ ص١٨٤ و١٨٧ و١٨٨ وابن جرير ج٥ ص١٩٢ والطبراني في الكبير ج٥ ص١٢٩.

عن الآيات الواضحة فلم يهتدوا إلى الحق لاختيارهم الكلمة الخبيثة (كلمة الكفر) المذكورة في قوله تعالى(﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]). ثم بين تعالى أن الهداية والإضلال بيده وتحت مشيئته التابعة لحكمته البالغة، ويفعل الله ما يشاء، وغير ذلك كثير مثل قوله تعالى :

(١) ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨] بين تعالى أنه أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم .

(٢) ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠])

بين سبحانه وتعالى أنه قلب أفئدتهم وأبصارهم عن إدراك الحق فلا يبصرونه ولا يفقهونه، وبين أنه تركهم متحيرين في ضلالهم بسبب اختيارهم لذلك.

(٣) ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].

أفاد تعالى أنهم لما أصروا على الزيغ عن الحق صرف الله قلوبهم عن قبوله .

(٤) ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

بين بذلك أن كسبهم الضلال غطى على قلوبهم، فحال بينها وبين الإيمان وقال تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[الحشر:١٩]: فجازاهم على نسيانهم له، بأن أنساهم أنفسهم، فلم يطلبوا كمالها بالعلم والعمل .

(٥) ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٦، ١٧].

كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يعونه

ولا يراعونه حق رعايته، تهاوناً منهم، حتى إذا خرجوا من عنده قالوا لعلماء الصحابة رضي الله عنهم ما الذي قال الساعة...؟[1] استهزاءاً في صورة الاستعلام والاستفادة، شأن الخبيث المنافق يستمع ولا ينتفع. ويستعيد و لا يستفيد .

فأخبر عز وجل أنه طبع على قلوبهم، لأنهم لم يتوجهوا نحو الخير أصلاً، واتبعوا أهواءهم الباطلة، وبين أنه تعالى زاد الذين اهتدوا إلى طريق الحق هداية بالتوفيق والإلهام، وأعانهم على تقواهم، فإن المؤمن المهتدي يستمع فيفهم ويعمل بما يعلم.

وعلى الجملة فإن من تدبر آيات الهداية والإضلال يعلم أن الله تعالى إنما يهدي من هو مستعد للهداية بسبب إنابته إلى ربه، وأخذه في سبيل تعرف الحق واستعماله مواهبه فيما خلقت له، وأن من تكبر عن معرفه الحق، وأعرض عن كتاب الله وهدي رسوله واتبع هواه، جدير بأن يطمس الله على قلبه ويصرفه عن آياته، تلك هي سنة الله عز وجل في خلقه المبنية على غاية الحكمة ونهاية العدل .

***

1) تفسير الطبري ت شاكر (٢٢/ ١٦٩)

خاتمه في النثر و السجع و الشعر :

لما كانت مهمة الواعظ إرشاد موعوظه بما يبين له من المعاني، التي تحمله على السير في طريق الهدى والرشاد، سواء أدى تلك المعاني في قالب نثري أو سجعي أو شعري، كان من الحسن أن نذكر كلمة موجزة عن النثر و السجع والشعر .

أولاً : النثر

النثر: هو من الكلام ما خلا عن الوزن والتقفية.

والذي عرف من تتبع كلام الوعاظ والمرشدين في القرون الأولى، أنهم كانوا يعظون بكلام منثور، لما أنه في الغالب أدعى إلى عدم التكلف والتزام طريقة واحدة، وإطلاق الكلام فيه من قيود الوزن والتقفية، فإن الواعظ إذا تكلف أو التزم طريقة واحدة في وعظه مجته الأسماع، وثقل على النفوس ما يقول فلا يفيد وعظه ولا يؤثر إرشاده . ومن غير الغالب قد يتوخى السجع أو الشعر[1]

---

١) يقول الميداني رحمه الله «إنّ التَّنَقُّل مثلاً في النَّثْر من المتوازنات القصيرة، إلى المتوازنات الطويلة، إلى المتفاوتات الرشيقة ضمن نسق معجب جميل أَحبُّ إلى النّفوس الحضاريّة الذوّاقة للجمال من الثبات على وتيرة واحدة منها.. ثم إذا استطاع الأديب أنْ يُلاَئِمَ بين المضامين الفكرية وبين الأسلوب الذي اختاره كان ذلك أكثر إعجاباً وإبداعاً.. وكذلك التَّنَقُّل من الخبر، إلى التساؤل، إلى الجواب، إلى التمنِّي فإلى الخبر، فإلى الحوار والمناقشة، فإلى الْجَدَلِ، فالْحَماسة، فالمنطقيّة العقليّة، فالعاطفة، فالحديثِ الهادئ ، إلى غير ذلك من ألوان وفنون بيانيّة، مع شرط الملاءمة، وعدم التنافر الجمالي .، ومع التنقّل ينبغي للأديب أنْ يكون قادراً على الإحساس بالتحوّلات النّفسيّة لدى من يُوَجِّهُ له كلامه، ليختار من أساليب القول ما يلائم الحالة النّفسيّة التي وصل إليها. إنّ هذه القدرة على هذا الإحساس، مع القدرة على التكيُّف السريع والانتقال إلى الأسلوب الأدبيّ الجديد الملائم، هي الوسيلة البارعة الموصلة إلى امتلاك الألباب والقلوب والنّفوس بأدب رفيع.ومهما كان الأديب أقدر على هذا التكيُّف، مع اختيار اللّون الأدبيّ الملائم، وأقدر على استخدام مختلف الأساليب في كلامه، والتَّنَقُّل البارع بينها من غير تكلُّف ولا قفزات منفّرات، كان أكثر أدباً، وأرفع أسلوباً، وأقدر على امتلاك من يُوَجِّه له كلامه.» يراجع البلاغة العربية (١/ ٧٢)

ولنا في هذا بكتاب الله العظيم أسوةٌ رائعة، فمن خصائص الإعجاز القرآني التنويع البديع الرائع

ثانياً : السجع :[1]

هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد.

فهو نوع من النثر وذلك مثل ما جاء في قوله تعالى :

١- ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣- ١٤]

٢- ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣-١٤]

وهو نوعان: حسن وقبيح، فالحسن ما وجد فيه :

في الأساليب، مع ملاءمة كلّ نوع من أنواع الأساليب للمضمون الفكري الذي يُرَادُ بيانه في النَّظْم القرآني المنزَّل.

١) البلاغة العربية (٢/ ٥٠٩) درجات السّجع في الْحُسْن: رتّب علماء البديع السَّجع من جهة الْحُسْن في ثلاث دَرجات: الدرجة الأولى «العليا»: مَا تَسَاوَتْ سَجْعاته، مثل قول الله عز وجل في سورة (الواقعة) : ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الآيات:٢٧ /٣٠].مَخْضُود: أي: منزوع الشوك... وَطَلْح منْضود: الطَّلْحُ: الموز. منضود: أي: مضموم بعضه إلى بعض بتناسُق. الدرجة الثانية «الوسطى»: مَا طَالَتْ سجْعتُهُ الثانية، أو الثالثة، مثل ما يلي: (١) قول الله عز وجل في سورة (النجم) : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [الآيات:١ : ٢] السجعة الثانية هنا أطول من الأولى. (٢) وقول الله عز وجل في سورة (الحاقة) بشأن من أوتي كتابه بشماله يوم الدّين: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الآيات: ٣٠ – ٣١] . السجعة الثالثة هنا هي الأطول.أقول: هذه الدرجة الثانية قد تكون في موقعها الملائم مثل الدرجة الأولى في الْحُسْن، وطولُ السجعة الثانية أو الثالثة قد يزيد السَّجْعَ حُسْناً، لأنَّه يُخْرجه عن النّمطيَّة المتناظرة، فيكونُ أكثر تنبيهاً وإثارةً لنفس الأديب الذّواق للجمال، وكتابُ الله مُتَشابه في الْحُسْن. الدّرجة الثالثة: مَا كانت سجعته الثانية أقصر من الأولى قصراً كثيراً، يُحسّ معه الذوق الجمالي عند الأديب بأنه كالشيء المبتور الذي قُطع قَبْل أن يسْتكْمل مَا كان ينبغي له. أقول: الْمُحَكَّمُ في كلّ ذلك الحسُّ الجمالي لدى ذوّاقي الجمال في الكلام، لا التساوي في الفقرات المقترنات، ولا طول بعضها وقصر بعضها. على أنّ المعاني ينبغي أن تكون صاحبة الحظّ الأوفر من الاعتبار، وما تستدعيه المعاني من تساوٍ في الفقرات أو تفاضل فهو الذي يَحْسُن أن يُصَار إليه دواماً، والقيود من وراء ذلك قيودٌ شكليّة لا لُزُوم لها. أخيراً: قد يلجأ البليغ إلى بعض تَصَرُّف في الكلمة على خلاف قاعدتها في اللّسان العربي مراعاةً للسَّجْع المتناظر، ومنه ما جاء في قول الرسول ﷺ للَّوَاتي كُنَّ يَخْرُجْنَ إلى المقابرِ للنُّواح على الموتى: «ارْجِعْنَ مَأْزُورَات غَيْرَ مَأْجُورات». أصل «مأزورات» أن يقال فيها «مَوْزورات» فحصل التصرف في الحرف الثاني، لِتُنَاظِرَ الكلمةُ السَّجعةَ الثانية «مَأْجُورَات».

١- البعد عن التكلف .

٢- تغاير معنى السجعات .

٣- خفة ألفاظه على السمع، وذلك كما تقدم في الآيات .

وكقول الزمخشري رحمه الله :

أرضى الناس بالخسار بائع الدين بالدينار .

قد جمع الأصل والفرع من اتبع العقل والشرع

إن صح السر صح العلن وإن لم يصح فلم ولن

والقبيح ما خلا عن هذه الأمور .

والأول ممدوح والثاني مذموم، وعلى ذلك يحمل قول السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها قالت لكاتب[١] «إِيَّاكَ وَالسَّجْعَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كانوا لَا يَسْجَعُونَ » [٢] رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما بإسناد صحيح .

فيحمل النهي فيه على السجع المذموم فحسب.

ومن أمثلته ما روي أنه « قَالَ حَمَلُ بْنُ النَّابِغَةِ الْهُذَلِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

١) في تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ١٣) قالت أم المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك لِابْنِ أَبِي السَّائِبِ قَاصِّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ

٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٤٤٨) (٤٤٧٥) قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٧) رواه أحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتابيهما الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح.

ولابن حبان: واجتنب السجع، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس، ثم السجع المذموم هو المتكلف كالصادر من نحو الكهان، وأما ما كان بمقتضى الطبع فلا منع منه، بل هو وارد عنه ﷺ في أدعية نحو: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع». رواه أبو داود والترمذي عن ابن عمر بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

ﷺ:« إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ، مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ. »[1]. هذا لفظ مسلم .

وإنك لا تشك في خفة السجعات في الآيات المتقدمة، ولا تسمع كلام ابن النابغة الهذلي حتى تحس بثقل في السجع وغضاضة في فواصله، فإنهم عدوه من التصنع المرذول :وهو ما زاد من السجع على كلمتين .

ولا بأس من أن يصوغ الواعظ عظته في قالب سجعي، مع مراعاة ما يلبس سجعه الثوب الحسن .

ثالثاً: الشعر :

هو الكلام الموزون المقفى :

ومنه المذموم والممدوح يرشد إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧].

وما ذَمُّ الشعراء ومدحهم إلا من حيث شعرهم وما حوى.

فالمذموم منه: ما حوى لغواً أو باطلاً أو خالف ظاهراً للمبالغة في شيء

---

١) رواه البخاري ١٢ / ٢١٨ في الديات، باب جنين المرأة، وفي الطب، باب الكهانة، وفي الفرائض، باب ميراث المرأة والزوج مع الولد وغيره، ومسلم رقم (١٦٨١) في القسامة، باب دية الجنين، والموطأ ٢ / ٨٥٥ في العقول، باب عقل الجنين، والترمذي رقم (١٤١٠) في الديات، باب في دية الجنين، وأبو داود رقم (٤٥٧٦) و (٤٥٧٧) في الديات، باب دية الجنين، والنسائي ٨ / ٤٧ و ٤٨ في القسامة، باب دية جنين المرأة. قال ابن الأثير في جامع الأصول (٤/ ٤٣١) (إخوان الكهان) : إنما قال له من إخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع، فإنه لم يعبه بمجرد السجع دون ما تضمنه سجعه من الباطل، وإنما ضرب المثل بالكهان، لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين فيستميلون بها القلوب، ويستصغون إليها الأسماع، فأما إذا وضع السجع في مواضعه من الكلام فلا ذم فيه، وقد جاء في كلام رسول الله ﷺ كثيراً؟. انتهى كلامه.

أو حرك كامن شهوة أو أثار فتنة، أو أيقظ فاسد هوى، إذ الشاعر كثيراً ما يخالف قوله فعله، فهو موطن الكذب والتمويه، لذا برأ الله منه نبيه ﷺ بقوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَمْ يُرَ مُتَدَيِّنٌ صَادِقُ اللهجة مفلقاً فِي شِعْرِهِ»[١] لذا لما أسلم جماعة من الشعراء وكانوا مفلقين ضعف شعرهم كحسان بن ثابت ولبيد، وقد فطن حسان من نفسه ذلك[٢].

١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٢)وتاج العروس (١٢/ ١٨٠) والمُفلق: الذي يأتي في شعره بالفَلَقِ وهو العَجَب، وقيل: الداهية. نقلا عن المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٢/ ٤١٥) وفي جمهرة اللغة (٢/ ٩٦٥) وافتلق الرجلُ وأفلَق، إذا عمل عملا فأجاد فِيهِ وجوّد أَيْضا. وَمِنْه قَوْلهم: شَاعِر مُفْلق. وفي الزاهر للأنباري (٢/ ٣٨) قال أبو بكر: معناه: يأتي بالعجب من حذقه. يقال: قد أفلق: إذا جاء بالعجب. ويقال: معنى قولهم: مفلق: يجيء بالدواهي. أخِذَ من: الفَليقة، والفَليقة عندهم: الداهية.

٢) والراجح أن يكون هذا الحكم نسبياً لا يجوز القول به على إطلاقه، إذ تاريخ الشعر العربي شاهد على وجود شعراء مفلقين حاذقي التدين، وقصة ضعف شعر حسان بن ثابت بعد إسلامه تحتاج لتحليل علمي دقيق، وقد أثارها العديد من النقاد أمثال الثعالبي كما في خاص الخاص(ص:١٠٢) حيث يقول :«فَلَمَّا أدْرك الْإِسْلَام وتبدل الشَّيْطَان الْملك، تراجع شعره..».. وقال التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع في كتابه «المنصف للسارق والمسروق منه» (ص: ١٢٨) إنّ الصدق غير ملتمس من الشاعر وإنما المراد منه حسن القول في المبالغة في الوصف والشعر وفي فنون الباطل واللهو أمكن منه فنون الصدق والحق. دليل ذلك شعر حسان في آل جفنة في الجاهلية فإنه كان كثير العيون والفصول، قليل الحشو والفضول، فلما صار إلى الإسلام طلب طريق الخالق واستعمال اللفظ الصادق فقل تناهيه وضعفت معانيه فهذه بلغة كافية من هذا المثال. انتهى

وللرد نقول : إنك ترى من قول الثعالبي أن السبب في ضعف شعر حسان هو غياب الشيطان وكما في قول التنيسي ان السبب في ضعفه بعده عن الباطل ، ولعمري إن هذا لمن أسباب قوته لا ضعفه ، فإن البعد عن الباطل واستهواء الشيطان نشر للقيم والفضائل ، وإنك لترى أن النقاد والأدباء جعلوا أفضل الشعر أكذبه فكيف يسيغ لنا أن نحكم من جعل الكذب مما يعلي قدر الشعر في تقييم من أراد نشر الفضائل وإعلاء القيم لأن الجهة منفكة . يقول الناقد محمد مصطفى سلام: «لقد غلبت على أساليب حسان الشعرية الصبغة الإسلامية كتوليد المعاني من عقائد الدين الجديد وأحداثه والاستعانة بصيغ القرآن وتشبيهاته ولطيف كناياته، وضرب أمثاله، واقتباس الألفاظ الإسلامية من الكتاب والسنة وشعائر الدين، كما غلبت عليها الرقة واللين والدماثة واللطف وسهولة المأخذ وواقعية الصورة وقرب الخيال، وأكثر ما نرى ذلك في شعر الدعوة إلى توحيد الله وتنزيهه، وتهجين عبادة الأوثان، ووصف الشعائر الإسلامية وذكر مآثرها وبيان ثواب المؤمنين وعقاب المشركين وبعض ما مدح به الرسول أصحابه أو رثاهم به.» والظاهر أن هذا هو قصد الأصمعي حيث «قد قصر مجال الشعر على الشئون الدنيوية التي كانت سائدة في الجاهلية، وحدد موضوعاته التي تصلح له ويصلح

قال أهل التفسير: المراد بالشعراء في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦] شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي ﷺ كعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الذبعرى السَّهْمِيِّ، وَهُبَيْرَةَ بْنُ وَهَبِ الْمَخْزُومِيّ، ومسافع بن عبد مناف، وأبي عمرو بن عبد اللّٰه الجمحي، وَأُمَيَّةُ ابْنُ الصَّلْتِ الثَّقَفِيّ، تَكَلَّمُواْ بالْكَذِب وَالْبَاطِلِ، وَقَالُواْ: نَحْنُ نَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ مُحَمَّداً ! وقالوا الشعر وَاجْتَمَعَ إليهِمْ غُوَاةٌ قَوْمِهِمْ يَرْوُونَ عَنْهُمْ الشعر في هجاء النَّبيَّ ﷺ [١] وشعر هؤلاء وما مثله هو المنهي عنه في هذه الآية المتقدمة، وفي مثل ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّٰه عنه أن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا». [٢]

وهذا ما برأ اللّٰه منه نبيه ﷺ وهو ما نفر النبي ﷺ منه .

لها، وجعل صفة اللين عالقة بالموضوعات المتصلة بالخير والدين»، إذ نجد له كلاما مقاربا لهذا في نقده للبيد وشعره في ذكر اللّٰه. إن من يتعمق في ديوان حسان بن ثابت، يجد أن فحولة شعره لم تفارقه في جاهليته وإسلامه، وفي فخامته وعذوبته. .....وقد يكون بعض ذلك الضعف ناتجا عما أضيف إلى ديوان حسان بن ثابت من الشعر المنحول». انتهى . نقلا عن شخصية حسان بن ثابت في الأدب الإسلامي لرشيد الزات منتدى الألوكة على الشبكة المعلوماتية. وانظر إحسان عباس في تاريخ النقد الأدبي عند العرب: يقول الباحث: سالم عبود مبارك غانم:» من خلال ما تقدم يمكن القول بأنَّ ما قيل في التقليل من شاعرية حسان ، أو ضعف شعره في الإسلام ؛ يثبت الأسلوب خلافه، فشعرُه ذو علاقات دلالية ، وتراكيب بلاغية ، وانزياحات أسلوبية ، وموسيقا نَغَمية ، من أين نحكم عليه بالضعف ، وكيف ؟ ولماذا لا نقول – في ضوء منهج هذه الدراسة – إنَّ الخلل ليس في شعر حسان، وإنَّما في إبداع من يقرأ أساليب هذا الشعر ، و يتأمل خصائصه ، ويستخرج ظواهره ومظاهره». وهذا أهم النتائج في خاتمة رسالته وهي بعنوان «الهجاء في شعر حسان بن ثابت - دراسة أسلوبية» وهي لنيل درجة ماجستير جامعة حضرموت: اليمن بتاريخ : ٢٠٠٨ / .

١) تفسير الخازن (٣/ ٣٣٤) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٦٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٣/ ٣٩).

٢)رواه البخاري ٤٥٣/١٠ في الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، ومسلم رقم (٢٢٥٧) في الشعر، وأبو داود رقم (٥٠٠٩) في الأدب، باب ما جاء في الشعر، والترمذي رقم (٢٨٥٥) في الأدب، باب ما جاء لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير من أن يمتلئ شعراً.

والممدوح ما فيه إحقاق حق أو إبطال باطل أو عظة ظاهرة أو حكمة نادرة، يورده القائل استشهاداً على ما يقول واستئناساً له، وهذا لا بأس به لذلك استثنى الله تعالى في النظم الكريم شعراء الإسلام: كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك بقوله تعالى (﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ [الشعراء:٢٢٧]). وقد أثنى النبي ﷺ على ذلك بقوله.

(١) روى البخاري من حديث أُبَيِّ بْن كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً»[1].

(٢) عَنْ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَابْنُ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ سيدنا عُمَرُرضي الله عنه: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللَّهِ، تَقُولُ الشِّعْرَ...؟! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ[2]. أخرجه الترمذي والنسائي.

---

١) رواه البخاري ١٠ / ٤٤٥ و ٤٤٦ في الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز، وأبو داود ح (٥٠١٠) في الأدب، باب ما جاء في الشعر. وأخرجه أحمد (١٢٥/٥ح ٢١١٩٢) والدارمي(٣٨٣/٢ح ٢٧٠٤) وابن ماجه(١٢٣٥/٢ح ٣٧٥٥) وعبد الرزاق في الجامع(٢٦٣/١١ح ٢٠٤٩٩) وابن أبي شيبة (٢٧١/٥ح ٢٦٠٠٥)،،والدارقطني في الأفراد (٣٩٢/١ح ٦٠٦).

٢) رواه الترمذي رقم (٢٨٥١) في الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، والنسائي ٥ / ٢٠٢ في الحج، باب إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام، من حديث عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روى عبد الرزاق هذا الحديث أيضاً عن معمر عن الزهري عن أنس نحو هذا.

قال ابن الأثير في جامع الأصول (٥/ ١٧١) (نَضْرِبْكم) : قد جاء نضربكم في الشعر ساكن الباء، وليس بمجزوم، وهذا جائز في ضرورة الشعر: أن يسكّن المتحرك، ويحرك الساكن. (الهام عن مقيله) : الهام جمع هامة، وهي أعلى الرأس وفيه الناصية والمفرق. ومقيله: موضعه، نقلاً من موضع القائلة للإنسان. (نَضْح النبل) : نضحته بالنبل: إذا رميت به.

(٣)عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اُهْجُوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ عليها مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه فَقَالَ: اُهْجُ، فَهَجَاهُمْ، فَلَمْ يَرْضَ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، فَلَمَّا دَخَلَ عليهِ قَالَ حسان رضي الله عنه: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِي بذنبه، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ ﷺ: لَا تَعْجَلْ؛ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يَخْلُصَ لَك نَسَبِي، فَأَتَاهُ حَسَّانُ رضي الله عنه، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، يَقُولُ لِحَسَّانَ رضي الله عنه: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللّهِ وَرَسُولِهِ»،وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى» قَالَ حَسَّانُ رضي الله عنه:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفـا ... رَسُولَ اللّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَـاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِـي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَـاءُ[1] [2]

إلى آخر ثلاثة عشر بيتاً .

١) وبقية الأبيات من قَولَ حَسَّانُ بن ثابت رضي الله عنه : من البحر الوافر

ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَـا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَـدَاءِ

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِـدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَـاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّـرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَـاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَـوْمٍ ... يُعِزُّ اللّهُ فِيهِ مَنْ يَشَـاءُ

٢)والحديث رواه البخاري ١٠ /٤٥٢ في الأدب، باب هجاء المشركين، وفي الأنبياء، باب من أحب أن لا يسب نسبه، وفي المغازي، باب غزوة أنمار، ومسلم ح(٢٤٨٧) و(٢٤٨٩)و(٢٤٩٠)في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

والآثار في ذلك كثيرة منها :

(١) قالت عائشة رضي الله عنها : الشِّعْرُ كَلَامٌ فمنه الحسن ومنه القبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح[١].

(٢) قال الشَّعْبِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَقُولُ الشِّعْرَ، وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ الشِّعْرَ، وَكَانَ على رضي الله عنه يَقُولُ الشِّعْرَ، وَكَانَ على رضي الله عنه أَشْعَرَ منهما [٢].

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه كان ينشد الشعر ويستنشده في

---

١)الأثر رواه ابن أبي الشيخ في العوالي (ص: ١٧٢)ح(٤٦)، وورد في السنن الصغير للبيهقي (٤/ ١٨١) ح (٣٣٦٨) ما يلي :«وَفِي حَدِيث فَضَالَةَ عَنْ عُبَيْد اللَّه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ«للَّه أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى حَسَنِ الصَّوْت بِالْقُرْآن مِنْ صَاحب الْقينَة إِلَى قينَته» قَالَ الشَّافعيُّ: وَإِنَّهُ سَمعَ عَبْدُ اللَّه بْنُ قَيْس أَبَا مُوسَى، يَقْرَأُ، فَقَالَ: « لَقَدْ أُوتيَ هَذَا منْ مَزَامير آل دَاوُدَ عز وجل. وَأَمَّا شَهَادَةُ الشُّعَرَاء، فَقَدْ قَالَ الشَّافعيُّ رضي الله عنه: الشِّعْرُ كَلَامٌ حَسَنٌ، حُسْنُهُ كَحُسْنِ الْكَلَام وَقَبِيحُهُ كَقَبيح الْكَلَام، غَيْرَ أَنَّهُ كَلَامٌ بَاقٍ سَائرٌ، فَذَلكَ فَضْلُهُ عَلَى الْكَلَام، فَمَنْ كَانَ منَ الشُّعَرَاء لَا يُعْرَفُ بِنَقْص الْمُسْلمينَ وَأَذَاهُمْ وَالْإِكْثَار منْ ذَلكَ، وَلَا بِأَنْ يَمْدَحَ فَيُكْثر الْكَذبَ لَمْ تُرَدَّ شَهَادَتُهُ » وتكملة ما ورد عن الشافعي جاء في معرفة السنن والآثار (١٤/ ٣٣٩) قال الشافعي :« وَمَنْ أَكْثَرَ الْوَقيعَةَ في النَّاس عَلَى الْغَضَب أَو الْحرمَان حَتَّى يَكُونَ ذَلكَ منْهُ كَثيرًا ظَاهرًا مُسْتَعْلَنًا، وَإِذَا رَضيَ مَدَحَ النَّاس بِمَا لَيْسَ فيهِمْ حَتَّى يَكُونَ ذَلكَ كَثيرًا ظَاهرًا مُسْتَعْلَنًا كَذبًا مَحْضًا رُدَّتْ شَهَادَتُهُ بِالْوَجْهَيْنِ، وَبِأَحَدهمَا لَو انْفَرَدَ بِه، وَبَسَطَ الْكَلَامَ فيه . انتهى

والحديث جاء بلفظ: «الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنه حسن الكلام وقبيحه قبيح الكلام (من حديث عائشة: أخرجه البيهقي (٢٣٩/١٠ ح٢٠٩٠٢) وأخرجه: أبو يعلى (٢٠٠/٨ ح٤٧٦٠)،والدارقطني(١٥٥/٤). وأورده ابن الجوزى في العلل المتناهية (١٣٧/١ ح ١٩٨) وقال : قال الدارقطنى : تفرد به حسان . قال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به بحال .، وجاء من حديث ابن عمرو:أخرجه البخاري في الأدب المفرد(٢٩٩/١ح ٨٦٥)، والطبراني في الأوسط(٣٥٠/٧ح٧٦٩٦) قال الهيثمي (١٢٢/٨):إسناده حسن . وابن الجوزى فى العلل المتناهية(١٣٧/١ ح ١٩٩) وقال: فيه عبد الرحمن بن زياد قال أحمد: ليس بشيء. وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات ويدلس. قال الحافظ في الفتح (٥٣٩/١٠): أخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا وسنده ضعيف وأخرجه الطبرانى فى الأوسط وقد اشتهر هذا الكلام عن الشافعي .وجاء من حديث عروة مرسلا : أخرجه الشافعي(٣٦٦/١)، والبيهقي (٦٨/٥ ح ٨٩٦٣) وقال: هذا منقطع .

٢) أنساب الأشراف للبلاذري (٢/ ١٥٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٥٢٠)البداية والنهاية ط إحياء التراث (٨/ ٩) تاريخ الخلفاء (ص: ١٤١).

المسجد، فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي، فاستنشده القصيدة التي قالها فقال منها:

أمن آل نعمٍ أنت غاد فمبكر   غداة غد أم رائح فمهجر

فأنشده القصيدة إلى آخرها، وهي قريب من تسعين بيتاً ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها بمرة واحدة[1].

فلا بأس من أن يستشهد الواعظ على ما يقول ببعض ما ورد عن السلف من الشعر، إذا كان فيه ردع عن خبث أو إنارة طريق رشد أو تقبيح رذيلة، أو تحسين فضيلة مما يحرك العواطف ويهز الخواطر نحو البر والسلامة،وكذلك السجع.

وبالله تعالى التوفيق، والهداية لأقوم طريق وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وصلي الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

بعون الله تعالى تم تبييضها في يوم الثلاثاء لثلاثة عشر يوماً بقيت من شهر ذي القعدة من سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية[2].

---

١) تفسير الخازن - دار الفكر (٥/ ١٣٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٤٣٢) وقال في نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٥/ ٤٠٣) «قال: البغوي» انتهى.

٢) على أن التاريخ الموافق لقوله (لثلاثة عشر يوماً بقيت من شهر ذي القعدة) هو يوم الأحد /١٧/ ذي القعدة ١٣٤٦ / ٦ / مايو ١٩٢٨.

وجاء في تعليق -بخط مغاير لخط الرسالة - المؤلف ومراجعته نظر في ١٩ نوفمبر ١٩٢٨ م.



سلسلة إصدارات روافد

١- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة.

د.عبد العزيز برغوث.

٢- عينان مطفأتان وقلب بصير(رواية).

د. عبد الله الطنطاوي.

٣- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.

د. محمد إقبال عروي.

٤- إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية.

د. الطيب برغوث.

٥- ظلال وارفة (مجموعة قصصية) .

د. سعاد الناصر(أم سلمى).

٦- قراءات معرفية في الفكر الأصولي.

د. مصطفى قطب سانو.

٧- من قضايا الإسلام والإعلام بالغرب.

د. عبد الكريم بوفرة.

٨- الخط العربي وحدود المصطلح الفني.

د. إدهام محمد حنش.

٩- الاختيار الفقهي وإشكالية تجديد الفقه الإسلامي.

د. محمود النجيري.

١٠- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري.

د. محمد كمال حسن. ________________

١١- العمران والبنيان في منظور الإسلام.

د. يحيى وزيري. ________________

١٢- تأمل واعتبار: قراءة في حكايات أندلسية.

د. عبد الرحمن الحجي. ________________

١٣- ومنها تتفجر الأنهار(ديوان شعر).

الشاعرة أمينة المريني. ________________

١٤- الطريق... من هنا.

الشيخ محمد الغزالي ________________

١٥- خطاب الحداثة: قراءة نقدية.

د. حميد سمير ________________

١٦- العودة إلى الصفصاف (مجموعة قصصية لليافعين).

فريد محمد معوض ________________

١٧- ارتسامات في بناء الذات.

د. محمد بن إبراهيم الحمد ________________

١٨- هو وهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم.

د. عودة خليل أبو عودة ________________

١٩- التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي.

د. ثـريـة أقصـري ـــــــــــــــــــــــ

٢٠- إشكالية تأصيل الرؤية الإسلامة في النقد والإبداع.

د. عمر أحمد بو قرورة ـــــــــــــــــــــــ

٢١- ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي.

د. أبو أمامة نوار بن الشلي ـــــــــــــــــــــــ

٢٢- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة.

د. حلمي محمد القاعود ـــــــــــــــــــــــ

٢٣- جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان.

أ.د سمير عبد الحميد نوح ـــــــــــــــــــــــ

٢٤- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية.

د. أحمد الريسوني ـــــــــــــــــــــــ

٢٥- المرتكزات البيانية في فهم النصوص الشرعية.

د. نجم الدين قادر كريم الزنكي ـــــــــــــــــــــــ

٢٦- معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي.

د. حسن الأمراني ـــــــــــــــــــــــ

د. محمد إقبال عروي ـــــــــــــــــــــــ

٢٧- إمام الحكمة (رواية).

الروائي/ عبد الباقي يوسف ـــــــــــــــــــــــ

٢٨- بناء اقتصاديات الأسرة على قيم الاقتصاد الإسلامي.

______________ أ.د. عبد الحميد محمود البعلي

٢٩- إنما أنت... بلسم (ديوان شعر).

______________ الشاعر محمود مفلح

٣٠- نظرية العقد في الشريعة الإسلامية.

______________ د. محمد الحبيب التجكاني

٣١- محمد ﷺ ملهم الشعراء

______________ أ. طلال العامر

٣٢- نحو تربية مالية أسرية راشدة.

______________ د. أشرف محمد دوابه

٣٣- جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم .

______________ د. حكمت صالح

٣٤- الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية.

______________ د. عبد الرحمن العضراوي

٣٥- السنابل... (ديوان شعر).

______________ أ. محيي الدين عطية

٣٦- نظرات في أصول الفقه.

______________ د. أحمد محمد كنعان

٣٧- القراءات المفسرة ودورها في توجيه معاني الآيات القرآنية.

---------------- د. عبد الهادي دحاني

٣٨- شعر أبي طالب في نصرة النبي ﷺ.

---------------- د. محمد عبد الحميد سالم

٣٩- أثر اللغة في الاستنباطات الشرعية.

---------------- د. حمدي بخيت عمران

٤٠- رؤية نقدية في أزمة الأموال غير الحقيقية.

---------------- أ.د. موسى العرباني

---------------- د.ناصر يوسف

٤١- مرافىء اليقين (ديوان شعر).

---------------- الشاعر يس الفيل

٤٢- مسائل في علوم القرآن.

---------------- د. عبد الغفور مصطفى جعفر

٤٣- التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين.

---------------- د. مصطفى بن حمزة

٤٤- في مدارج الحكة (ديوان شعر).

---------------- الشاعر وحيد الدهشان

٤٥- أحاديث فضائل سور القرآن: دراسة نقدية حديثية.

د. فاطمة خديد

٤٦- في ميـــزان الإسـلام.

د. عبد الحليم عويس

٤٧- النظر المصلحي عند الأصوليين.

د. مصطفى قرطاح

٤٨- دراسات في الأدب الإسلامي.

د. جابر قميحة

٤٩- القيمُ الروحيّة في الإسلام.

د. محمّد حلمي عبد الوهّاب

٥٠- تـلاميـذ النبـوة.

الشاعر عبد الرحمن العشماوي

٥١- أسماء السور ودورها في صناعة النهضة الجامعة.

د / فـــؤاد البنـــا

٥٢- الأسرة بين العدل والفضل.

د. فريد شكري

٥٣- هي القدس... (ديوان شعر).

الشاعرة: نبيلة الخطيب

٥٤- مسار العمارة وآفاق التجديد.

م. فالح بن حسن المطيري

٥٥- رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما.

الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني

نهر متعدد.. متجدد

هذا الكتاب

... فإن فن الوعظ والإرشاد من أشرف الفنون منزلة وأعلاها درجة لما :

- أنه مهمة الأنبياء والمرسلين، ومن على سننهم من العلماء والعاملين، ومن الهداة المرشدين والقادة المصلحين .
- وأن الكتب السماوية أهم مقاصدها الوعظ والإرشاد، بالدعوة إلى الخير وإيقاف النفوس عند حدود الأدب فتوفر لها السعادة في الدارين .
- أيضا شرفه من حيث غايته - التي هي أشرف الغايات- وهي إصلاح نفوس البشر لتصلح معاشاً ومعاداً. وشرف العلم بشرف غايته .
- ومن حيث موضوعه الذي هو أشرف الأمور وأعظمها، وهو المواعظ النافعة لإصلاح النفوس، والنفوس أشرف من الأجسام، والمتعلِق يشرف بشرف المتعلّق.
- ومن حيثَ فائدته التي هي التخلي عن الرذيلة والتحلي بالفضيلة.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية
www.islam.gov.kw/thaqafa